



اَلْمُعِينُ لِلْإِمَامِ

في الخطبِ والمحاضرات والدّروسَ الرّمضانيّة



الشّيخ إبراهيم بن البشير قعري

مفتّش التّوجيه الدّيني والتعليم القرآني





الأصالة للنشر / الجزائر

المُعِينُ لِلإِمَامِ

في الخطب والمحاضرات والدّروس الرّمضانيّة

المُعِينُ لِلإِمَامِ

في الخطب والمحاضرات والدّروس الرّمضانيّة

مفتّش التّوجيه الدّيني والتعليم القرآني:

الشّيخ إبراهيم بن البشير قعري



الأصالة للنشر / الجزائر



ISBN : 978-9931-256-04-5

الإيداع القانوني: مارس 2023

شركة الأصالة للنشر/ الجزائر

العنوان: حي الراسوطة الغربية قطعة رقم2، برج الكيفان

الجوال: 06.69.00.47.44

البريد الإلكتروني: assala.edition@assala-dz.net

الموقع الإلكتروني: www.assala-dz. net

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله وكفى، والصّلاة والسّلام على النّبيّ المجتبى، أمّا بعد:

فهذه سلسلة من الخطب والمحاضرات والدّروس الرّمضانية، كنت قد ألقيتها في عديدٍ من المساجد بولاية الوادي من وطننا الحبيب الجزائر في رمضانات مختلفة، يعود بعضها إلى رمضان: 1431هـ/2008م، وبعضها إلى رمضان: 1439هـ/2016م، وبعضها الآخر إلى رمضان: 1443هـ/2022م، ومنها ما يعود إلى رمضانات في سنوات مختلفة عمّا ذُكِر، وكانت كلّها مسجّلة صوتيا، فَارْتَأَيْتُ تفريغها، وجعلها في كتاب عسى الله أن ينفع بها، وقد شجّعني على ذلك بعضٌ من إخواني الذين كانوا قد استمعوا إلى كثيرٍ منها، وقد قام بتفريغها الأستاذان الفاضلان: محمّد بن البشير بن علي، وعبد الباسط بن عبد الرّحمن ضريف، أسأل الله تبارك وتعالى أن يُجازيَهما على ما بذلاه من جهدٍ في سبيل ذلك، ثمّ قمت بتصحيحها، وعزو الآيات إلى سورها بأرقامها، وتخريج أحاديثها، وما ورد فيها من الآثار عن الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقد وسمت هذا الكتاب بـ "المُعين للإمام في الخُطب والمحاضرات والدّروس الرّمضانيّة".

وقد قمت بتقسيمه كما يأتي:

القسم الأوّل: جعلته للخطب، وعددها خمس خطب، وهي تمسّ تقريبا جلّ ما في رمضان من مناسبات.

القسم الثّاني: جعلته للمحاضرات المسائيّة التي كنت أُلقيها بعد صلاة العصر، وهي على جزءين؛ الأوّل منهما يتعلّق بفقه الصّيام، والاعتكاف من خلال نظم "أسهل المسالك على مذهب الإمام مالك" لمحمّد البشّار، ومحاضرة أخرى حول زكاة الفِطر، ويتعلّق الجزء الثّاني منها بمحاضرات وعظيّة إرشاديّة ذات نفحاتٍ رمضانيّة.

القسم الثّالث: جعلته للدّروس اللّيلية التي كنت أُلقيها بعد أذان العِشاء إلى الإقامة، وهي على جزءين؛ الأوّل منهما يتعلّق بتفسير آيات الصّيام من سورة البقرة، بينما الجزء الثّاني يتعلّق بدروسٍ وعظيّة إرشاديّة.

ولا يفوتُني أن أتقدّم بالشُّكر الجزيل لكلّ من ساهم في إنجاح هذا المشروع الخيري العِلْمِي؛ سواءً مادّيًّا أو معنويًّا، لا سيما المحسنين منهم الذين دعموا بأموالهم طبع هذا الكتاب، وأسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم جميعا، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم.

هذا، وأسأل الله الكريم المنّان أن يجعل أعمالنا جميعا خالصةً لوجهه الكريم، كما أسأله جلّ في عُلاه أن ينفع بهذا الكتاب كلّ من قرأه أو استمع إلى من يقرأه، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وكتبها الفقير إلى عفو ربّه: إبراهيم بن البشير قعري.

في البيّاضة -ولاية الوادي، ليلة الأحد **08** جمادي الثّانية **1444**هـ،

الموافق: **01** جانفي **2023**م

قسم الخطب:

❋ وصايا رمضانية

❋ خطبة نبوية رمضانية

❋ ذكرى غزوة بدر الكبرى

❋ الاجتهاد في العشر الأواخر

❋ فضل ليلة القدر وعمل القرآن الذي فيها أُنزل في جيل الصحابة

❋ وقفات وتوصيات بعد شهر الصيام

وصايا رمضانية

الخطبة الأولى

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، نشهد أنه قد بلّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة وكشف الله به الغُمّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، تركنا على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن اتّبعها كان كالشّمس في ضُحاها، وكالقمر إذا تلاها، وكالنّهار إذا جلّاها، ومن زاغ عنها كان كالظُّلمة في دُجاها، وكاللّيل إذا يغشاها، فاللّهمّ صلّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، اللّهم صلّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

إخوة الإيمان: ما هي إلّا ساعات ونستقبل ضيفا كريما عزيزا على قلوبنا؛ هذا الضّيف أيُّها الإخوة الأكارم هو شهر رمضان الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: 185]، فشهر رمضان هو شهر الخيرات، وشهر البركات، وشهر الرَّحمات، والمحروم هو من حُرِم خير هذا الشّهر المبارك الكريم؛ لذلك أيُّها الإخوة الكرام أردت في هذه الخطبة أن أَتَوَجَّهَ إلى نفسي وإيّاكم بهذه الوصايا الرّمضانية عسى الله أن ينفعنا بها.

الوصيّة الأولى: إيّاك إيّاك أن تكون ممَّن يُحرَمُ خير هذا الشّهر؛ فهذا الشّهر هو موسم الرّحمة، موسم الطّاعة، موسم الخير، فإيّاك أن تحرم نفسك من هذه الخيرات، والبركات، والرّحمات.

يقول النبي ﷺ -في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه-: «**قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ**»[1]؛ المحروم من حُرِمَ خير، وبركة، ورحمة رمضان.

وفي الحديث الآخر الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ** (الله اكبر! في رمضان تغلق أبواب النّيران نهائيا)، **وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»[2]، في كلّ ليلة من ليالي رمضان يعتِق الله تبارك وتعالى من عباده من النّار من شاء، فاللّهمّ أدخلنا يا ربِّ في هذه المشيئة، واجعلنا من عُتقاء النّار.

ويقول النبي ﷺ -مبيّنا خير وبركة هذا الشهر-: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[3]، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا**

---

(1)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 7148، 59/12. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "صحيح، وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين".

(2)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، حديث رقم: 1642، 559/2. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: " حديث صحيح".

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، حديث رقم: 38، 16/1.

وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1].

أيُّ فضلٍ هذا؟ وأيُّ رحمةٍ هذه؟ وأيُّ خيرٍ هذا؟ ووالله لو بقينا نُعَدِّدُ الأحاديث والآثار التي وردت في فضل شهر رمضان لخرجنا من ذلك بكتاب، ولكن نكتفي بهذا القدر الذي ورد في فضل هذا الشّهر الكريم؛ ولذلك فإن النبي ﷺ يقول في الحديث أمام هذه الخيرات والبركات التي أعطاها الله للمؤمنين في هذا الشهر العظيم، يقول: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ** (ورغم بمعنى الإهانة) **أَدْرَكَ رَمَضَانَ، ثُمَّ انْسَلَخَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ**»[2].

الوصيّة الثّانية: أن نتلوَ القرآن في شهر القرآن، وإن كانت تلاوة القرآن لا تتوقَّف على شهر بعينه، وإنّما المقصود أن نُكثر في هذا الشّهر من قراءة القرآن وَتَدَبُّرِه؛ فهذا النبي الله ﷺ، وهو الذي عليه أُنزل كان يُدَارِس جبريل القرآن الكريم كلّما جاء رمضان[3].

والسّلف الصّالح رضوان الله تعالى عليهم كانوا إذا أقبل رمضان فرَّغوا جُلَّ أوقاتهم لتلاوة القرآن؛ فهذا الإمام الزُّهري رحمة الله عليه كان يقول: "إذا جاء رمضان، فإنّما هو لقراءة القرآن، وإطعام الطّعام"، ويقول النبي ﷺ في الحديث: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛**

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، حديث رقم: 37، 16/1.

(2)- هذا جزء من حديث رواه البزار في مسنده، حديث رقم: 1405، 240/4. دون لفظ: «**ثُمَّ انْسَلَخَ**»، وإنما هي موجودة في سنن الترمذي، حديث رقم: 3545.

(3)- إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، حديث رقم: 1902، 26/3، ونص الحديث: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان، حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة".

فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا لِأَصحابه يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، اللّهمّ اجعلنا ممَّن يشفع فيهم القرآن الكريم يا ربّ العالمين، ويقول -وهو يوصي أبا ذر الغِفاري ﵁-: «**عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**»[2]، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[3]، كفانا هجرا لكتاب الله تبارك وتعالى، هذا القرآن الذي هجرناه قراءةً، وهجرناه تدبُّرا، وهجرناه حفظا، وهجرناه عملا، إننا والله نخشى من أن نكون من الذين يشكوهم النبي ﷺ لربِّه ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: 30].

والقرآن هو دستور حياتنا، والهدى كلُّ الهدى في القرآن ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ [البقرة: 185]؛ حتى أولئك الذين لم يكونوا من المسلمين، فإنهم لَمّا رجعوا إلى القرآن، وقرأوه اهتدوا إلى الإسلام؛ مثل ذلكم الْقِسّ النّصراني المصري الذي عهد إليه أصحابه بأن يقرأ القرآن قَصْدَ نقده، وإخراج ما فيه من الأخطاء على حدّ زعمهم، وفي النّهاية ماذا حصل لهذا القس؟ حصل أن اهتدى واعتنق الإسلام، وأصبح داعيةً إلى الله عزّ وجلّ؛ فهو ﴿هُدىً لِلنَّاسِ﴾، فمن اتّبع نهج القرآن اهتدى، ومن تركه ضلّ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، حديث رقم: 804، 553/1.

(2)-روه ابن حبان في صحيحه، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، حديث رقم: 361، 76/2-78. قال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدا".

(3)- رواه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر، حديث رقم: 2910، 175/5. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".

ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: 123-126].

الوصيّة الثّالثة: أن نكثر من الصَّدقات في هذا الشّهر الكريم، وقدوتنا في ذلك هو رسول الله ﷺ، فقد قال عنه ابن عبّاس رضي الله عنهما: "كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان أجود بالخير من الرّيح المرسلة"[1]، التصَّدُّق؛ الإنفاق في سبيل الله، كلٌّ حسب قدرته، المهم أن يكون لك في هذه العبادة نصيب، والله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي: «**أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[2].

والشّيطان إخوة الإيمان حينما تريد أن تتصدَّق أو تنفق في سبيل الله عزّ وجلّ يجعل فقرك بين عينيك، وَيُصَوِّرُ لك وكأنّك إذا أخرجت هذه الصّدقة فإنّك تُصاب بالفقر؛ لذلك يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 268].

وإن من الذّنوب ذنوبا قد لا تُكَفِّرُهَا إلّا الصّدقات والإنفاق في سبيل الله، ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[التغابن:17]، ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة: 271].

---

(1)- سبق تخريجه قريبا.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: 5253، 62/7.

وَلَمّا نزلت هذه الآية الكريمة؛ هذه الآية التي تَحُضُّ على الإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ؛ التي يقول الله فيها: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245]، يقول زيد بن أسلم كما ينقل عنه الإمام القرطبي في تفسيره: لَمَّا نزلت هذه الآية جاء أبو الدّحداح إلى النبي ﷺ، فقال له: "الله استقرضنا، وهو غنيٌّ عنّا؟" فقال له النبي ﷺ: «**إنه يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ**»، فقال له أبو الدّحداح: "يا رسول الله ناولني يدك"، فناوله النبي ﷺ يده، وقال له يا رسول الله: "إنّ لي حائطين؛ أحدهما بالسّافلة والآخر بالعالية، قد جعلتهما في سبيل الله يا رسول الله"، فقال له النبي ﷺ: «**تَصَدَّقْ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا وَامْسِكُ الآخَرَ نَفَقَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ**»، فقال له أبو الدّحداح: "أُشهِدُك يا رسول الله أنّي قد جعلت خيرَهما في سبيل الله"؛ وكان هذا الحائط فيه ستُّ مائة نخلة، ثم بعد ذلك ذهب أبو الدّحداح إلى هذا الحائط الذي تصدَّق به في سبيل الله عزّ وجلّ، ورأى من بعيد زوجته وأولاده في هذا الحائط، فأنشأ يقول لزوجته:

هَـدَاكِ رَبِّي سُـبُلَ الرَّشَـادِ ** إِلَى سَبِيلِ الْخَـيْرِ وَالسَّـدَادِ
بِينِي[1] مِنَ الحَـائِطِ بِالْوِدَادِ ** فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَـادِ
أَقْرَضْتُهُ اللَّهَ عَلَى اعْتِمَـادِي ** بِالطَّـوْعِ لَا مَـنٍّ وَلَا ارْتِـدَادِ
إِلَّا رَجاءَ الضِّعْفِ فِي الْمَعَـادِ ** فَارْتَحِـلِي بِالـنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ
وَالْـبِرُّ لَا شَـكَّ فَخَـيْرُ زَادِ ** قَدَّمَـهُ الْمَـرْءُ إِلَى الْمَعَـادِ

فماذا قالت له هذه المرأة الصّالحة؟ لم تقل له: إنّك قد أحوجتنا هذا البستان، أو ماذا تركت لأهلك وولدك بعد موتك؟ وإنّما قالت له: "ربح بيعك"، وأنشأت تقول:

(1)- أي أُخرجي من هذا البستان.

بَشَّـرَكَ اللَّهُ بِخَـيْرٍ وَفَـرَحْ ** مِثْلُـكَ أَدَّى مَـا عَلَيْـهِ وَنَصَـحْ
قَدْ مَتَّعَ اللَّهُ عِيَـالِي وَمَـنَحْ ** بِالْعَجْوَةِ السَّوْدَاءِ وَالزَّهْوِ الْبَلَحْ
وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَلَهُ مَا قَدْ كَـدَحْ ** طُولَ اللَّيَـالِي وَعَلَيْـهِ مَـا اجْـتَرَحْ

ولَمّا سمع النبي ﷺ بصنيع أبي الدَّحداح وأمّ الدَّحداح قال ﷺ: «**كَمْ مِنْ عِذْقٍ**[1] **رَدَاحٍ**[2] **وَدَارٍ فَيَّاحٍ**[3] **لِأَبِي الدَّحْدَاحِ**»[4]؛ يعني في الجنّة.

الله اكبر! إنّه الإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ، لا سيما إخوة الإيمان ونحن في هذه الأيّام العِجاف التي انتشر فيها الغلاء، وعمَّ فيها الفقر، وإنّه والله من إخوانكم -رُبَّمَا- من لا يجد ما يأكل ويقتات به في هذه الأيّام، ولكن لا تدرونهم ولا تعلمونهم، إنهم لا يسألون الناس إلحافا[5].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفِّقنا لما فيه الخير، وأن يجعلنا إن شاء الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، أقول قولي هذا، واستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

---

(1)- **العذق**: بفتح فسكون؛ النخلة، وبكسر فسكون: العرجون بما فيه من الشماريخ.

(2)- **رَداح**: ثقيلة.

(3)- **الفَيَّاح**: بالتشديد والتخفيف؛ الواسع. (هكذا شرحها محقِّق كتاب الجامع لأحكام القرآن).

(4)- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 3/238-239.

(5)- هذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[البقرة: 273]

الخطبة الثانية

الحمد لله، الحمد لله لا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا يَنْقُصُ من ملكه جحود الجاحدين، من شكر، فإنّما يشكر لنفسه، ومن كفر فإنّ ربي غني كريم، وأشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

الوصيّة الرّابعة: إيّاك ثمّ إيّاك أن تقتل نفسك في شهر رمضان، قد يسأل سائل ويقول: وكيف أقتل نفسي في شهر رمضان؟ تقتل نفسك في شهر رمضان إذا ضيَّعت أوقاتك فيما لا فائدة ولا طائل من ورائه؛ فشهر رمضان شهر الذِّكر، شهر القرآن، شهر الصّيام، شهر الصّلاة، شهر العبادة؛ فهو موسمُ الطّاعات، فما عليك إلّا أن تستغل هذا الشهر الكريم دقيقة دقيقة، وثانية ثانية.

نعم، هناك إعلاميون، وهناك من يدّعون أنّهم يريدون أن يُنَوِّرُوا المجتمع، قد أَعَدُّوا لكم من البرامج الهابِطة، ومن المسلسلات والأفلام الرَّخيصة في شهر رمضان بالذَّات؛ يريدون أن يفسدوا عليكم صومكم، ويريدون أن يشغلوكم عن عبادة الله وذكره في هذا الشّهر الكريم، فاحذروهم، فمن مشى وراء هؤلاء فقد قتل نفسه.

الوصيّة الخامسة: الوصيّة الأخيرة التي أريد أن أوصي بها نفسي- وإيّاكم في هذا المقام هي: أنّ هذا الشّهر المبارك فرصة عظيمة للرّجوع والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى، فما علينا إلّا أن نستغل هذه الفُرصة، وحينما نقول الرُّجوع إلى الله، هذا يعني أنّ الأصل فينا كمؤمنين أن نكون دائما مع الله سبحانه وتعالى، ولكن لَمَّا كُنّا بشرا، فإنّنا حين نعصي الله لسنا بِدْعًا في ذلك؛ فأبونا آدم عليه السّلام قد عصى الله، ولكنّ الْبِدْعَةُ والمنكر هو أن نسترسل في المعاصي والآثام؛ ولذلك فإنّ أبانا آدم وأمَّنا حواء لَمّا أدركا عِظَمَ ما أقدما عليه من الذّنب ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 23]؛ فما علينا إلّا أن نقول ما قاله أبونا آدم وأمُّنا حواء: ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين.

ومهما كانت هذه الذّنوب التي ارتكبتها عظيمة، فإنّ عفو الله ورحمته أعظم منها، فإنّه غفور رحيم كريم، وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**»[1]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتوب علينا، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وان يرحمنا، وان يبلّغنا شهر رمضان، اللّهمّ بلّغنا رمضان يا رب العالمين، واجعلنا من صُوَّامه وقُوّامِه، ومن عتقائه يا ربّ العالمين، اللّهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا يا رب العالمين، اللّهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء، ولا الحاسدين يا ربّ العالمين، اللهم آمين آمين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم: 2759، 2113/4.

خطبة نبوية رمضانية

الخطبة الأولى

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعيده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله، نشهد أنه قد بلَّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة وكشف الله به الغُمّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، تركنا على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن اتّبعها كان كالشّمس في ضُحاها، وكالقمر إذا تلاها، وكالنّهار إذا جلّاها، ومن زاغ عنها كان كالظُّلمة في دُجاها، وكاللّيل إذا يغشاها، فاللّهمّ صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتَّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

إخوة الإيمان: عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَ نَهَارِهِ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً، كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يَزْدَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقًا لِرَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ**"، قالوا: يا رسول الله ليس كلُّنا يجد ما يُفَطِّرُ الصّائم عليه، قال: "**يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ، أَوْ على شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، مَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّار، وَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ؛ خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنًى بِكُمْ**

عَنْهُمَا؛ فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنًى بِكُمْ عَنْهُمَا، فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ سَقَى صَائِمًا، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بعدها أَبَدًا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» رواه ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في شعب الإيمان[1].

بعد أن تحدَّث النبي ﷺ عن فضل هذا الشّهر العظيم المبارك أوصانا بأربع خصال، «**وَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ؛ خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنًى بِكُمْ عَنْهُمَا؛ فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ**».

الخصلة الأولى: شهادة أن لا إله إلّا الله؛ أن يكثر الصّائم من ترديد كلمة التّوحيد؛ فهي مفتاح الجنّة، وفي الحديث: «**مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[2]، وقد عبَّر النبي ﷺ بقوله: «**مَفَاتِيحُ**»، ولم يقل: مفتاح؛ فكان كأنّك كلّما شهدت مرة لله بالوحدانية قد اكتسبت مفتاحا جديدا من مفاتيح الجنّة، «**مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**».

واسمع معي إلى هذه الرّؤيا التي رآها النبي ﷺ في منامه، قال: «**رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَغُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ**»[3].

---

(1)- رواه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصوم، باب، حديث رقم: 1887، 910/2-911. ورواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: 3336. من طريق ابن خزيمة مع اختلافٍ في بعض ألفاظه.

(2)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 22101، 418/36. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف".

(3)- رواه الطبراني في الدعاء، باب فضل قول لا إله إلّا الله، حديث رقم: 1488، ص437.

يقول النبي ﷺ في الحديث: «**أَكْثِرُوا مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا**»[1]، وفي الإكثار من شهادة أن لا إله إلّا الله تجديدٌ للإيمان وللعهد مع الله عز وجل؛ فقد قال النبي ﷺ لأصحابه: «**جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ**»، قالوا: وكيف نُجدِّد إيماننا يا رسول الله؟ قال: «**أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[2]، وفي الحديث الآخر: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**»[3]؛ لأنّ من قال هذه الشّهادة مخلصا من قلبه نجّته من عذاب النّار، وأدخلته إلى الجنّة؛ يقول النبي ﷺ في هذا الحديث: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». قيل: وما إخلاصها يا رسول الله؟ قال «**أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[4]، هذا هو برهان إخلاصها.

الخصلة الثانية: «وَتَسْتَغْفِرُونَهُ»؛ الاستغفار، لا سيما ونحن في هذا الشّهر الكريم؛ هذا الشّهر الذي أوّله رحمة، وأوسطه مغفرة -ونحن الآن في وسطه-، وآخره عتقٌ من النّار.

وهذا إبليس عليه لعنة الله يخاطب ربَّ العزة ويقول له: "وَعِزَّتِكَ لا أبرح أُغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم"، فيقول الله عزّ وجلّ: «**وَعِزَّتِي وَجَلالِي لَأَغْفِرُ لَهُمْ مَا**

---

(1)- رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، حديث رقم: 6147، 8/11. قال محقق المسند حسين سليم أسد: "إسناده ضعيف".

(2)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 8709، 328/14. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف".

(3)- رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأداب، باب فضل الحامدين، حديث رقم: 3800، 711/4-712. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده حسن".

(4)- رواه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم: 1235، 56/2.

اسْتَغْفَرُونِي»[1]؛ أنت لا تبرح تغويهم وتُضِلُّهم، وأنا لا أبرح أغفر لهم ما داموا يُقِرُّون بذنوبهم بين يدي ويستغفرونني.

وفي هذا الحديث: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»[2]؛ أَكْثِرْ من الاستغفار، وكلُّ ذلك مسجَّل في صحيفتك، وَسَتُسَرُّ به يوم القيامة؛ يقول النبي ﷺ في الحديث: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرُّهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ**»[3].

هذا في الآخرة، وأمّا في الدّنيا فاسمع إلى هذا الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[4].

---

(1)- ينظر: الهيثمي، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، حديث رقم: 1749 و1750 و1751، 374/4. كلها بألفاظ متقاربة. ورواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 11730، 252/18-253.. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف".

(2)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الأدب، باب الاستغفار، حديث رقم: 3818، 721/4. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده صحيح".

(3)- رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: 630، 152/2.

(4)- رواه أبو داود في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار، حديث رقم: 1518، 628/2. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده ضعيف".

الخصلة الثالثة والرّابعة: «وَأَمَّا الخصلتان اللَّتَانِ لَا غِنًى بِكُمْ عَنْهُمَا، فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ».

ما دام الدّعاء مجاب في هذا الشهر، وللصّائم عند فطره دعوة ما تُرَدّ[1]، وثلاثة لا تردُّ لهم دعوة من بينهم الصّائم حتّى يُفْطِرَ[2]، والنبي ﷺ يوصينا في هذه الخُطبة بأن نسأل الله سبحانه وتعالى الجنّة، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يُعِيذَنا من عذاب النّار.

وهذه النّار أعاذني الله وإيّاكم منها يقول عنها النبي ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**»[3]، ويقول النبي ﷺ في حديث آخر: «**لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ هِيَ مُقَامُهُ؟**»[4].

*ثم يقول النبي ﷺ في نهاية هذه الخطبة: «**وَمَنْ سَقَى صَائِمًا، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بعدها أَبَدًا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ**»؛ هذا هو أجر سُقْيَا الصّائم، فما بالك بمن

---

(1)- إشارة إلى حديث: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ**». رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، حديث رقم: 1753، 636/2. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده حسن".

(2)- إشارة إلى حديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**». رواه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم: 3598، 578/5. قال الترمذي: "هذا حديث حسن".

(3)- ينظر: صهيب عبد الجبّار، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، 192/3. ونص الحديث كاملا: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ**»، فقالوا: والله يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»

(4)- رواه الترمذي في سننه، أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث رقم: 2585، 706/4. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

يُطعم الطّعام، ويعول الفقراء والأرامل والأيتام، وهكذا كان رمضان عند السّلف الصّالح من هذه الأمّة، يقول الإمام الزُّهري: "إذا جاء رمضان، فإنّما هو لقراءة القرآن، وإطعام الطّعام".

والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»[1]، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا إن شاء الله بِمَنِّهِ، ورحمته، وكرمه من الواردين على حوض رسول الله ﷺ؛ هذا الحوض الذي يقول عنه المصطفى ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ** (أي كِيسانه[2]؛ كؤوسه) **بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**»[3]، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، وان يجعلنا إن شاء الله تعالى من أهل الجنّة، ومن الذين يردون على حوض المصطفى ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

---

(1)- رواه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرّقائق والورع، باب ما جاء في صفة الحوض، حديث رقم: 2443، 628/4. قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح".

(2)- هذا اللفظ لم أجده في معاجم اللغة العربية، وقد درج المجتمع الجزائري على جمع كأس بهذا اللّفظ، وجمع كأس كما هو في المعاجم هو: كؤوس أو أَكْؤُس، أو كاسات. ينظر: الجوهري، الصِّحاح، 969/3. لكن يمكننا أن نقول: إنه في اللّغة العربية يمكن تعويض حروف الصَّفِير (السّين، والصّاد، والزّاي) بعضها ببعض مثل مسيطر، فقد جاء في بعض قراءات القرآن الكريم: (مزيطر)، ومثلها الصّراط فقد جاءت في هذه القراءة: (الزّراط)، وبالتّالي فيصحّ قولنا: كيسان.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم: 6579، 119/8. إلّا أنه في البخاري: «**كَنُجُومِ السَّمَاءِ**» بدلا من: «**بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**»، وأمّا لفظ: «**وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ** »، فهي عند مسلم، حديث رقم: 2292.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الحمد لله؛ لا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا ينقص من ملكه جحود الجاحدين من شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزيّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الرّاشدين يا رب العالمين، اللهم اجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، اللهم اجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم، اللهم اجعلنا يا ربي بمنّك وكرمك وفضلك من عُتقاء هذا الشّهر الكريم يا رب العالمين، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين يا رب العالمين، اللهم إنّا نسألك يا ربّي أن تنصر الإسلام وتعزّ المسلمين، اللهم انصر الإسلام وأَعِزّ المسلمين، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان يُذكر فيه اسمك يا ربَّ العالمين، اللهم انصر المجاهدين في فلسطين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين؛ اللهم انصرهم على أعدائك وأعداء دينك، وأعداء البشرية جمعاء يا رب العالمين، اللّهم إنهم جياعٌ فأطعمهم، اللهم إنهم عراة فَاكْسُهم، اللهم إنهم حفاة فأحملهم، اللهم إنّ الدّنيا كلها قد تظاهرت وتآمرت عليهم؛ فاللّهم كن لهم معينا، وكن لهم نصيرا، وكن لهم ظهيرا، االلهم آمين آمين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

ذكرى غزوة بدر الكبرى

الخطبة الأولى

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعيده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله، نشهد أنه قد بلَّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة وكشف الله به الغُمَّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، تركنا على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن اتّبعها كان كالشّمس في ضُحاها، وكالقمر إذا تلاها، وكالنّهار إذا جلّاها، ومن زاغ عنها كان كالظُّلمة في دُجاها، وكاللّيل إذا يغشاها، فاللّهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتَّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

إخوة الإيمان: تمرُّ بنا هذه الأيّام ذكرى غزوة بدرٍ الكبرى؛ هذه الغزوة التي فرّق الله بها بين الحقّ والباطل؛ فَسَمَّى اليوم الذي وقعت فيه يوم الفرقان، وقد حدثت في اليوم السّابع عشر من رمضان من السّنة الثّانية للهجرة.

وسببها: أنّ النبي ﷺ سمع بعيرٍ تجاريّة لقريش قادمةً من الشّام بإشراف أبي سفيان، فَنَدَبَ المسلمين إليها ليأخذوها لِقَاءَ ما تركوا من أموالهم في مكّة، فَخَفَّ لذلك بعضهم، وتثاقل آخرون؛ إذْ لم يكونوا يتصوّرون قتالا في ذلك.

وَتَحسَّسَ أبو سفيان الأمرَ وهو في طريقه إلى مكّة، فبلغه عزم المسلمين على خروجهم لأخذ العِير، فأرسل ضَمْضَمَ بن عمرو الغِفاري إلى مكّة ليخبر قريشا بالخبر، وخرج ضَمْضَمُ سريعا حتّى أتى مكّة فَاسْتَنْفَرَهُمْ للخروج محافظةً على أموالهم، فتجهَّزوا سِرَاعًا، وخرج كلُّهم قاصدين الغزو حتّى إنّه لم يتخلَّف من أشراف قريش أَحدٌ، وكان عدد المشركين قريبا من ألف مقاتل.

وأمّا رسول الله ﷺ فقد خرج في ليالٍ مضت من شهر رمضان مع أصحابه، وكانوا فيما رواه ابن إسحاق ثلاثمائة وأربعة عشر (314) رجلا، وكانت إبلهم سبعين (70) يتعاقب على الواحدة منها اثنان أو ثلاثة من الصّحابة، وهم لا يعلمون من أمرِ قريشٍ وخروجهم شيئا، أمّا أبو سفيان فقد أُتِيحَ له أن يُحْرِزَ عيره، ويُنجي تجارته من الخطر.

ثمّ إنّ النبي ﷺ أتاه خبر مسير قريش إلى المسلمين، فاستشار من معه من أصحابه، فتكلّم المهاجرون كلاما حسنا، وكان منهم المقداد بن عمرو، فقال المقداد رضي الله عنه: "يا رسول الله امضِ لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكم مقاتلون، فَوَالَّذِي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد -يعني مدينة الحبشة- لَجَالَدْنَا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له ﷺ خيرا، ودعا له.

ولكنّ النبي ﷺ ظلّ ينظر إلى القوم -يريد أن يسمع رأي الأنصار- ويقول: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**»، فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: "والله لَكَأَنَّكَ تريدنا يا رسول الله؟" قال: «**أَجَلْ**»، فقال سعد: "فقد آمَنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السّمع والطّاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فَوَالَّذِي بعثك بالحقّ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غدًا، إنّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللّقاء، لعلّ الله يريك منّا ما تَقَرُّ به عينك، فَسِرْ بنا على بركة الله"، فَسُرَّ النبي ﷺ بقول سعد، ثمّ قال: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ**»، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 7-8].

ثمّ إنّ النبي ﷺ أخذ يَتَحَسَّسُ أخبار قريش وعددَهم عن طريق العيون التي بثَّها حتّى عَلِمَ المسلمون أنّهم ما بين التِّسعمائة (900) والألف (1000) مقاتل، وأنّ فيهم عامّة زعماء قريش.

وكان أبو سفيان قد أرسل إليهم أن يرجعوا إلى مكّة؛ إذْ أنّه قد أَحْرَزَ العير، ولكنّ أبا جهل أصرّ على المُضيّ، وقال: "والله لا نرجع حتى نرد بدرا -وكان بدر موسما من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام- فنقيم عليه ثلاثا، فننحر الجزور، ونطعم الطّعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا الْقِيَانُ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا"، فأبو جهل عليه لعنة الله أرادها مكاثرةً، ومباهاةً، ورياءً، حتّى إنّ الله قال مخاطبا المؤمنين: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: 47].

ومضى أبو جهل ومن معه حتّى نزلوا بالعُدوة القُصوى من الوادي، ونزل رسول الله ﷺ عند أَدْنَى ماءٍ من مياه بدر، فقال الْحُبَابُ بن المنذر رضي الله عنه: "يا رسول الله، أرأيتَ هذا المنزل، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نَتَقَدَّمَهُ، ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟"، قال: «**بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ**»، فقال: "يا رسول الله فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالنّاس حتى نأتي أَدْنَى ماءٍ من القوم، فَنَنْزِلَهُ، ثم نُغَوِّرُ (نطمس) ما وراءه من القُلُبِ (الآبار)، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون"، فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ**»، فنهض رسول الله ﷺ وتحوّل إلى الرّأي والمكان اللّذَيْنِ أشار بهما الحُباب بن المنذر رضي الله عنه.

وفي هذه الأثناء اقترح سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يُبْنَى عريشٌ للنبي ﷺ يكون بمأمنٍ فيه رجاء أن يعود سالما إلى من تخلّف من المسلمين في المدينة، وأن لا يُنكبوا بفقده، فوافق ﷺ على ذلك، ثمّ أخذ النبي ﷺ يُطَمْئِنُ أصحابه بتأييد الله ونصره؛ حتّى إنّه كان

يقول: «**هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ**» من المشركين، وهو يضع يده على الأرض ههنا، ههنا- فما تزحزح أحدهم في مقتله عن موضع يد رسول الله ﷺ.

وراح رسول الله ﷺ يجأر إلى الله تعالى بالدّعاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان، ويقول: «**اللَّهمّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهمّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللهم أَحِنْهُمْ الْغَدَاةَ**»، وظلَّ يُناشد الله متضرّعا وخاشعا، وهو يبسط كفّيه إلى السّماء حتّى أشفق عليه أبو بكر ﵁ فَالْتَزَمَهُ من ورائه، وقال له: "أَبْشِرْ فَوَالَّذِي نفسي بيده لَيُنْجِزَنَّ الله ما وعدك".

وأقبل المسلمون كذلك يستنصرون الله، ويستغيثونه، ويخلصون له في الضّراعة، ويُصَوِّرُ لنا القرآن الكريم هذا المشهد، فيقول: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: 9-10].

وفي صبيحة يوم الجمعة السّابع عشر من رمضان لسنتين خلتا من الهجرة بدأ القتال بين معسكر الكفر ومعسكر الإيمان، وأخذ النبي ﷺ حَفْنَةً من الحصباء فاستقبل بها قريشا، وقال: «**شَاهَتْ الْوُجُوهُ**»، ثمّ نفحهم بها، فلم يَبْقَ فيهم رجلٌ إلّا امتلأت عيناه منها، وهذا مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، ثمّ بعد ذلك أخذ النبي ﷺ يُحرّض أصحابه على القتال والاستشهاد في سبيل الله، وهذا امتثالا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ﴾ [الأنفال: 65]، وقال لهم النبي ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**»، فقال له عُمَيْرُ بن الحُمام الأنصاري ﵁: "يا رسول الله، جنّةٌ عرضها السموات والأرض؟" فقال: «**نَعَمْ**»، فقال: "بَخٍ، بَخٍ"، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**»، قال: لا والله يا رسول الله إلّا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، قال: فأخرج تمراتٍ من قَرْنِه، فجعل يأكل منهنّ، ثم قال: لئن أنا حَيِيتُ حتّى

آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التّمر، وأقبل على ساحة المعركة، وهو يقول:

رَكْضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ ** إِلَّا التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ ** وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

وقاتل ﷺ واستُشهد.

وأيّد الله تبارك وتعالى في هذه الغزوة بالملائكة يقاتلون مع المسلمين، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

وَانْحَسَرَ القتال عن نصرٍ كبيرٍ للمسلمين، وقُتل في تلك الموقعة سبعون (70) من صناديد الكُفر؛ أمثالُ أبي جهل، وأُميّة بن خلف، من زعماء قريش؛ هولاء الذين كانوا يُعارضون النبي ﷺ، ويصدّون عن سبيل الله، أبو جهل هذا الذي قال: "والله لا نرجع... "، وهو يذهب إلى إلى حتفه ولا يدري، وأُسِر سبعون (70)، واستُشهد من المسلمين أربعة عشرة (14) رجلا.

وَأُلْقِيَتْ جثث المشركين الذين صُرِعُوا في هذه الغزوة في قَلِيبِ بدر، وقام رسول الله ﷺ على شِفَّة البئر، فجعل يناديهم بأسمائهم، وأسماء أبائهم: «**يَا فُلَانُ بن فُلَانٍ، وَيا فُلَانُ بن فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا**»، فقال عمر ﷺ: "يا رسول الله ما تُكلِّم من أجسادٍ لا روح لها"، فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**».

واستشار النبي ﷺ أصحابه في أمر الأَسرى، فأشار عليه أبو بكر ﵁ أن يأخذ منهم فِدْيَةً من المال تكون عونا للمسلمين، ويتركهم عسى الله أن يهديهم، وأشار عمر بن الخطاب ﵁ بقتلهم؛ لأنّهم أئمّة الكُفر وصناديده، وأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر بافتدائهم بالمال غير أنّ آياتٍ من القرآن الكريم نزلت عِتابا لرسول الله ﷺ، وتأييدا لرأي عمر ﵁، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٩﴾[الأنفال: 67-69]، حتّى إنّ النبي ﷺ قال: «**لَوْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَذَابٌ مَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عُمَرُ**».

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لما فيه الخير، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله؛ الحمد لله لا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا ينقُص من ملكه جحود الجاحدين، من شكر، فإنّما يشكر لنفسه، ومن كفر فإنّ ربي غني كريم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لما فيه الخير، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، اللهم تقبّل منّا صلاتنا وصيامنا وقيامنا يا ربّ العالمين، اللهم اجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، اللّهمّ حبِّب إلينا الإيمان، وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الرّاشدين يا ربّ العالمين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا يا ربّ العالمين، اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين يا ربّ العالمين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وفي العراق،

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين؛ اللهم انصرهم على أعدائك وأعداء دينك، وأعداء البشرية جمعاء يا ربّ العالمين، اللهم إنهم جياعٌ فأطعمهم، اللهم إنهم عراة فَاكْسُهم، اللهم إنهم حفاة فأحملهم، اللهم إنّ الدنيا كلَّها قد تظاهرت وتآمرت عليهم؛ فاللّهم كن لهم معينا، وكن لهم نصيرا، وكن لهم ظهيرا يا ربّ العالمين، اللهم فُكّ حصارهم، االلهم آمين آمين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

الاجتهاد في العشر الأواخر

الخطبة الأولى:

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله، نشهد أنّه قد بلَّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة وكشف الله به الغُمّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، تركنا على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن اتّبعها كان كالشّمس في ضحاها، وكالقمر إذا تلاها، وكالنّهار إذا جلّاها، ومن زاغ عنها كان كالظُّلمة في دُجاها، وكاللّيل إذا يغشاها، فاللّهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتَّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

إخوة الإيمان: بالأمس القريب كُنّا نستعد لاستقبال هذا الشّهر الكريم، وكُنَّا ندعو الله عزّ وجلّ، وكلُّنا رجاء وأمل في أن يبلّغنا الله هذا الشّهر الكريم، وقد بلَّغنا الله بمنّه وكرمه هذا الشّهر، وها نحن اليوم في أوّل يومٍ من العشر الأواخر، والتي نسأله تبارك وتعالى فيها أن يبلّغنا ليلة القدر، اللّهمّ يا ربّنا كما بلَّغتنا شهر رمضان، فاللّهم بلّغنا ليلة القدر يا ربَّ العالمين.

وقد كان النبي ﷺ كما تروي لنا أمُّنا عائشة رضي الله تعالى عنها، تقول: "كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان، ما لا يجتهد في غيره"[1]، وتقول عنه كذلك كما

---

(1)- رواه مسلم ف صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، حديث رقم: 1175، 832/2. دون لفظ: "**من رمضان**"، وهي مثبتة في السنن الكبرى للبيهقي، حديث رقم: 8561، 516/4.

جاء في صحيح البخاري: "كان النبي ﷺ إذا دخلت العشر الأواخر شَدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله"[(1)] ﷺ.

وإذا كان الاجتهاد في شهر رمضان يكون أكثرَ في غيره من الشّهور، فإنّ في هذه العشر الأواخر يكون الاجتهاد فيها أكثرَ من سائر أيّامه ولياليه الأخرى، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ، فما هو سِرُّ اجتهاد النبي ﷺ في الطّاعة، والعبادة في هذه العشر الأخيرة من شهر رمضان؟

لذلك سببان أيها الإخوة الأكارم:

السبب الأول: هو أنّ هذه العشر خِتام الشّهر، فكان ﷺ يريد أن يُخْتَمَ له هذا الشّهر بخير العمل، وبالنَّشاط، وبالاجتهاد في العبادة؛ ولذلك كان من دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ، وخَيْرَ عُمُرِي آخِرَهُ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ**»[(2)]؛ فكان ﷺ يريد أن يختم هذا الشّهر بأكثرَ نشاطا، واجتهادا في العبادة؛ لأن الأعمال بالخواتيم.

السبب الثاني: أمّا السِرُّ الثاني من وراء زيادة اجتهاد النبي ﷺ في هذه العشر الأواخر هو: أنّ هذه العشر الأواخر فيها ليلة القدر التي يقول النبي ﷺ فيها: «**مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ**»[(3)].

هذه اللّيلة التي ميّزها الله تبارك وتعالى وفضَّلها على سائر اللّيالي؛ فأنزل فيها القرآن الكريم خير كتبه على محمد ﷺ خيرِ رسله، ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ

(1)- روا البخاري في صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، حديث رقم: 2024، 47/3.

(2)- جاء في هذا الدعاء تقديم وتأخير، ونصه: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِي آخِرَهُ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ، وَاجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ**». رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، باب مل يقول في دُبر صلاة الصبح، حديث رقم: 121، ص108.

(3)- سبق تخريجه ص10.

مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ ، نعم هذه اللّيلة التي أنزل الله تبارك وتعالى فيها هذا القرآن الذي غيَّر وجهة الدّنيا من الكفر إلى الإيمان، ومن الشّرّ إلى الخير، ومن الضَّلال إلى الهدى، نعم إنه القرآن الكريم.

وذكر عدد "الألف" الذي جاء في هذه السّورة بأنها خير من ألف شهر، كما يقول بعض المفسِّرين: أنها لا تعني الْأَلْفَ في حدِّ ذاتها، وإنّما هي تعني التَّكثير، وإلّا فإنّ هذه اللّيلة هي خيرٌ من الزّمن كلِّه، فكم مرَّ من الليالي، والأيَّام، والشُّهور والسُّنون، ولكنّها لم تعمل ما عملته هذه اللّيلة في هذا الكون من هذا التغيير العجيب نتيجة إنزال القرآن فيها؛ لذلك كان النبي ﷺ يجتهد في هذه العشر الأواخر عساه يدرك ليلة القدر شكرا لله تبارك وتعالى على نعمة القرآن.

والنبي ﷺ كما تقول عنه أمُّنا عائشة رضي الله عنها: "كان يُجَاوِر في العشر الأواخر من رمضان"؛ أي يعتكف، ويقول: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ**»[1].

وهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يروي لنا فيقول: خرج علينا النبي ﷺ صبيحة العشرين من رمضان، فخطبنا ﷺ، فقال: «**إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي نُسِّيتُهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي وِتْرٍ**»[2]؛ فهي في الوتر من هذه العشر، فلا يوجد هناك يقين أيُّ ليلةٍ هي؟ وإن كان الصّحابي الجليل أُبَيّ بن كعب كان يُقسم ويقول: بأنها ليلة

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، حديث رقم: **2020، 47/3.**

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف وخرج النبي ﷺ صبيحة عشرين، حديث رقم: **2036، 49/3.**

السّابع والعشرين[1]، وكان ابن عباس يرى رأْي أُبَيّ بن كعب رضي الله تعالى عن الجميع[2]، وهذا هو رأي جمهور المسلمين، حتّى غدت الاحتفالات الرَّسمية بهذه الليلة المباركة ليلة السّابع والعشرين، والشّافعية يرون أنها ليلة الواحد والعشرين.

إلّا أننا نقول: أنّه لا يقين في هذه اللّيلة، فقد أخفاها الله تبارك وتعالى لحكمة، ولعلّ من الحِكمة في ذلك هو أن يجتهد المسلم طيلة العشر الأواخر؛ فيزداد خيرا من وراء ذلك، كما أخفى الله ساعة الإجابة في يوم الجمعة؛ حتى يجتهد المسلم في الدُّعاء طيلة يوم الجمعة، وكما أخفى سبحانه وتعالى اسمه الأعظم؛ الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى؛ حتى يدعو المسلم ربّه بكل أسمائه الحسنى.

---

(1)- أثر أبيّ بن كعب رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، حديث رقم: 762، 525/1. ونص الأثر: عن زر، قال: سمعت أبي بن كعب، يقول: وقيل له إن عبد الله بن مسعود، يقول: "من قام السنة أصاب ليلة القدر"، فقال أبي: "والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان، يحلف ما يستثني، ووالله إني لأعلم أيَّ ليلة هي؛ هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها".

(2)- أثر ابن عباس رصي الله عنهما رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم: 1597، 604/1. وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". وهو أثر طويل، وكذلك رواه عبد الرزاق في المصنف، حديث رقم: 7679، 246/4. غير أن هناك اختلافا في اللفظ محلّ المسألة؛ فعند الحاكم: "السَّبع"، وعند عبد الرزاق: "سابعة تمضي، أو سابعة تبقى من العشر الأواخر"؛ بمعنى أنها تكون ليلة السابع والعشرين أو ليلة الثالث والعشرين، أمّا في قوله: "سابعة تمضي"، فهذا لا إشكال فيه؛ فهي ليلة السابع والعشرين، وأمّا قوله: "أو سابعة تبقى"؛ فإنها تكون ليلة الثالث والعشرين إذا كان الشهر ناقصا، وتكون ليلة الرابع والعشرين إذا كان الشهر تامًّا، والأحاديث الصحيحة تقول أنها في الوتر.

وممّا يدلّ على أنّ هذه الليلة غير معلومة يقينا ما رواه عبادة بن الصّامت ﵁ أنّ النبي ﷺ قال لهم: «**خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ** (أي تخاصم رجلان)، **فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ**»[1].

نعم إخوة الإيمان: فهذه اللّيلة هي ليلة مباركة، والمسلم مُنْتَدَبٌ إلى أن يجتهد في هذه العشر الأواخر، عسى أن يُدركها؛ فَتُدْرِكَهُ رحمة الله تبارك وتعالى.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفره تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس، حديث رقم: 2023، 447/3. وليس في لفظ البخاري: «**فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ**»، وإنما فيه: «**فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالخَامِسَةِ**»، ولفظ العشر الأواخر جاء في معرفة السنن والآثار للطحاوي ونصُّه: «**فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ**». معرفة السنن والآثار، حديث رقم: 9075، 387/6.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الحمد لله لا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا يَنْقُص من ملكه جحود الجاحدين، من شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإنّ ربّي غني كريم، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله أما بعد:

إخوة الإيمان: يقول النبي ﷺ في هذه اللّيلة المباركة: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1]؛ فَضْلٌ عظيم، وخير كبير، من رحمن رحيم، سبحانه وتعالى، والنبي ﷺ في هذا الحديث خصَّ اللّيل بالذّكر، ولم يقل نهارَ أو يومَ القدر، لا، قال: «**لَيْلَةَ القَدْرِ**»؛ لأنّ اللّيل فيه السُّكون، وفيه الهدوء، وهو أدْعى لأن يأنس المؤمن فيه بربّه، ولِأَنْ يتدَبَّر آياته، وهو أدْعى كذلك إلى الإخلاص لله تبارك وتعالى؛ ولذلك نجد القرآن الكريم يُشِيدُ باللَّيل فيقول: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: 06]، ويقول الله تبارك وتعالى آمِرا نبيه ﷺ-: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79]، ويقول عن أولئك المتّقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذّاريات: 15-18].

نعم أيُّها الإخوة الأكارم: اللَّيل يأنس فيه المؤمنون بخالقهم سبحانه وتعالى، الليلُ عند المؤمنين عكسُه عند الفُجّار والفاسقين الذين يرون الليل لشهواتهم ولِمَلَذَّاتهم ولِلَيَالِيهم الحمراء، التي يعصون الله تبارك وتعالى فيها؛ ولذلك نجد هذا الشّاعر المؤمن الذي يخاطب اللَّيل فيقول:

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية، حديث رقم: 1901، 26/3.

يَا لَيْـــلُ قيَامُـــكَ مَدْرَسَـــةٌ ** فِيهَـــا الْقُـــرْآنُ يـــُدَرِّسُنِي
مَعْـــنَى الْإِخْـــلَاصِ فَأَلْزَمُـــهُ ** نَـــهْجًا بِالْجَنـــَّةِ يـــُجْلِسُنِي
وَيُبَصِّـــرُنِي كَيْـــفَ الدُّنْيَـــا ** بِالْأَمَلِ الْكَاذِبِ تَغْـمِسُـــنِي
مِثْـــلُ الحِـــرباءِ تَلوُّنُهَـــا ** بِالْإِثْـمِ تُحَاوِلُ تَطْمِسُـنِي
فَأُبَاعِـــــدُهَا وَأُعَانِـــــدُهَا ** وَأُرَاقِبُهَـــا تَتـــــهَجَّسُنِي
فَأَشُـــدُّ الْقَلْـــبَ بِخَالِقِـــهِ ** وَالذِّكْـــرُ الـدَّائِمُ يَحْرُسُـنِي

نعم إخوة الإيمان: وهذا أحد الصّالحين كان نائمًا، وإذا به يستيقظ على صوت الحمام، فأدرك أنه كان غافلا؛ لأن هذا الحمام بتغريده هو يسبّح الله، وهو غافل نائم، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، فعندما استيقظ على صوت الحمام قال معاتبا نفسه:

أَنَامُ عَـــلَى سَهْـــوٍ وَتَـــبْكِي الْحَمَـــائِمُ ** وَلَيْسَ لَهَا جُرْمٌ وَمِنّـــِي الْجَرَائِمُ
كَذَبْتُ لَعَمْرُو اللهِ لَوْ كُنْتُ صَادِقًـــا ** لَمَـا سَبَقَتْـنِي بِالْـبُكَاءِ الْـحَمَائِمُ

وهذا مالك بن دينار نام ذات يومٍ عن وِرْدِهِ، وإذا به تأتيه جاريةٌ في المنام، وبيدها رُقْعَةٌ، فقالت له: أَتُحسِنُ القراءة؟ قال: نعم، فأعطته الرُّقْعَةَ، فأمسك بهذه الرُّقعة، وإذا به مكتوبٌ عليها:

أَأَلْـهَتْكَ اللّذَائِـذُ وَالْأَمَانِـــي ** عَنِ الْبِيضِ الْأَوَانِسِ فِي الْجِنَانِ
تَعِيشُ مُخَلَّدًا لَا مَوْتَ فِيهَـا ** وَتَلْهُو فِي الْجِنَانِ مَعَ الْحِسَـــانِ
تَنَبَّـهْ مِـنْ مَنَامِـكَ إِنَّ خَيْـرًا ** مِـنَ النَّـوْمِ التَّهَجُّـدُ بِالْقُـرْآنِ

فهذه الأيّام فيها ليالٍ مباركات؛ أيّام فيها نفحات ربّانية، فلنتعرَّضْ لهذه النّفحات عسى أن يشملنا الله تبارك وتعالى برحمةٍ منه، فلا نشقى بعدها أبدا.

اللهم بلّغنا ليلة القدر يا رب العالمين، اللهم بلّغنا ليلة القدر، اللهم بلغنا ليلة القدر يا رب العالمين بمنّك، وكرمك، ورحمتك يا ربّ العالمين، اللهم تقبّل منا الصّلاة،

والصّيام، والقيام وسائر الطّاعات والقُرُبات يا رب العالمين، اللهم يا ربي بمنِّك، وكرمك، ورحمتك اجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، اللهم اجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، اللهم آمين آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فضل ليلة القدر وعمل القرآن الذي فيها أُنزل في جيل الصّحابة

الخطبة الأولى

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله، نشهد أنّه قد بلَّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة وكشف الغُمّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، تركنا على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن اتّبعها كان كالشّمس في ضُحاها، وكالقمر إذا تلاها، وكالنّهار إذا جلّاها، ومن زاغ عنها كان كالظُّلمة في دُجاها، وكاللّيل إذا يغشاها، فاللّهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطيِّبين الطاهرين، والتَّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

إخوة الإيمان: فلقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يُفَضِّل بعض الأزمنة على بعض؛ فقد فضَّل الله سبحانه وتعالى شهر رمضان على سائر الشّهور، وفضَّل في هذا الشّهر ليلةً؛ فهي خير من سائر اللّيالي؛ وهذه اللّيلة هي ليلة القدر التي يقول الله تبارك وتعالى فيها في كتابه الكريم -وقد خصّها بسورة كاملة-: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾

إخوة الإيمان: الحديث في هذه السُورة هو عن ذلك الحدَث المشهود، ذلك الحدث الموعود؛ أَلَا وهو حدث نزول القرآن على قلب سيدنا محمد ﷺ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، وهذا الإنزال؛ هو اتّصال الأرض بالملأ الأعلى؛ اتّصال هذه الأرض بهدي

السماء، ولتعظيمها وتفخيمها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، وهي ﴿خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ﴾، وذكر العدد هنا كما يقول بعض المفسِّرين: ليس المقصود منه التَّحديد بالذّات، لا، فالمقصود منه هو التّكثير، وإلّا فإنّ ليلة القدر هي خير من آلاف الشهور، بل هي خير من الزّمن كلِّه؛ لأنه قد مرَّت الآلاف، بل الملايين من اللّيالي، ولكنَّها لم تترك ولو جزءً بسيطا ممَّا تركته هذه الليلة المباركة من آثار، ومن تحوُّلات على هذه الأرض.

وليلة القدر إخوة الإيمان: سمَّاها الله سبحانه وتعالى ليلة القدر، وقد يكون معنى القدر هنا كما يقول المفسِّرون: إنّ الله سبحانه وتعالى يُقَدِّرُ في هذه اللّيلة المباركة ما سيكون في السّنة القَابِلة؛ أي في السّنة القادِمة، وهناك معنى آخر، وهو: أنّ الله سبحانه وتعالى سمّاها بذلك لِعظم قدرها وشرفها ومقامها، وكلا هذين المعنيين يتّفقان مع ذلك الحدث العظيم، وهو حدث نزول القرآن الكريم.

ويقول الله تبارك وتعالى عنها في سورة الدّخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الدّخان: 3-6]؛ هذا الإنزال والإرسال هو رحمة من الله بهذه البشرية، ولولا رحمة الله لَمَا كان ذلك ﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾، رحمةً من الله سبحانه وتعالى بالإنس والجان، بل بسائر العالمين.

نعم إخوة الإيمان: فهذا القرآن الذي أنزله الله تبارك وتعالى في هذه اللّيلة كان له الأثر البالغ على هذه الدّنيا بأسرها؛ فقد حوَّل وجهتها من الكفر إلى الإيمان ومن الضّلال إلى الهدى، ومن الجاهلية إلى الإسلام؛ هذا القرآن الذي احدث ثورة؛ أحدث ثورة في قلوب وعقول وتصوُّرات العرب الذين أُنزل فيهم، ومن خلالهم على العالم بأسره؛ ثورة على مستوى الفِكر، ثورة على مستوى العقائد، ثورة على مستوى الشُّعور والوُجدان، ثورة على مستوى العمل والسلوك، ونجد العرب الذين أُنزل فيهم هذا القرآن، وقرأوه قد

تغيَّرت سلوكاتهم، تغيَّرت معتقداتهم، تغيَّرت أفكارهم، تغيَّرت نظرتهم إلى الحياة على جميع الأصعدة، وعلى جميع المستويات؛ فنجد هولاء الذين كانوا رعاةً للغنم، أصبحوا بفضل هذا القرآن قادةً ودعاةً للأمم، ونجد أنّ هؤلاء العرب الذين كانوا قبائل متناحرةً، متقاتلةً، متدَابرةً أصبحوا بفضل هذا القرآن أمَّةً واحدة تُوَحِّدُ الواحد، ولا تتوجّه إلّا له بالانقياد والعبادة سبحانه وتعالى.

وإليكم بعضٌ من النّماذج من هذا التغيُّر الذي طرأ على هؤلاء العرب:

النموذج الأول: هذا عمر بن الخطاب ﵁، كيف كان في الجاهلية؟ كيف كان قبل أن يؤمن برسالة محمد ﷺ؟ كيف كان قبل أن يفعل القرآن فيه مفعوله؟ كانوا يقولون عنه: "إنه والله لا يُسْلِمُ حتّى يُسْلِمَ حمار الخطّاب"، ولكنّه ﵁ حين قرأ القرآن، وآمن برسالة محمد ﷺ، وخالط الإيمان بشاشة قلبه، أصبح خَلْقًا آخر؛ فكان قائدا مُلْهَمًا، والخليفة الثاني للمسلمين بعد أبي بكر رضي الله تعالى عن الجميع.

جاءه أعرابي ذات يومٍ يسأله عطيّةً، فقال له:

يَا عُمَـرَ الْخَـيْرِ جُزِيـتَ الجُنَّـهْ ** اُكْـــسُ بُنَيَّـــاتِي وَأُمَّهُنَّـــهْ

أُقْسِمُ بِاَللَّهِ لَتَـفْعَلَنَّهْ

فقال له عمر: فإذا لم أفعل، فماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

إذًا أَبَا حَـفْصٍ لَاَمْـضِيَنَّـهْ

قال عمر: فإذا مضيت، فماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

يَكُـونُ عَـنْ حَـالِي لَتُسْـأَلَنَّهْ ** يَوْمَ تَكُونُ الْأَعْطِيَـاتُ مِنَّـهْ

إمَّا إلَى نَارٍ وَإِمَّا إلى جَنَّهْ

فعندما سمع عمر هذا الكلام، وتذَكَّر يوم القيامة؛ يوم أن تكون الْأَعْطِيَاتُ مِنَّةً من الله، فبكى عمر حتّى اخْضَلَّت لحيته ﵁ وأرضاه، وقال لغلامه: إِعْطِهِ ثوبي هذا، أَمَا وإنّي والله لا املك غيره.

ما الذي صنع عمر؟ ما الذي شكَّل عمر هذه التّشكيلة العجيبة؟ ما الذي جعل عمر وهو يحكم الدّنيا بأسرها يستمع لكلام أعرابي بسيط يسأله عَطِيَّة؟ وما الذي جعله لا يملك إلّا ثوبين، وبيده خزائن الأرض؛ الثوب الذي يلبسه، وهذا الإزار الذي أمر غلامه أن يعطيه للأعرابي، إنّه هدي القرآن يا سادة[1].

النموذج الثاني: واسمعوا معي إلى هذه الحادثة التي يرويها ابن عساكر في تاريخه عن أبي صالح الغِفاري: "أنّ عمر بن الخطّاب ﵁ كان يتعاهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من اللّيل؛ فيستقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرّة كيلا يُسْبَقَ إليها، فرصده عمر، فإذا هو بأبي بكر الصّدّيق ﵁ الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لَعَمْرِي"[2]،لم يكن أبو بكر ﵁ يفعل هذا الأمر في حملة انتخابية؛ حتى ينتخبه النّاس، ويصبح نائبا في البرلمان أو وزيرا، وإنّما كان يفعل ذلك لوجه الله عزّ وجلّ، لا يريد من تلك المرأة العجوز جزاء ولا شكورا؛ يفعل ذلك انطلاقا من مسؤولياته التي أناطها به كتاب ربّه الذي قرأه وآمن به.

نعم إخوة الإيمان: هذا هو القرآن الذي آمن به هؤلاء، وقرأوه واهتدوا بهديه، ونجد هذه النّماذج المشرّفة في كلّ الميادين؛ في ميدان الجهاد، في ميدان الإنفاق في سبيل الله، في ميدان الانتهاء عمَّا حرَّم الله.

---

(1)- ينظر في حادثة عمر: الماوردي، الأحكام السُّلطانية، ص204.

(2)- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 322/30.

النموذج الثّالث: حين نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]، كان الابن وأبوه يتنافسان على الجهاد، فَيَسْتَهِمَانِ؛ فتخرج القُرْعَةُ سَهْمَ الابن، فيقول الأب: آثرني يا بني، فيقول الابن: يا أبتاه والله إنها الجنّة، ولو كان غيرها لآثرتك[1].

النموذج الرّابع: وفي ميدان الإنفاق ما حادثة أبي الدَّحداح وأمّ الدَّحداح عنَّا ببعيد، التي ذكرناها البارحة في الدَّرس[2].

النموذج الخامس: لَمَّا نزلت هذه الآية التي تخاطب نساء المؤمنين: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور: 31]، لم تقل الواحدة منهنّ يأتي يوم أو يومين وأُخيط ثوبا يتناسب مع هذا الواجب الجديد، وإنّما كلُّ واحدة منهنّ لجَأَتْ في التَّوّ والحال إلى ثيابها لتقتطِع منه قطعة تَتَخَمَّرُ بها، وتضرب بها على جيبها امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى[3]، هكذا نجد هذا الجيل الفريد الذين غيّر القرآن مجرى حياتهم.

---

(1)- رواه سعيد بن منصور في سننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الشهادة، حديث رقم: 2558، 256/2. ورواه الحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة، حديث رقم: 4866، 209/3. قال الذهبي: "مرسل وإسناده ضعيف".

(2)- ينظر ص15.

(3)- هذه إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي تقول فيه: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَلَ، لما أنزل الله: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾[النور: 31]،شققن مروطهن فاختمرن بها". رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾[النور: 31]، حديث رقم: 4758، 109/6.

والقرآن ليس خاصًّا بهؤلاء، وإنّما هناك سنن وقوانين في هذا القرآن، فمن اتَّبعها واقتفى أثرها، فإنّه يفوز ويفلح في الدنيا والآخرة، وهو لا يزال بين أيدينا، فما علينا إلّا أن نبادر لقراءة هذا القرآن، والعمل به حتى نفوز بخيري الدّنيا والآخرة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله؛ الحمد لله لا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا يَنْقُص من ملكه جحود الجاحدين، من شكر فإنّما يشكر لنفسه، ومن كفر فإنّ ربي غني كريم، وأشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

إخوة الإيمان: هذه اللّيلة المباركة التي قال الله تبارك وتعالى عنها أنها ﴿**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾؛ بمعنى أنّ العمل، والعبادة فيها، يفوق عبادة ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر، وهذه فرصة عظيمة؛ فينبغي على المسلم أن يَتَحَرَّى هذه اللّيلة، وهناك روايات تؤكد بأنّ هذه اللّيلة في العشر الأواخر من هذا الشهر الكريم؛ فقد كان النبي ﷺ كما تقول عنه السيّدة عائشة رضي الله عنها: "يجتهد في العشر الأواخر من شهر رمضان ما لا يجتهد في غيره"[1]، "وكان يجاور في المسجد (أي يعتكف) ويقول لأصحابه: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ**»[2].

---

(1)- سبق تخريجه ص32.

(2)- سبق تخريجه ص34.

وخرج على أصحابه ﷺ في صبيحة العشرين في رمضان، فخطبهم وقال: «**إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا أَوْ نُسِّيتُهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي الْوَتْرِ**»[1]، وفي رواية: «**ابْتَغُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ**»[2].

وإذا غُلِبَ الإنسان على العشر الأواخر فلا يُغْلَبَنَّ عن السّبع الأواخر؛ فقد جاء عن ابن عمر كما في الصّحيحين: أنّ رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ أُرُوا ليلة القدر في السّبع الأواخر؛ رأوها في المنام، فقال لهم النبي ﷺ: «**أَمَا وَإِنَّ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ** (أي توافقت) **فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ**»[3].

وليلة القدر إخوة الإيمان: كما قال عنها النبي ﷺ لأصحابه حين حضرهم شهر رمضان: «**لَقَدْ حَضَرَكُمْ هَذَا الشَّهْرَ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ**»[4]، نسأل الله سبحانه وتعالى ألّا يحرمنا خير هذه الليلة المباركة.

وقد كان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأُبَيّ بن كعب ﷺ يقولان: بأنّ ليلة القدر هي ليلة السّابع والعشرين من شهر رمضان، وكان أُبيّ بن كعب ﷺ يحلف على ذلك لعلامات رآها؛ يعني رأى علامات كان قد حدَّثهم بها رسول الله ﷺ، ولكن إخوة الإيمان نظرا لهذه الأحاديث الصّحيحة؛ فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يجزم متى تكون ليلة القدر؟ الشيء المجزوم به هو أنّ هذه اللّيلة في العشر الأواخر، والله سبحانه وتعالى أخفى هذه اللّيلة لحكمة

---

(1)- سبق تخريجه ص 34.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب فصل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، حديث رقم: 2018، 46/3.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب فصل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، حديث رقم: 2015، 46/3. إلّا أنه في البخاري: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ**» بدل: أمَا وإنّ رؤياكم.

(4)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، حديث رقم: 1644، 560/2. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "حسن".

يعلمها سبحانه وتعالى، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة؛ حتى يبقى المسلم طيلة هذا اليوم يضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالدّعاء، وأخفى سبحانه وتعالى اسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب؛ حتّى يدعو المسلم بأسماء الله سبحانه وتعالى كلّها.

ويروي لنا الإمام البخاري عن عبادة بن الصّامت ﵁ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يريد أن يخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان (تخاصم رجلان)، فقال النبي ﷺ: «**خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ فَرُفِعَتْ** (أُنظروا إلى مدى تأثير التّخاصم في رفع الخير)، **وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا**»[1]؛ عسى أن يكون في عدم العلم بها خيرا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى إدراك ليلة القدر، نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لما فيه الخير، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وَقِنَا واصرف عنا شرَّ ما قضيت؛ فإنك تقضي، ولا يُقضى عليك، وإنّه لا يذل من وَالَيْتَ، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، اللّهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا يا رب العالمين.

اللّهم تقبل منّا صيامنا، وصلاتنا، وقيامنّا يا رب العالمين، اللهم تقبَّل منّا، اللّهم اجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، اللهم اجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، اللهم اجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم؛ فأنت وليّ ذلك والقادر عليه يا رب العالمين، اللهم آمين آمين، وسلام على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1)- سبق تخريجه ص36

وقفات وتوصيات بعد شهر الصيام

الخطبة الأولى

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعيده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله، نشهد أنه قد بلَّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة، وكشف الله به الغُمّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، تركنا على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن اتّبعها كان كالشّمس في ضحاها، وكالقمر إذا تلاها، وكالنّهار إذا جلّاها، ومن زاغ عنها كان كالظُّلمة في دُجاها، وكاللَّيل إذا يغشاها، فاللّهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

إخوة الإيمان: ها قد انقضى شهر رمضان، وسينقضي بعده شهرُ شوّال، وسينقضي كلُّ شيء في هذه الدّنيا ويزول، بل إنّ الدّنيا كلّها بِرُمَّتِهَا إلى زوال، وهكذا إخوة الإيمان تنقضي أعمارُنا؛ فاليوم نحن فوق التُّراب، وغدا سنكون تحت الأرض، نعم.

لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ نَمْضِـي أَوْ مَتَى؟ ** كُلُّ مَـا أَدْرِيـهِ أَنَّا سَـوْفَ نَمْضِـي

فِي طَرِيـقِ الْمَـوْتِ يَجْـرِي كُلُنَـا ** فِي سِـبَاقٍ بَعْضُـنَا فِي إِثْرِ بَعْـضِ

كبُخَـارٍ مُضْـمَحِلٍّ عُمْـرُنَا ** مِثْلَ بَرْقٍ سَوْفَ يَمْضِي مِثْلَ وَمْضِ

الفضيل بن عياض عليه رحمة الله لقي رجلا -رُبّمَا رأى الفضيل علامات التقصير على هذا الرجل- فسأله الفضيل: كم أَتَتْ عليك؟ أي كم مرَّ من عمرك؟ فقال الرجل: ستّون عاما، فقال له الفضيل: أنت منذ ستّين عاما، وأنت تسير إلى الله، ويوشك أن تصل، فقال له الرّجل: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فقال له الفضيل: أتعلم ما قولك إنّا لله وإنّا إليه راجعون؟ قال الرجل: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! قال: ما تفسيرها؟ قال له:

لست ادري، ففسِّرها لي يا إمام، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ أي أنَّني أنا لله عبد، وإليه راجع، وإذا كنتُ لله عبدا، وأنّني إليه راجع؛ فإنّني ولا بُدَّ موقوف، وإذا كنت ولا بُدَّ موقوفا، فإنّني ولا بُدَّ مسؤول، وإذا كنت ولا بُدَّ مسؤولا، فَلْنُعِدَّ للسّؤال جوابا؛ فلنعدّ للسؤال جوابا بين يدي الله عزّ وجلّ، فقال له هذا الرّجل: فما الحيلة؟ ماذا أصنع؟ إنّني كنت مسيئا فيما مضى من أيام عمري، فقال له الفضيل: أحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى، وما بقي، وإن أسأت فيما بقي، أُخِذْتَ بما مضى وما بقي.

نعم إخوة الإيمان: هذه هي الوقفة الأولى التي ينبغي أن نقفها بعد انقضاء هذا الشهر الكريم، وهو أنّ كلّ شيء إلى زوال ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27].

الوقفة الثانية: الوقفة الثانية أيها الإخوة الأكارم التي ينبغي أن نقفها بعد مرور هذا الشهر الكريم؛ الحبيب إلى قلوبنا، وليته ما انقضى، وليت السّنة كلَّها كانت رمضان، ولكن لله حكمة في ذلك لا نعلمها، هذه الوقفة هي: ألّا نُعجب أيُّها الإخوة الأكارم بما قدَّمنا من طاعات، وعبادات، وقُرُبات إلى الله عز وجل؛ فإنّ الْعُجْبَ مهلك، ولا ندري رُبَّما شابت أعمالَنا شائبةٌ من هذا الْعُجْبِ أو الرِّياء؛ فكانت مردودة علينا، والعياذ بالله.

الإمام علي رضي الله عنه يقول: "سيئة تَسُوؤُكَ خيرٌ عند الله عزّ وجلّ من حسنة تعجبك"[1]؛ رُبَّما أعجبتك عبادتُك، وَلَرُبَّمَا كُنْتَ من المعجبين بعملك؛ فبطُل هذا العمل.

وهذا ابن عطاء الله السّكندري، وهو ربما اخذ هذه المقولة عن الإمام علي، ولكنّه صاغها في صيغة أخرى بديعة، فقال: "رُبَّمَا فَتَح الله لك باب الطَّاعة، وما فَتَح

---

(1)- نسبه الصّنعاني إلى نهج البلاغة المنسوب للإمام علي رضي الله عنه. ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، 346/3. ورواه الدينوري المالكي بسنده في "المجالسة وجواهر العلم" عن هشام بن حسان، 299/5. كذا نسبه الزمخشري إلى هذا الأخير. ينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، 188/4.

لك باب القبول، وَلَرُبَّمَا قَدَّر عليك المعصيّة فكانت سببا في الوصول، رُبَّ معصيةٍ أَوْرَثَت ذُلًّا وانكسارا خيرٌ من طاعة أورثت عِزًّا واستكبارا"؛ نعم حينما يرى الإنسان نفسه أنّه قد أطاع، وأنّه قد عبد، رُبَّمَا يُعْجَبُ، وَرُبَّمَا يكون في نفسه هذا العِزُّ، وهذا الاستكبار على أولئك الذين لم يعبدوا مثل عبادته، أو لم يقرؤوا القرآن مثل قراءته، أو لم يقوموا اللّيل مثل قيامه؛ فيكون هذا الإعجاب محبطا للعمل.

الوقفة الثّالثة: التي ينبغي أن نقفها عند انقضاء هذا الشهر الكريم أيُّها الإخوة الأكارم: هي الثَّبات على الطّاعة، والثّبات على العبادة؛ بعض السّلف كانوا يقولون: "بئس القومُ قومٌ لا يعرفون الله إلَّا في رمضان؛ كن ربّانيا، ولا تكن رمضانيا"؛ لا تكن عابدا لله في رمضان فقط، أو تكون عبادتك عبادةً موسمية، لا، ينبغي أن نكون عبيدا لله عزّ وجلّ في رمضان، وفي شوَّال، وفي سائر العام؛ فنحن وظيفتنا في هذه الدّنيا هي العبودية لله تبارك وتعالى.

نعم، قد يَخِفُّ نشاطنا، وقد تَخِفُّ عبادتنا؛ فرمضان هو موسم الطّاعة وموسم مضاعفة الأعمال، وَمُتَّجَر الصّالحين، ولكن أن ننقطع عن عبادة الله بعد رمضان، فهذا لا يليق بمؤمن؛ ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ كما يروي الإمام الترمذي في سننه وحسَّنه: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[1]، ثبِّت قلبي على دينك، وعلى طاعتك، وعلى عبادتك، ومن دعاء الرّاسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 08].

---

(1)- رواه الترمذي في سننه، حديث رقم: 3522، 538/5. دون لفظ: "اللهم". قال الترمذي: "وهذا حديث حسن".

فلا تنقطع عن عبادة الله، ولا تنقطع عن المسجد، ولا تنقطع عن قراءة القرآن، ولا تنقطع كذلك عن عبادة الصِّيام؛ هذه العبادة العظيمة، فلا ننقطع أيها الإخوة الأكارم، وعلينا أن نتعاهد أنفسنا بهذه العبادة، وعلينا أن نلزم كتاب الله، وأن نلزم بيت الله عز وجل.

نعم أيها الإخوة الأكارم؛ ولذلك فإنّ النبي ﷺ كان إذا عمل عملا أثبته[1]؛ أي داوم عليه، وكان يقول ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ**»[2]؛ لا تنقطع بالكُلِّيَّة عن كتاب الله، لا تنقطع عن المسجد، لا تنقطع عن عبادة الله، وخذ من الأعمال ما تطيق؛ فيكون لك في كلّ عبادةٍ نصيب لا يسبقك إليها أحدٌ إن استطعت، ولو كان هذا النّصيب يسيرا.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لِمَا فيه الخير. وأن يجعلنا إن شاء الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، أقول قولي هذا، واستغفر الله العظيم لي، ولكم، فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم: 746، 515/1.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، حديث رقم: 783، 541/1.

الخطبة الثانية

الحمد لله؛ الحمد لله لا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا يَنْقُصُ من ملكه جحود الجاحدين، من شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أيُّها الإخوة الأكارم: لقد كان رمضان جامعةً عِلْمِيَّة، وكان مدرسةً رُوحِيَّة، وكان محضنا تربويا؛ تَعَلّمْنا في هذا الشّهر الكريم الكثير الكثير، وَتَدَرَّبْنا فيه على مدارج التّقوى؛ تقوى الله تبارك وتعالى، وتَرَبَّيْنا في هذا الشّهر الكريم على آيات الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم؛ فما علينا إخوة الإيمان إلّا أن نأخذ من هذا الشّهر الكريم مشعلًا لنسير به في بقية الشّهور الأخرى.

*فعلينا إخوة الإيمان: ألّا نترك بيت الله عز وجل، وألّا ندع هذه الصلوات حين ينادي المؤذن بهن؛ فعبد الله بن مسعود ﵁ كان يقول: "من سرّه أن يلقى الله غدا مسلما، فليحافظ على هؤلاء الصّلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيّكم ﷺ سنن الهدى، وإنهنّ من سنن الهدى، ولو أنّكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلّي هذا المتخلّف في بيته، لتركتم سنّة نبيّكم، ولو تركتم سنة نبيّكم لضللتم... ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف"[1]، هذه هي وصيّتي الأولى لِنفسي وَلِإِخْوَانِي.

*أيضا إخوة الإيمان: لا تهجروا كتاب الله عز وجل؛ حتّى لا نكون ضمن من يشكوهم النبي ﷺ إلى ربّه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: 30]؛ اقرأوا القرآن، اقرأوا ما تيسَّر من كتاب الله عزّ وجلّ، ولا تكونوا من

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، حديث رقم: 654، 453/1.

الهاجرين له، النبي ﷺ يقول -وهو يوصي أبا ذر رضي الله عنه-: «**عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**»[1].

*أيضا مدرسة الصّيام أيُّها الإخوة الأكارم: لم تغلق بابها، وإنّما الباب مفتوح لمن أراد أن يتزوَّد من هذه العبادة؛ فأمامكم السِّتّ أيّام من شوّال، وأمامكم الثّلاثة أيّام من كلّ شهر، وأمامكم صيام يوم الاثنين والخميس، وأمامكم يوم عرفة، ويوم عاشوراء إلى غير ذلك ممّا سَنَّ لنا رسول الله ﷺ في مجال هذه العبادة العظيمة.

* أيضا أوصي نفسي وإخواني: بأن لا ندع مجالس الذّكر التي تُقام في بيوت الله عز وجل؛ فمنها نتزوَّد، ومنها نتعلَّم، وفيها نَتَرَبَّى، هذه المجالس التي فيها: تحفُّنا الملائكة، وتنزل علينا الرَّحمة، ويذكرنا الله تبارك وتعالى فيمن عنده، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[2]؛ فلا تتركوا هذه المجالس، وابحثوا عنها وَتَتَبَّعُوهَا، سواء في هذا المسجد أو في غيره من المساجد، فَلَرُبَّمَا كانت الكلمة التي ستنفعنا في ديننا ودنيانا لم نسمعها بعد؛ كما قيل لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه: إلى متى وأنت تطلب العلم يا إمام؟ فقال: "لعلَّ الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد"، فكذلك نحن لعلَّ الكلمة التي تنفعنا، والتي تُغَيِّرُ مجرى حياتنا من السَّيء إلى الحسن، أو من الحسن إلى الأحسن لم نسمعها بعد.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفِّقنا لِما فيه الخير، وأن يجعلنا إن شاء الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه،

---

(1)- سبق تخريجه ص12.

(2)- هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم: 2699، 2079/4.

اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين يا ربّ العالمين، اللهم اجعلنا من الرّاشدين يا رب العالمين.

اللهم اهدِنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن تولَّيت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنَّا شرَّ ما قضيت؛ فإنّك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذِلُّ من واليت، ولا يعِزُّ من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت.

اللهم بلِّغنا رمضان أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة، اللهم تقبَّله منّا يا ربّ العالمين، ولا تردَّنا خائبين صفر اليدين، اللهم إنا نعوذ بوجهك الكريم من أن تردَّنا خائبين صفر اليدين يا رب العالمين.

اللهم احفظ بلدنا الجزائر وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم من أراد بهذا البلد خيرا، فاللّهم وفِّقه إلى ذلك، وارزقه أعوانا يعينونه على ذلك، ومن أراد بهذا البلد سوءً فاللّهم اجعل كيده في نحره، اللّهم طَهِّرْ منه البلاد، وَقِ شرَّه العباد يا رب الأرباب، اللهم آمين آمين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحاضرات المسائية وهي على جزءين:

الجزء الأوّل: محاضرات في فقه الصّيام والاعتكاف، وزكاة الفطر.

الجزء الثّاني: محاضرات وعظيّة إرشاديّة.

المحاضرات الفقهيّة

باب الصيام

يَثْبُتُ صَوْمُ الشَّهْرِ بِاسْتِكْمَالِ ** شَعْبَانَ أَوْ بِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ
إِمَّا بِعَدْلَيْنِ أَوْ اسْتِفَاضَهْ ** جَمَاعَةٍ لَمْ يَكْذِبُوا فِي الْعَادَهْ
فَبِالثُّبُوتِ أَمْسِكْ وَلَوْ بَعْدَ الْفَلَقْ ** وَحُكْمُ شَوَّالَ عَلَى هَذَا النَّسَقْ
وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ بِلَا اسْتِيقَانِ ** وَبَانَ ذَاكَ الْيَوْمُ مِنْ رَمضَانِ
قَضَاهُ وَلْيَمْضِ عَلَى إِمْسَاكِهِ ** وَيَلْزَمُ التَّكْفِيرُ بِانْتِهَاكِهِ
وَصِيمَ يَوْمُ الشَّكِّ لِلتَّطَوُّعِ ** وَالنَّذْرِ إِنْ صَادَفَ وَالتَّتَابُعِ
لَا لِاحْتِيَاطٍ وَعلَيْهِ يَقْضِي ** يَوْمًا وَلَوْ صَادَفَ يَوْمَ الْفَرْضِ
أَوْجِبْهُ بِالشَّهْرِ وَبِاحْتِلَامِ ** وَصَحَّ بِالْعقْلِ وَبِالْإِسْلَامِ
وَنِيَّةٍ سَابِقَةٍ لِلْفجْرِ ** فِي كُلِّ صَوْمٍ وَكَفَتْ فِي الشهْرِ
كَكُلِّ صَوْمٍ وَاجِبِ التَّتَابُعِ ** كَالْقَتْلِ والظِّهَارِ لَا التَّطَوُّعِ
وَالطُّهْرِ مِنْ كَالْحَيْضِ قَبْلَ الْفَجْرِ ** وَصَحَّ قَبْلَ الْغُسْلِ بَعْدَ الطّهْرِ
وَتَرْكُ إِخْرَاجِ الْمنِيّ الدَّاعِي ** وَالْقَيْءِ وَالْمذِيّ أَوْ الْجِمَاعِ
وَتَرْكُهُ إِيصَالَ مَا تَحَلَّلَا ** لِمِعْدَةٍ أَوْ حَلْقٍ لَا كَإِحْلِلَا
نِسْيَانُ ذَا فِي الْفَرْضِ يوجِبُ الْقَضَا ** كَالسَّبْقِ مِمَّا اسْتَاكَ أَوْ تَمَضْمَضَا
وَالشَّكُّ فِي الْفَجْرِ أَوْ الْغُرُوبِ ** أَوِ ابْتِلَاعِ الْبَلْغَمِ الْمَغْلُوبِ
أَوْ عَامِدًا فِي النَّفْلِ فِطْرًا حُرِّمَا ** وَلَوْ عَلَيْهِ بالطَّلَاقِ أُقْسِمَا
وَلَا قَضَا فِي غَالِبٍ مِنْ مَذْيِ ** أَوْ قَيْءٍ أَوْ مِنْ بَلْغَمٍ أَوْ مَنْيِ
وَلَا ذُبَابُ غَبْرَةُ الطّرِيقِ ** أَوْ صانِعُ الْجِبْسِ أَوِ الدّقِيقِ
وَخَمْسَةٌ فِي عَمْدِهَا تُكَفَّرُ ** إِلَّا بِتَأْوِيلٍ قَرِيبٍ يُعْذَرُ
فِي رَمَضَانَ قَطُّ بِاخْتِيَارِ ** فَرَفْعُهُ النّيَّةَ بالنَّهَارِ
أَوْ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا بِفَمٍ ** عَمْدًا أَوْ مِنْ جِمَاعٍ أَوْ مَنِيٍّ قَصْدَا

وَهِيَ عَــــلَى التَّخْيِـــــيرِ إِمَّــــا ** أَدَّى سِتِّينَ مِسْكِينًا لِكَلِّ مُدًّا

أَوْ صَـــامَ شَهْـــرَيْنِ وِلاءً نَسَـــقَا ** أَوْ مُؤْمِنًــا رِقًّــا سَـلِيمًا أَعْتَقَــا

وَمَــنْ تَــوَانَى فِي قَضَــاءِ رَمَضَــانِ ** مُفَرِّطًــا حَـــتَّى أَتَاهُ الثَّـــانِي

عَلَيْــــهِ إِيجَــــابًا لِــــكُلِّ يَــــوْمِ ** إِطْعَـامُ مُـدٍّ مَعْ قَضَـاءِ الصَّـوْمِ

كَمُرْضَــعِ خَافَــتْ عَــلَى الصَّــغِيرِ ** وَلَمْ يَكُـــنْ ثَمَّ غِـــنًى لِلظِّـــيرِ

أَوْ لَمْ يَــكُ الطِّفْـلُ سِـوَاهَا يَقْبَـلُ ** أَوْ حَامِلٌ تَخْشَى عَلَى مَنْ تَحْمِلُ

وَيُسْــــتَحَبُّ فِدْيَـــةٌ لِلْهَــــرِمِ ** أَوْ عَطِــشٍ كِلَاهُمَــا لَمْ يَصُــمِ

كَــذَلِكَ التَّعْجِيــــلُ بِالْفُطُـــورِ ** وَمِـــثْلُهُ التَّـــأْخِيرُ بِالسُّـــحُورِ

وَصَــوْمُ وَقْفَـــةٍ لغَـــيْرِ الْمُحْـــرِمِ ** وَتَاسِـــعِ وَعَـــاشِرِ الْمُحَـــرَّمِ

وَسِتَّةٍ مِـنْ شَهْـرِ شَـوَّال كَمَاثَلَاثَـةٌ ** مِـــــنْ كُلِّ شَهْـــــرٍ عِمِّمَـــــا

وَجَـــازَ صَـــوْمُ جُمُعَـــةٍ وَالـــدَّهْرِ ** كَـذَلِكَ التَّسْـوِيكُ بَعْـدَ الظُّهْـرِ

وَفِطْــرُ مَــنْ سَــافَرَ قَبْــلَ الْفَجْــرِ ** مَسَـافَةَ الْقَصْـرِ بِقَصْـدِ الْفِطْـرِ

تَمَضْــمُضِ العَطْشَــان كَاحْتِجَــامِ ** ذِي صِحَّةٍ لَم يَخْشَ مِنْ أَسْقَامِ

وَلِلْمَـــرِيضِ كرَّهُـــوا الْحِجَامَــه ** هُــوَ ذَوْق كَالْمِلْـحِ أَوِ اقْتِحامَـهْ

مُقَـدِّمَاتِ الْـوَطء حَيْـثُ عُلِمَـتْ ** سَــلَامَةُ إِنْزَالٍ وَإِلَّا حُرِّمَـــتْ

لَكِــنْ إِذَا أَمْــنَى قَضَى وَكَفَّــرَا ** وَحَيْثُ أَمْذَى فَالْقَضَا قَدْ قُـرِّرَا

وَلَمْ يَجُـــزْ لِـــذَاتِ زَوْجٍ نَفْـــلَا ** حَجٌّ وَصَــوْمٌ وَاعْــتِكَافٌ أَصْـلَا

إِلَّا بِإِذْنٍ وَلَهُ أَنْ يُــــــــــبْطِلَهْ ** عَــلَى الَّــتِي يَحْتَاجُهَــا فَلْتَسْــأَلَهْ

المحاضرة الأولى وتشمل على:

❊ تعريف الصّيام لغة واصطلاحا

❊ طرق إثبات شهر رمضان

❊ حكم من لم يعلم بثبوت شهر رمضان إلّا نهارا

❊ الأحوال التي يجوز فيها صيام يوم الشّكّ والتي لا يجوز فيها ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة: أُحيِّيكم بتحية الإسلام وتحية الإسلام السّلام؛ فالسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُهِلَّ علينا هذا الشّهر الكريم باليُمن والإيمان، والسّلامة والإسلام، وأن يجعله إن شاء الله شهر خير، وَرَشَد، وبركة.

كما تواعدنا من قبل هذا الشّهر المبارك بأن نبدأ في باب الصّيام من نظم "أسهل المسالك على مذهب الإمام مالك" لمحمّد البشّار عليه رحمة الله، ولكن قبل أن ندخل في صُلب موضوع الصّيام لابدّ أن نعرف ما هو الصيام؟ لأنّ الحكم على الشيء فرع عن تَصَوُّرِه، وإن كان معلوما لدينا -في واقع الأمر- الصّيام، لكن لا بأس أن نذكِّر بمعنى الصّيام في اللُّغة، وفي الاصطلاح الشّرعي.

الصيام لغة: هو مطلق الإمساك والكفّ والتّرك؛ فإذا أمسك الإنسان -مثلا- عن الكلام نقول: إنّه قد صام عن الكلام، وإذا امسك عن الشّراب نقول: إنّه صام عن الشّراب، ومنه قول الله تبارك وتعالى على لسان مريم -عليها الصلاة والسلام-: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26]؛ ليس صوما عن الأكل والشُّرب، وإنما هو صوم عن الكلام، فهي نذرت الإمساك عن الكلام.

ومنه أيضا قول النّابغة الذُّبياني:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ ** تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلِكُ اللُّجُمَا

أي خيلٌ واقفة مُسْتَغْنَى عنها لكثرة خيلهم فهي ممتنِعة وَمُمْسِكَة عن خوض المعركة، وخيلٌ تحت العجاج في الحرب، وخيل تعلك اللُّجُمَ؛ فهي قد أُسْرِجَتْ وَأُلْجِمَتْ، وأُعدَّت للحرب.

الصيام في الاصطلاح: هو الكفّ عن شهوتي البطن والفرج أو ما يقوم مقامهما من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس بِنِيَّة.

لابد وأن يكون في هذا لإمساك عن سائر المفطرات نِيَّة القُرْبة إلى الله تعالى، وهذه النِّيَّة إمّا أن تكون قبل الفجر أو مقارِنة له؛ لأنّ الأصل في النِّيَّة هو أن تكون مقارِنة للعبادة؛ فالإنسان عندما يريد أن يصلّي صلاة الظهر فإنّه ينوي، وبعد النِّيَّة مباشرة يكبِّر تكبيرة الإحرام، ولكن نظرا لمشقَّة النِّيَّة في الصِّيام بهذه الكيفية؛ أعني بأن تكون مقارنةً للفجر، فإنّ الشّارع الحكيم راعى هذا الأمر، وسمح لنا بأن نأتي بهذه النِّيَّة من اللَّيل، وسنتحدث إن شاء الله عن النيَّة في الصّيام بأكثرَ تفصيلا.

هذا هو تعريف الصّيام من حيث اللّغَةُ، ومن حيث الاصطلاح الشرعي.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

يَثْبُتُ صَوْمُ الشَّهْرِ بِاسْتِكْمَالِ ** شَـعْبَانَ أَوْ بِرُؤْيَـةِ الْهِـلَالِ

إِمَّـا بِعَـدْلَيْنِ أَوْ اسْتِفَاضَـهْ ** جَمَاعَـةٍ لَمْ يَكْـذِبُوا فِي الْعَـادَهْ

الشَّرح: افتتح النّاظم كلامه بالحديث عمّا يثبت به شهر رمضان؛ لأنّنا نعلم أنّ لكلِّ عبادة أسبابا للوجوب؛ فسبب وجوب صلاة الظّهر هو الزّوال، وسبب وجوب صلاة المغرب هو غروب الشّمس؛ فقبل غروب الشّمس لم تكن صلاة المغرب واجبة، وكذا قبل الزّوال لم تكن صلاة الظّهر واجبة، وكذا سبب وجوب صوم رمضان هو ثبوته.

والسؤال الآن: بِمَ يثبت شهر رمضان؟ قال: "**يثبت صوم الشهر باستكمال شعبان...** "، فإذا ثبت الشّهر أصبح واجبا علينا صيامه، وهذا ما يعبِّرون عنه بسبب الوجوب، وقد ذكر النّاظم عِدّة طرق يثبت بها شهر رمضان:

الطريقة الأولى: بحسب ترتيب النّاظم "**باستكمال شعبان**"؛ وهو أن نستكمل شعبان ثلاثين يوما، وهذا في حال الغَيْم، وأمّا في حال الصَّحْوِ فتارة يثبت رمضان

باستكمال شعبان ثلاثين يوما إذا لَمْ يُرَ الهِلال، وتارة يكتمل شعبان برؤية الهلال ليلة الثلاثين، فيكون شعبان تسعة وعشرين يوما، وهذا هو مذهب مالك والجمهور.

وهذا ما دلَّت عليه السُّنَّة الصّحيحة فيما رواه الإمام مالك والشَّيخان عن عبد الله ابن عمر أنّه ذُكِر عند رسول الله ﷺ رمضان، فقال: «**لاَ تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ، وَلاَ تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**»[1].

هناك عدّة تفسيرات لقوله ﷺ: «**فَاقْدُرُوا لَهُ**»:

التّفسير الأول: قال أصحاب هذا التّفسير: أي ضيِّقوا على شعبان، واجعلوه تسعة وعشرين يوما، وفي اليوم الثلاثين يكون أوّل رمضان، وهذا مذهب عبد الله بن عمر، والإمام أحمد، وجماعة من أهل العلم.

التّفسير الثّاني: وهو لمالك والجمهور، قالوا: هذه رواية جاءت عن النبي ﷺ «**فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**»، لكن هناك رواية أُخرى جاءت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: ذُكِر رمضان، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ**»[2].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**»[3]، وقالوا: هاتان

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا**»، حديث رقم: 1906، 27/3.

(2)- رواه مالك في الموطّأ، كتاب الصيام، باب ما جاء في رؤية الهلال للصوم والفطر في رمضان، حديث رقم: 3، 287/1.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا**»، حديث رقم: 1909، 27/3.

الرِّوايتان مفسِّرتان للرِّواية التي قبلهما؛ فَفَهِمْنَا أنّ المراد من قوله ﷺ: «**فَاقْدُرُوا لَهُ**»؛ أي أكملوا عدّة شعبان ثلاثين يوما.

لذلك نجد الإمام مالك عليه رحمة الله جاء برواية: «**فَاقْدُرُوا لَهُ**» ووضعها هي الأولى في موطَّأه، وجاء برواية: «**فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ**» ووضعها هي الثانية، وبذلك يكون قد جعل الثانية مفسِّرة للأولى، وهو نفس صنيع البخاري في صحيحه.

وجاء في صحيح مسلم: «**الشَّهْرُ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا -ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ- فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ ثَلَاثِينَ**»[1]، وفي هذا الحديث التّفسير في نفس النّص.

الطريقة الثانية: كما قال النّاظم: "**أو برؤية الهلال**"، وهذه الرؤية تثبت بأمرين:

الأمر الأول: "**إمّا بعدلين**"؛ رؤية عَدْلَيْنِ، مسلمين، بالغين، لا يُظَنُّ بهما سوءٌ، غير مرتكبين لِمَا يَخْرِمُ عدالتيهما؛ وذلك بأن يأتيا وَيُدْلِيَا بشهادتيهما: إنّنا قد رأينا هلال رمضان، خلافا للإمام الشافعي؛ فإنه قال: "يُكْتَفَى برؤية عدلٍ واحد".

ودليل المذهب: ما جاء عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب، وقد كان واليا، وكان قد خطب الناس يوم الشّكّ، فقال: أَلَا إنِّي قد جالست أصحاب رسول الله ﷺ، وسألتهم، أَلَا وإنّهم حَدَّثُونِي أن رسول الله ﷺ قال: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَنْسِكُوا لَهَا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَتِمُّوا ثَلَاثِينَ، وَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ مُسْلِمَانِ، فَصُومُوا**

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غُمّ في أوله أو آخره أُكملت عدّة الشهر ثلاثين يوما، حديث رقم: 1080، 759/2.

وَأَفْطِرُوا»[1]، ومحلّ الشّاهد هنا هو قوله ﷺ: «**وَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ مُسْلِمَانِ، فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا**»، فقد علَّق الصوم والإفطار على رؤية اثنين من المسلمين للهلال.

الأمر الثاني: هو ما عبّر عنه النّاظم بقوله: "**أو استفاضة جماعة لم يكذبوا في العادة**"؛ يعني أن يأتي جماعة يستحيل أن يَتَّفِقُوا على الكذب، ولا يُشترط في هذه الجماعة الذُّكورية، ولا الحريّة، ولا العدالة؛ ممكن يكون فيهم العبيد، والنساء، والرّجال، وغير العدل، لكن حين ننظر في حالهم نقول: إنّ هولاء لا يُمكن أن يَتَوَاطَأُوا أو يتّفقوا على الكذب، وكلُّ واحد يُدْلِي بشهادته، ويقول: أنا رأيت الهلال.

ومالك قال: أقلّ هذه الجماعة المستفيضة أن يكونوا خمسة أشخاص.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

فَبِالثُّبُوتِ أَمْسِكْ وَلَوْ بَعْدَ الْفَلَقْ ** وَحُكْمُ شَوَّالَ عَلَى هَذَا النَّسَقْ

الشَّرح: بعدما تحدّث النّاظم عمّا يثبت به شهر رمضان وهو: إمّا باستكمال شعبان، أو رؤية عَدْلَيْن، أو جماعة مستفيضة، الآن إنسان في مثل هذا اليوم من أوّل أيّام رمضان، ولم يكن يدري أنّ الرّؤية قد ثبتت البارحة؛ بأن كان مثلا مسافرا، وقدم في ساعة متأخِّرة من اللَّيل، ولم يخبِره بثبوت الرُّؤية أحدٌ، أو كان نائمًا، واستيقظ من نومه بعد الفجر، وأُخْبِر بأنّ اليوم هو أوّل أيّام رمضان، هنا يجب عليه أن يمسك في الحال حتى وان لم ينوِ الصّيام من اللَّيل، وسواءً كان قد أكل وشرب أم لا، قال: "**فبالثبوت أمسك ولو بعد الفلق**"، والفلق هو الفجر.

---

(1)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 18895، 31/190-191. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف حجاج: وهو ابن أرطاة، وبقية رجاله ثقات... وقوله: «**وَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ مُسْلِمَانِ، فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا**» له شاهد من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ، وقد سلف برقم (18824) وإسناده صحيح، وذكرنا هناك أحاديث الباب، وانظر حديث أنس بن مالك السالف برقم (13974)... ".

ودليل ذلك: ما جاء في سنن أبي داود: أنّ أَسْلَمَ أتوا النبي ﷺ حينما كان صوم عاشوراء هو المفروض، فلمّا جاءوا إلى النبي ﷺ قال لهم: «**صُمْتُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا؟**» قالوا: لا، قال: «**فَأَتِمُّوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَاقْضُوهُ**»[1]؛ أي أمسكوا بقيّة اليوم، وصوموا مكانه يومًا آخر.

قد يقول قائل: ولماذا القضاء وهو لم يتناول أيَّ مفطر من المفطرات؟

والجواب: لأنّه لم يُبَيّتْ الصِّيام من اللَّيل، والنبي ﷺ يقول في حديث حفصة: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ**»[2] (رواه أبو داوود، والترمذي، والنّسائي)؛ فالذي لم يأت بالنِّيَّة قبل الفجر، فهذا لا صيام له؛ وأمّا أنّه يجب عليه أن يمسك فلحرمة شهر رمضان.

وكذلك حكم شهر شوال؛ فإذا ظنّ الإنسان أنّه لا يزال رمضان، وإذا به قيل له: قد ثبتت الرّؤية البارحة، وأنّ هذا اليوم عيد، فيجب عليه أن يفطر؛ لأنّ صوم يوم العيد محرَّم، وهذا معنى قوله: "**وحكم شوّال على هذا النّسق**".

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ بِلَا اسْتِيقَانِ ** وَبَانَ ذَاكَ الْيَوْمُ مِنْ رَمضَانِ[3]

قَضَاهُ وَلْيَمْضِ عَلَى إِمْسَاكِهِ ** وَيَلْزَمُ التَّكْفِيرُ بِانْتِهَاكِهِ

---

(1)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب في صوم يوم وفطر يوم، حديث رقم: 2447، 108/4. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "حديث صحيح لغيره دون قوله: «**وَاقْضُوهُ**» فإنها زيادة تفرَّد بها عبد الرحمن ابن مسلمة -ويقال: ابن سلمة- الخزاعي، وهو مجهول".

(2)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب النيّة في الصيام، حديث رقم: 2454، 112/4. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "صحيح".

(3)- جر الناظم رمضان بالكسرة مع أنه ممنوع من الصرف؛ لضرورة الوزن، وهذا جائز، يقول الحريري في ملحة الإعراب:

وجائز في صنعة الشعر الصلف * أن يصرف الشاعر ما لا ينصرف.**

الشّرح: يتحدّث النّاظم عن صيام يوم الشّكّ للاحتياط لرمضان؛ ويوم الشّكّ يعرّفونه بأنّه هو: يوم الثّلاثين الذي تكون الليلة السابقة له مُغَيِّمَة؛ إذا كان مثلا اليوم ثلاثين شعبان، وليلة البارحة مُغَيِّمَة ولم تثبت الرّؤيا، فهذا اليوم هو يوم الشّكّ، أمّا إذا كان في ليلة البارحة السماء مَصْحِيَّة، ولم يُرى الهلال، فإنّ هذا ليس بيوم شكّ، بل هو يقينا من شعبان، هذا هو اليوم الذي يتحدَّث عنه النّاظم في هذين البيتين.

وتفصيل ما في البيتين: مثلا إنسان قال: اليوم غَيْمٌ، والهلال لم تتمّ رؤيته، فمن الممكن أن يكون غدا رمضان؛ لذلك سأُصبح في الغد صائمًا، فإذا كان رمضان فَبِهَا، وإن لم يكن رمضان يكون نافلةً "**ومن نوى الصّوم بلا استيقان**"، ثمّ بعد ذلك بالفعل ظهر ذاك اليوم من رمضان "**وبان ذاك اليوم من رمضان**"، فهل يجزئه عن رمضان؟ لا يُجْزِئُهُ؛ لأنّ نِيَّتَهُ كانت مُتَرَدِّدَة بين الفرض والنّفل، ومن شروط النِّيّة أن تكون جازمة؛ لذلك قال:"**قضاه**"، أوّل شيء يجب عليه أن يقضي ذلك اليوم للتَّرَدُّد في النِّيّة كما بيَّنَّاه.

"**وليمض على إمساكه**"، وهذه الثّانية، وهو أنّه يجب عليه أن يبقى ممسِكا طيلة يومه لِحُرْمَة الشّهر، لكن قد يقول قائل: ما دام أنّ هذا الإمساك لا يُجْزِئُنِي عن رمضان، ويجب عليَّ القضاء، فلِمَ أُتعب نفسي إذن؟ فإذا أكل أو شرب فعليه القضاء والكفّارة، وهذا ما أشار إليه النّاظم بقوله: "**ويلزم التّكفير بانتهاكه**" إلّا إذا كان لا يعلم بالحكم، بأن أفطر مُتَأَوِّلًا؛ لأنّ من شروط الكفّارة أن يكون الإنسان مُنْتَهِكًا لحرمة رمضان، فإذا كان لا يعلم الحكم، فلا يُعتبر مُنْتَهِكًا لحرمة رمضان، ويجب عليه القضاء فقط، أمّا إذا كان يعلم بالحكم فعليه القضاء والكفّارة.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَصِيمَ يَـوْمُ الشَّـكِّ لِلتَّطَـوُّعِ ** وَالنَّذْرِ إِنْ صَادَفَ وَالتَّتَابُعِ

الشّرح: الآن راح يتحدّث عن صوم يوم الشّكّ بنيَّة التّطَوُّع، إنسان قال: أصوم يوم الشّكّ تطوُّعا لله عزّ وجلّ، ففي مذهب مالك عليه رحمة الله يجوز للإنسان أن يصوم

يوم الشّكّ على وجه التّطَوُّع، وليس على وجه الاحتياط لرمضان أو الاستقبال لرمضان أو التعظيم لشهر رمضان "**وصِيم يوم الشّكّ للتّطوُّع**".

ودليل ذلك: هو أنّ النبي ﷺ ثبت عنه أنّه صام شعبانَ كلَّه[1] بما فيه اليوم الثّلاثين؛ وبالتالي ذهب الإمام مالك عليه رحمة الله إلى جواز صيام يوم الشّكّ على وجه التّطَوُّع.

وأمّا حديث: «**إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا**»[2]، فإنّ هذا الحديث ضعيف، قال عنه الإمام أحمد ويحيى بن معين: "إنّه حديث منكر".

وممّا يُرجِّح مذهب مالك عليه رحمة الله في جواز صوم يوم الشّكّ على وجه التطوُّع هو ما جاء في الصّحيحين: أن النبي ﷺ قال لرجل: «**هَلْ صُمْتَ مِنْ سُرَرِ هَذَا الشَّهْرِ شَيْئًا؟**» (يقصد شهر شعبان)، قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**فَإِذَا أَفْطَرْتَ مِنْ رَمَضَانَ، فَصُمْ يَوْمَيْنِ مَكَانَهُ**»[3]، وكلمة "سَرَر" هي مُثَلَّثَة السّين؛ فنقول: سرر بفتح السّين، وضمّها، وكسرها، ومعناها هو آخر الشّهر، وسُمِّيَت بسرر لِاسْتِسْرار القمر فيها؛ فتصبح صغيرة جدّا، وهي ليلة الثّامن والعشرين، وليلة التّاسع والعشرين، وليلة الثّلاثين.

فقالوا: هذا يُرجِّح مذهب مالك؛ لأنّ النبي ﷺ قال له: «**هَلْ صُمْتَ مِنْ سُرَرِ هَذَا الشَّهْرِ شَيْئًا؟**»؛ فدلّ على جواز صيام يوم الشّكّ على وجه التطوُّع.

---

(1)- هذه إشارة إلى حديث عائشة الذي قالت فيه: "لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان؛ فإنه كان يصوم شعبان كلَّه". رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم شعبان، حديث رقم: 1970، 38/3.

(2)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الصوم، باب، حديث رقم: 738، 106/3. قال الترمذي: "حسن صحيح". وقال ابن عبد الهادي: "وقال أحمد بن حنبل: هو حديث منكر، وكان ابن مهدي لا يحدث به، قال: والعلاء ثقة لا يُنكر من حديثه إلا هذا". المحرّر في الحديث، ص378. وقال ابن حجر: "وقال أحمد وابن معين: إنه منكر". فتح الباري، 129/4.

(3)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب صوم سرر شعبان، حديث رقم: 1161، 820/2.

"**والنّذر**"؛ ويجوز صيامه نذرا، مثلا إنسان قال: إذا جاء أبي من السّفر اليوم، فللّه عليّ أن أصوم في اليوم الموالي، وإذا به يأتي هذا الأب، فصادف اليوم الموالي يوم الشّكّ، فهنا يجوز صيامه على وجه النّذر.

لكن هنا يُطرح إشكال: إذا ظهر يوم الشّكّ هذا أوّل يوم من رمضان، فهل يجزئه عن نذره أم لا يجزئه؟

الجواب: لا يجزئه لا عن نذره، ولا عن صوم رمضان؛ أمّا أنّه لا يجزئه عن نذره؛ فلأنّ صوم رمضان من العبادات التي لا يتّسِع لغيره من جنسها فيه؛ فرمضان موضوع لصوم رمضان، وليس لغيره من نوافل أو نذر، وهو من العبادات ذات الوقت المُضَيَّق، ولا يُمكن لإنسان أن يأتي بِصَوْمَيْنِ في يوم واحد، بخلاف الصّلاة، فوقت الظهر مثلا يبتدئ من الزّوال وَيَمْتَدُّ إلى أن يكون ظِلُّ الشيء مثليه، فهو يتّسع للظّهر ولغيره من النوافل من جنس الصّلاة، وأمّا أنّه لا يجزئه عن رمضان؛ فلأنّه يفتقد إلى نيّة صوم رمضان، ولا صيام إلّا بنيّة.

وههنا إشكال آخر: نحن قلنا: إنّه لا يجزئه عن هذا النّذر، فهل يجب عليه قضاء هذا النّذر أم لا؟

الجواب: نفرِّق هنا بين نوعين من أنواع النّذر؛ فإذا كان هذا النّذر معيَّنا بوقت محدَّد، كما في المثال السّابق الذي قال فيه صاحبه: لله عليَّ أن أصوم اليوم الموالي مباشرة، فهذا لا يجب قضاؤه؛ لأنّه ذهب مع وقته، ويقضي يوما عن رمضان فقط، وأمّا إن كان هذا النّذر غير معيّنٍ بوقت محدَّد؛ كأن يقول: لله عليَّ أن أصوم يوما دون تحديد لوقته، وصام في يوم الشّكّ، ثمّ ظهر أنّه من رمضان، فهذا يجب عليه أن يقضي يوما عن نذره، ويوما عن رمضان.

"**والتّتابع**"؛ أيضا إنسان يَسْرُدُ وَيُتَابِعُ الصِّيام؛ كأن يكون مثلا اعتاد متابعة صيام كلّ خميس، وصادف يوم الشّكّ، فهذا يجوز له أن يصوم ما كان يُتابع ويسرُد من صيام.

*كما يجوز صيام يوم الشّكّ قضاءً عن رمضان الماضي، لكن إذا ثبت رمضان، فلا يُجزئه لا عن قضاء رمضان الماضي، ولا عن صيام رمضان الحاضر، ويجب عليه قضاء يومين؛ أحدهما للماضي، والآخر للحاضر.

كما يجوز صيام يوم الشّكّ عن كفّارة من الكفّارات، وإذا ثبت رمضان فحكمه كسابقه.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

لَا لِاحْتِيَاطٍ وَعَلَيْهِ يَقْضِـي ** يَـوْمًا وَلَوْ صَادَفَ يَوْمَ الْفَـرْضِ

الشّرح: بعد أن بيّن النّاظم المواضع التي يجوز فيها صوم يوم الشّكّ، هاهو الآن بصدد بيان الموضع الذي لا يجوز فيه صيام يوم الشّكّ، فقال: "**لا لاحتياط**"؛ إنسان قال: غدا يوم الشّكّ، فأنا أصومه احتياطا؛ فإذا ثبت رمضان، فهو لرمضان، وإن لم يكن رمضان، فهو نفل، فهنا لا يُشْرَعُ صيامه احتياطا، وفي المذهب قولان؛ قولٌ بالكراهة، وقولٌ بالتّحريم، وأرجحهما الكراهة.

ودليل الكراهة: ما جاء في الصّحيحين: أنّ النبي ﷺ قال: «**لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ**»[1]، فحملوا النّهي هنا على الكراهة.

ووجه التّحريم: ما جاء عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه، فيما رواه عنه ابن حبّان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وذكره البخاري معلّقا: "من صام اليوم الذي يُشَكّ فيه، فقد

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين، حديث رقم: 1914، 28/3.

عصى أبا القاسم ﷺ"[1]، ولا شكّ أنّ معصية النبي ﷺ أمرٌ محرّمٌ قطعًا، وهذا محمولٌ على وجه الاحتياط كما ذكر النّاظم.

وهذا الذي صام يوم الشّكّ احتياطا يجب عليه القضاء، ولو ثبت ذلك اليوم من رمضان، كما قال النّاظم: "**وعليه يقضي يوما ولو صادف يوم الفرض**"؛ لأنّ النّيّة مُتَرَدِّدَة، وغير جازمة كما قدّمنا.

(1)- رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الصوم، فصل في صوم يوم الشك، حديث رقم: 3585، 351/8. قال محققه شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح رجاله ثقات". ورواه البخاري معلّقا، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا**»، 26/3.

المحاضرة الثانية وتشتمل على:

❊شروط وجوب وصحّة الصوم

❊حكم تصويم الصّبيان

❊حكم صوم النّائم والمُغمى عليه والسّكران

❊النِّيَّة في الصوم وشروطها

❊شروط وضوابط الاكتفاء بنيّة واحدة في الصوم

❊حكم الحائض تشكّ: هل طَهُرَت قبل الفجر أم بعده؟

❊حكم صوم الحائض تطهر ليلا فلا تغتسل إلّا بعد الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الحضور أُحيّيكم بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام؛ فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كنّا في الدّرس الماضي قد تعرَّضنا لما يثبت به شهر رمضان، وعرفنا بأنّ ثبوت شهر رمضان، إمّا أن يكون -كما ذكر النّاظم رحمه الله- باستكمال شعبان ثلاثين يوما، أو برؤية عدلين للهلال، أو برؤية جماعة مستفيضة، وكما عرفنا أيضا ما يتعلَّق بصيام يوم الشّكّ من أحكام، ونواصل إن شاء الله مع هذا النّظم المبارك.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

أَوْجِبْـهُ بِالشَّهْـرِ وَبِاحْـتِلَامِ ** وَصَحَّ بِالْعَقْـلِ وَبِالْإِسْـلَامِ

الشّرح: هذا شُرُوعٌ من النّاظم في بيان شروط الصّوم، والصّوم -طبعا- له شروط صحّة، وشروط وجوب، وشروط صحّة ووجوب معًا، بدأ هنا بشروط الوجوب، فقال: "**أوجبه بالشّهر**"؛ فمتى ثبت الشّهر بالطُّرق التي تقَدّم تفصيلها، يكون صيامه واجبا على المكلّف.

قوله: "**وباحتلام**"؛ المقصود بالاحتلام هنا هو البلوغ، فلا يجب الصّوم على الصّبي، ولا يُكَلَّف به، لا من ناحية الوجوب، ولا من ناحية الاستحباب كذلك، وهذا ما قاله الإمام مالك عليه رحمة الله في المدوَّنة؛ قال: "لا يُؤمر الصِّبيان بالصّيام"؛ لا على وجه الوجوب، ولا على وجه الاستحباب؛ لأنّ هؤلاء الصِّبيان غير مكلَّفين.

ودليل ذلك: قول النبي ﷺ في هذا الحديث: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ** (من بينهم) **وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ**»[1] (رواه أبو داود، والنّسائي)؛ فالصّبيّ غير مكلَّف، ولا يُؤمر بأيِّ شيء، هذا هو الأصل.

وأمّا ما جاء عن النبي ﷺ من أمرِهم بالصّلاة لسبعٍ، وَضَرْبِهِمْ عليها لعشر[2]، فهذه حالة خاصّة للصّلاة، وما سِوى الصّلاة يبقى على الأصل، فلا يُكلَّف به الصِّبيان.

ثمّ قالوا: إنّه لكثرة أحكام الصّلاة أُمِرَ بها الصّبيّ؛ حتى إذا ما بلغ الحُلُمَ يكون قد أَلَمَّ بجملة أحكامها، بخلاف الصّوم فإنّ أحكامه قليلة.

وقالوا كذلك: إنّ الصّلاة تتكرَّر في اليوم خمس مرات، فَأُمِرَ بها الصَّبِيُّ لِيَتَمَرَّنَ عليها، أمّا الصّوم فإنّه لا يتكرر إلّا مرة واحدة في السَّنة.

هذا هو وَجْهُ قول مالك عليه رحمة الله.

وقال الإمام أشهب -وهو من أعلام المذهب-: "يُستحب أن يُؤمر الصِّبيان بالصّوم إذا أطاقوه".

ودليل أشهب: ما جاء في صحيح البخاري: عن الرَّبيع بنت مُعَوِّذ رضي الله تعالى عنها، أنّه لَمّا كان صيام عاشوراء هو الواجب، قالت: "كنّا نصومه بعد، وَنُصَوِّمُ

---

(1)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدّا، حديث رقم: 4403، 454/6. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "حديث صحيح".

(2)- هذه إشارة إلى قول النبي ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**». رواه أبو داود في سننه، كتاب، باب، حديث رقم: 495، 367/1. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده حسن".

صبياننا، ونجعل لهم اللُّعبة من الْعِهْنِ، فإذا بكى أحدهم على الطّعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار"[1]، فمن هذا أخذ أشهب استحباب أمر الصّبيان بالصّيام.

ولكنّ الإمام القرطبي استبعد أن يكون النبي ﷺ على علمٍ بذلك، واستبعد أن يكون النبي ﷺ قد أمرهم بذلك، وعلّل ذلك بقوله: "لأنّه تعذيب صغير بعبادة لا تتكرّر إلّا مرّة واحدة في السّنة".

قوله: "**وصحّ بالعقل**"، هذا شرط صِحّة ووُجوب معًا؛ فلا يصحّ الصّوم، ولا يجب إلّا على العاقل؛ فهذه التّكاليف لا تجب على غير العاقل، ولا تصِحُّ منه، ولو أتاها.

ونقول: إنّ الصوم عند المالكية لا يجب، ولا يصحّ إلّا من عاقل، ولكن يجب على المجنون القضاء إذا عَقِل.

قد يقول قائل: أين حديث النبي ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**»[2]؟

الجواب: قالوا: هذا صحيح، وحديث النبي ﷺ لا غبار عليه، ولكنّ وجوب القضاء على المجنون إذا عقل استفدناه من دليل آخر، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة: 184]، والمجنون مريض، فإذا شُفِيَ من مرضه، وَعَقِلَ وجب عليه القضاء، هذا ما استدلّ به فقهاء المالكية على وجوب القضاء على المجنون[3].

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، حديث رقم: 1960، 37/3.

(2)- سبق تخريجه قريبا.

(3)- صحيحٌ أنّ الجنون مرضٌ من الأمراض، لكن يبعد في تقديري أن يدخل المجنون ضمن الآية الكريمة، فيكون مثله مثل المصابين بالأمراض البدنيّة؛ لأنّ العقل مناط التكليف؛ فيكون الأمر بالصّيام لم يُصادف محلًّا للوُجوب أصلا، فكيف يجب قضاء ما لم يجب أصلًا!؟ بخلاف الأمراض =

وذهب الإمام مالك في رواية ابن حبيب والمدنيّين عنه: إنّ محلّ وجوب القضاء على المجنون إذا قَلَّت سُنون الجُنون كخمس سنين، أمّا إذا كثرت السُّنون كعشر، فإنّه لا يجب القضاء.

وهناك قول ثالث في المذهب أيضا يقول بعدم القضاء على المجنون مطلقا.

فتحصّل لدينا في المذهب ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: القضاء مطلقا؛ سواء قلَّت السُّنون أو كثُرت.

القول الثّاني: القضاء إذا قلّت السُّنون، أمّا إذا كثرت فلا قضاء.

القول الثّالث: عدم القضاء مطلقا؛ سواء قلَّت السُّنون أو كثُرت.

وهذا الأخير هو ما يأتي موافقا لحديث النبي ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ** (ومن بينهم) **وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**».

حكم من أُغْمِيَ عليه في رمضان: بمناسبة الحديث عن العقل تأتي مسألة من أُغْمِيَ عليه في شهر رمضان؛ ففي هذه المسألة تفصيل:

1- إذا كان زمن الإغماء كلَّ اليوم أو جُلَّهُ، فعليه القضاء، سواء سَلِمَ وقت النِّيَّة من الإغماء أم لا، فيكفي موجبا للقضاء أنّه أُغْمِيَ عليه كلّ اليوم أو جُلّه.

2- إذا كان زمن الإغماء نِصْفَ اليوم أو أَقَلَّه، فهذا يُراعي فيه وقت النِّيَّة، فإذا كان في وقت إيقاع النِّيَّة، (وهو ما يكفي لإيقاعها قبل الفجر مباشرةً) مُغْمًى عليه، فإنّه يجب عليه القضاء، وإذا كان في وقت إيقاع النِّيَّة سليما، فإنّه لا يجب عليه القضاء.

البدنيّة الأخرى؛ فإنّ الأمر بالصّيام ههنا قد صادف محلًّا للوجوب، ولكنّ الشّارع الحكيم رخّص في الفطر، ونقل الفرض من رمضان إلى عِدّة من أيّامٍ أُخر رحمةً وتخفيفا.

3- إذا أُغْمِيَ عليه قبل الفجر ولو بلحظة، واستمرّ معه هذا الإغماء لِمَا بعد الفجر، ولو للحظة، فهذا يجب عليه القضاء، ولو أنّه لم يُغْمَى عليه إلّا في هذه الفترة اليسيرة؛ لأنّه كان يفتقد في وقت النِيَّة إلى العقل بسبب الإغماء، فيلزمه القضاء، ولو كانت عنده نيّة الصّيام قبل الإغماء؛ لأنّ الإغماء مفسد للنِيَّة كالجنون.

فالمعتبر في الإغماء أمران:

أوّلهما: عدم سلامة وقت النِيّة، والمقصود بوقت النّيَّة هنا هو ذلك الزّمن اليسير الذي يسبق الفجر، ويكون كافيا لإيقاعها فيه؛ فمتى لم يسلم وقت النّيَّة وجب القضاء مطلقا، سواء طال وقت الإغماء أم قَصُرَ.

ثانيهما: مُدّة الإغماء؛ فإذا استغرق هذا الإغماء كلّ اليوم أو جُلّه، فإنّه يجب القضاء مطلقا، سواء سَلِمَ وقت النِّيَّة أم لا، وأمّا إذا استغرق هذا الإغماء نصف اليوم أو أقلّه، فالمعتبر هنا هو وقت النِيَّة، فإذا سَلِمَ فلا قضاء، وإذا لم يسلم فيلزمه القضاء.

النّوم والصيام: لا قضاء على النّائم، ولو نام الشّهر كلَّه، وهذا إذا نوى صيام الشَّهر كلِّه من أوّل ليلة من ليالي رمضان، والفرق بينه وبين الْمُغْمَى عليه هو: أنّ الْمُغْمَى عليه غير مَكَلَّف؛ فهو كالمجنون، والنّائم مُكَلَّف؛ لأنّه إذا نُبِّهَ تَنَبَّهَ.

حكم من شرب مُسْكِرا في رمضان: السّكر كالإغماء في تفصيله؛ سواء كان بحلالٍ[1] أم بحرام؛ مثلا إنسان شرب مسكِرا ليلا، وفعل هذا الْمُسْكِر مفعوله في صاحبه، واستمرّ إلى ما بعد الفجر، ولو لِلَحظة؛ بمعنى أنّه لم يسلم وقت النِيَّة، فهذا يجب عليه القضاء مطلقا؛ سواء استمرّ معه هذا السُّكر خلال النّهار طويلا أم قصيرا، وأمّا إذا

(1)- السُّكر الحلال؛ كأن يشرب مشروبا، وهو لا يعلم أنّه مسكر أصلا، أو كمن شرب عصير النّخيل، وهو لا يعلم أنّه قد تحوّل إلى خمر.

لم يفعل هذا المُسْكِرُ مفعوله في صاحبه إلّا بعد الفجر، فهنا ننظر: إن استمرّ معه هذا السُّكر كلَّ اليوم أو جُلَّه، فعليه القضاء، وإن استمرّ معه نصف اليوم أو أقلّه، فلا قضاء.

قالوا: إنما جعلنا السُّكر كالإغماء؛ لأنّ السُّكر لا يزول بالإيقاظ، خلافا لمن جعله كالإغماء إن كان بحرام، وكالنّوم إن كان بحلال.

قوله: "**وبالإسلام**"، الإسلام أيضا شرط صحّة، وهناك من جعله شرطَ وجوبٍ وَصِحَّةٍ معًا، لكن الرَّاجح أنّه شرط صِحَّةٍ فقط؛ فالكُفّار يجب عليهم الصّوم، لكن لا يَصِحُّ منهم.

وهذا الخلاف مبنيّ على المسألة الأصولية التي تقول: هل الكفّار مخاطبون بفروع الشّريعة أم لا؟ بمعنى هل الكفّار -زيادة على مخاطبتهم بالإيمان- مخاطبون بفروع الشّريعة؛ كالصلاة، والزّكاة، والصّوم، والحجّ أم غير المخاطبين؟

فمن ذهب إلى أنّهم غير مخاطبين جعل الإسلام شرط صِحَّة ووجوب معًا، ومن ذهب إلى أنّهم مخاطبون لم يجعل الإسلام شرط وجوب، وإنما قال: هو شرط صحّة فقط، وهذا هو الرأي الراجح؛ لأنّ الكفّار زيادة على تعذيبهم على الكفر يوم القيامة، يُعَذَّبُونَ كذلك على ترك هذه الواجبات، واقرأوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: 39-48]؛ فدلّت الآية الكريمة أنّهم يُعَذَّبُونَ على تركهم للصّلاة والزّكاة زيادةً على تعذيبهم على الكفر؛ ممّا يعني أنّ هذه الأمور كانت واجبة عليهم؛ لأنّ الله لا يُعذِّب إلّا على ترك واجب؛ فالإسلام هو شرط صحّة فقط، وليس شرط وجوب؛ فالكافر مخاطب بهذه الواجبات، ولكن لا تصحّ منه إلّا بعد أن يُسلم.

هنا قد يسأل سائل ويقول: إذا كان الكافر مخاطب بفروع الشّريعة، فهل إذا أسلم يجب عليه قضاء ما فاته من صلوات وصيام وغير ذلك من الواجبات؟

الجواب: لا يجب عليه قضاء ذلك لحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ**»[1]، ولو قلنا لهم: يجب عليكم قضاء ما فاتكم من واجبات، كنّا نُنَفِّرُهُم عن الإسلام، فلو أسلم وعمره -مثلا- سبعون عاما، وقلنا له: يجب عليك قضاء خمسة وخمسين شهرا من الصّيام على اعتبار أنّ سنّ البلوغ خمسة عشرة عاما، فَلَرُبَّمَا نفر من الإسلام؛ لذلك فلا يجب عليه قضاء ما فات.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَنِيَّـــةٍ سَـــابِقَةٍ لِلْفَجْـــرِ ** فِي كُلِّ صَوْمٍ وَكَـفَتْ فِي الشَّهْـرِ

الشّرح: هنا بدأ النّاظم الحديث عن النِّيَّة في الصّيام، نحن علمنا أنّ الصّوم له ركنان أساسيان، هما: النِّيَّة، والإمساك عن سائر المفطرات، قال: "**ونيّة سابقة للفجر**"؛ فلا يصحُّ الصّوم من غير نِيّة لقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[2]، (متفق عليه).

والنِّيَّة ركن من أركان كل عبادة نقوم بها، وهي في الصَّوم على وجه الخصوص لها شروط:

الشّرط الأول: أن تكون مُبَيَّتَة، وهذا ما أشار إليه النّاظم بقوله: "**ونيّة سابقة للفجر في كلّ صوم**"؛ لابدّ وأن تكون هذه النِّيَّة مُبَيَّتَة قبل الفجر أو مقارنة لطلوع الفجر، وهذا لحديث حفصة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنّه قال: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعِ**

---

(1)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 17827، 360/29. قال محقو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

(2)- رواه البخاري في صحيحه، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: 1، 6/1.

الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ»[1]؛ إذا لم يوقع الصائم هذه النِّيَّة، ويعزم القلب على الصِّيام قبل الفجر، سواء كان هذا الصيام فرضا أو نفلا، فإنّه لا صيام له.

وجاءت عبارة: «**فَلَا صِيَامَ**»، نكرة مَنْفِيَّة، فأفادت العموم لكلّ صوم؛ نفلا كان أو فرضا كما أسلفنا.

الشّرط الثاني: أن تكون مُعَيَّنَة لأداء فرض شهر رمضان، وهذا خلافا للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، قال: "يكفي أنّ الإنسان يصوم، ولو أنّه نواه لغير رمضان، فإنّ هذا الصّيام ينقلب لرمضان"، بينما فقهاء المالكية والجمهور ذهبوا إلى أنّها لابدّ أن تكون مُعَيَّنَة بدليل قول النبي ﷺ: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، فلابدّ أن ينوي أداء فرض شهر الصّيام.

الشّرط الثالث: أن تكون جازمة؛ غير مَتَرَدِّدَة، وقد بَيَّنَّا معنى التَّرَدُّدِ في النِّيَّة عند قوله: "**ومن نوى الصّيام بلا استيقان**".

قوله: "**وكفت في الشّهر**"؛ يعني أنّ صوم رمضان يكفي فيه -وقد أشرنا إلى هذه المسألة في الدّرس السّابق- أن تنوي من أوّل ليلة من ليالي رمضان أنّك ستصوم الشّهر كلَّه، ويستحب لك استحبابا فقط أن تجدّد النِّيَّة كلَّ ليلة، واستدلوا على ذلك بالآتي:

1- قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: 185]، قالوا: هذا أمرٌ واحد بصوم واحد، وهو شهر رمضان؛ فتكفي فيه نِيَّةٌ واحدة.

2- إنّ شهر رمضان وِحدة واحدة، وكلٌّ لا يتجزّأ بدليل انه لا يتَّسع لغيره من جنسه، وما دام أنّه وِحدة واحدة، فتكفي فيه نِيَّةٌ واحدة.

(1)- سبق تخريجه قريبا.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

كَكُلِّ صَوْمٍ وَاجِبِ التَّتَابُعِ ** كَالْقَتْـلِ والظِّهَـارِ لَا التَّطَـوُّعِ

الشّرح: أي مثلما أنّ رمضان تكفي فيه نِيَّةٌ واحدة، فكذلك كلُّ صومٍ يجب تتابعه تكفي فيه نِيَّةٌ واحدة؛ ككفّارة القتل، والظِّهار، وكفّارة رمضان، وكذا النّذر المتتابع؛ كمن نذر صيام شهر تَتَابُعًا.

ومفهوم قوله: "**واجب التّتابع**" أنّ ما جاز تفريقه من الصّيام الواجب لا تكفي فيه النِيَّة الواحدة، ولو صامه متتابعا؛ مثل قضاء رمضان، وكفّارة اليمين، ومن باب أولى صيام التّطوُّع كما قال: "**لا التّطوُّع**"، ولو صامه متتابعا، كمن نوى صيام شهر الله الحرام كلّه تطوُّعا، فإنّه يلزمه تجديد النِيّة لكلّ يوم.

هذا ما ذكره النّاظم إجمالا في قيد الاكتفاء بالنِّيَّة الواحدة، ونقول تفصيلا لهذه القيود والضوابط:

القيد الأوّل: أن يكون هذا الصوم واجبا، لا نفلا.

القيد الثاني: أن يكون هذا الصّوم الواجب، واجب التّتابع كما أسلفنا.

القيد الثالث: أن لا يطرأ على هذا الصّائم الذي هو بصدد هذا الصّيام الواجب، والواجب التّتابع مبيحٌ من مبيحات الفطر؛ كالمرض، والسّفر؛ لأنّه إذا طرأ عليه مبيحٌ للفطر يُصبح التّتابع في صومه غير واجب في حقِّه؛ مثلا إنسان أحدث سفرا في رمضان، ومعلومٌ أنّ السّفر مبيحٌ للفطر، فإنّه على فرض عدم أخذه بالرُّخصة وبقائه صائما في سفره يجب عليه أن يوقِع لكلِّ يومٍ نِيَّةً جديدة، ولو كان قد نوى صيام الشّهر كلِّه في أوّل ليلة من رمضان، وبعد عودته إلى محلِّ إقامته، فإنّه بإمكانه أن يصوم ما تبقى من رمضان بنيَّة واحدة يوقعها في أوّل ليلة من رجوعه من السّفر، ومن باب أولى إذا ترخَّص في الفطر في سفره هذا، فإنّه يجدِّد النِّيَّة لِمَا تبقَّى من الشّهر.

القيد الرابع: أن لا يطرأ عليه مانع أو مفسد من مفسدات الصّوم؛ كحيض أو نفاس، أو جنون أو إغماء، فإن حصل شيء من ذلك ثمّ زال، وجب عليه تجديد النّيّة لِمَا تبقّى، وتكفيه النِّيَّة الواحدة.

القيد الخامس: أن لا يُفْسِدَ صومه عامدا، فإن فعل فالظّاهر أنّه يحتاج إلى تجديد النِّيَّة لِمَا تَبَقَّى، وأمّا من أفطر ناسيا، فهذا لا ينقطع تتابعه، بخلاف من بيَّت الفطر ناسيا، فإنّه يلزمه تجديد النِّيَّة لِمَا تَبَقَّى.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَالطُّهْرِ مِنْ كَالْحَيْضِ قَبْلَ الْفَجْـرِ ** وَصَحَّ قَبْلَ الْغُسْلِ بَعْدَ الطُّهْرِ

الشّرح: قال: "**والطُّهر من كالحيض**"، ودخل تحت "الكاف" الطّهر من دم النّفاس؛ أي أنّ من شروط وجوب وصحّة الصّوم الطّهر من دم الحيض والنّفاس؛ فلا يجب الصوم عليهما، ولا يصحّ منهما.

ودليل ذلك ما يأتي:

1- ما جاء عن السيّدة عائشة رضي الله عنها في الصحيحين، قالت: "كان يصيبنا ذلك، فَنُؤْمَرُ بقضاء الصّوم، ولا نُؤْمَرُ بقضاء الصّلاة"[1].

2- الإجماع؛ أجمع المسلمون على أنّه لا يجب على الحائض والنُّفساء الصّوم، ولا يصحّ منهما، وأنّه يحرم عليهما، ويجب عليهما القضاء.

قوله: "**قبل الفجر**"؛ أي أنّ الحائض إذا طَهُرت في أيِّ جزء من أجزاء اللّيل قبل الفجر وجب عليها صوم اليوم الموالي، هذا أمر مفروغ منه.

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، حديث رقم: 335، 265/1.

ولكن إذا شكّت المرأة، وقالت: هل طَهُرْتُ قبل الفجر أم بعده؟ فنقول لها: يجب عليك الإمساك، ويجب عليك القضاء كذلك؛ أمّا أنّه يجب عليها الإمساك، فلعلّها طَهُرْتُ قبل الفجر، وأمّا أنّه يجب عليها القضاء فلعلّها طَهُرْتُ بعد الفجر، وإن أفطرت في هذه الحال مُتَأَوِّلة أو جاهلة بالحكم، فعليها القضاء فقط، وإن أفطرت عَالِمَةً بحرمة الفطر، فعليها القضاء والكفّارة.

قوله: "**وصحّ قبل الغسل بعد الطّهر**"؛ الآن طهرت هذه المرأة قبل الفجر، فهل يُشترط في حقّها الغسل حتّى تُصبح صائمة أم لا؟ لا يُشترط ذلك، ولو أنّها فرَّطت وأخّرَت الغسل إلى ما بعد الفجر، فإنّ صومها صحيح؛ لأنّ الطّهارة ليست شرطا من شروط صِحّة الصّوم، وإنّما هي شرط من شروط صِحّة الصلاة.

وكذلك قياسا على الجُنُب، فقد جاء في الصّحيحين أنّ النبي ﷺ كما قالت عائشة: "كان لَيُصْبِحُ جُنُبًا من جماع غير احتلام، ثم يصومه"[1]، ولا يغتسل إلّا بعد طلوع الفجر.

وَصِحّة صوم الجُنُب من دون اغتسال هو أمرٌ مُجْمَعٌ عليه إلّا خلافا عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد رُوِيَ عنه أنّه رجع عن ذلك، فهذا كالإجماع أو شبه الإجماع كما قال الإمام النووي في كتابه "المجموع".

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب اغتسال الصائم، حديث رقم: 1931، 31/3.

المحاضرة الثالثة وتشتمل على:

❋ مفسِدات الصّوم

❋ حكم من قاء أو استقاء وهو صائم

❋ حكم الحُقَن والإبر للصّائم

❋ ما يوجب القضاء فقط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

أيّها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّا صلاتنا، وصيامنا، وقيامنا، وأن يجعلنا إن شاء الله من عُتقاء هذا الشهر الكريم، إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَتَرْكُ إِخْرَاجِ الْمَنِيّ الدَّاعِـي ** وَالْقَـيْءِ وَالْمَـذِيّ أَوْ الْجِمَـاعِ

وَتَرْكُـهُ إِيصَـالَ مَـا تَحَلَّـلَا ** لِمِعْدَةٍ[1] أَوْ حَلْقٍ لَا كَإِحْلِلَا

الشّرح: بعدما تحدّث النّاظم عن النِّيَّة، وهي أحدُ رُكْنَيْ الصّوم، راح يتحدث الآن عن الرُّكن الثاني، وهو الإمساك عن المفطرات دون أن يذكر ما يتعلّق بذلك من حكم؛ لأنّ هذا سيأتي تفصيله فيما بعد؛ فهناك ما يوجب القضاء، وهناك ما يوجب القضاء والكفّارة، وهناك ما لا يوجب قضاءً ولا كفّارة.

فأوّل هذه المفطرات -بحسب ترتيب النّاظم- هو إخراج المنيّ، قال: "**ترك إخراج المنيّ الدّاعي**"؛ أي ترك استدعاء المنيّ، وعدم التَّسَبُّبِ في خروجه، وليس كلّ من خرج منه المنيّ يفسد صومه، بل لا بُدّ من مراعاة هذا الضّابط، وهو: "أن يخرج منه هذا المنيّ يقظةً بلذّةٍ معتادة"؛ فيخرج بذلك من خرج منه المنيّ في حال الاحتلام، فلا يفسد صومه، ويخرج كذلك من خرج منه المنيّ بغير لذّة أصلًا كَالْمُسْتَنْكِحِ، ومثلهما من حصلت له لذّة معتادة من غير خروج شيء.

(1)- نقول: مِعْدَة بكسر الميم، ونقول: مَعِدَة بفتح الميم، كلاهما فصيح.

ثم قال بعد ذلك: "**والقيء**"؛ أيضا التَّسَبُّبِ في إخراج القيء؛ كأن يضع مثلا إصبعه في حلقه، فيخرج منه القيء، فهذا قد استقاء، فبمجرد أنّه يستقيء عمدا فسد صومه.

والأصل في ذلك هو ما جاء عن النبي ﷺ أنّه قال: «**مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنِ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ**»[1] (رواه أبو داود، والترمذي).

فهذا هو الأصل في هذه المسألة، فبمجرّد أنّ يتعمَّد إخراج القيء يفسد صومه، وإن رجع منه شيء، ولو غلبةً، فعليه القضاء والكفّارة، وأمّا من غلبه القيء، فهذا إن لم يرجع منه شيء، فلا شيء عليه، وان رجع منه شيء غلبةً أو نسيانا، فعليه القضاء، وإن أرجع منه شيئا مختارا، فعليه القضاء والكفّارة، هذا هو المفطر الثاني، وهو تعمُّد إخراج القيء.

قوله: "**والمذيّ**"؛ المذيّ ينطبق عليه تماما ما قلناه في المنيّ، فكلاهما مفسِدٌ للصّوم بالضوابط التي ذكرنا، إلّا أنّه في المنيّ يكون وجوب القضاء والكفارة، أمّا في المذيّ، فعليه القضاء فقط، هذا هو المفطر الثّالث، وهو تَعَمُّدُ إخراج المذيّ.

قوله: "**أو الجماع**"، الجماع من باب أولى في أنّه مفسِد للصّوم.

ودليل ذلك ما يأتي:

1- قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: 187]، والرّفث هو الجماع؛ فدلّ على أنّه مُحَرَّمٌ في نهار رمضان، ومفسدٌ للصّوم، وموجبٌ للقضاء والكفّارة، فمتى التقى الختانان فقد فسد الصّوم، وإن لم يحصل إنزال[1].

---

(1)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب الصائم يستقيء عامدا، حديث رقم: 2382، 56/4. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده صحيح".

2- ما جاء في الصّحيحين عن أبي هريرة ﷺ، قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ، إذْ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «**مَا لَكَ؟**» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟**» قال: لا، قال: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**»، قال: لا، فقال: «**فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا**»، قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أُتِيَ النبي ﷺ بِعَرَقٍ فيها تمر -وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ- قال: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» فقال: أنا، قال: «**خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ**» فقال الرجل: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يا رسول الله؟ فَوَ اللهِ ما بين لَابَتَيْهَا -يريد الْحَرَّتَيْنِ- أهلُ بيتٍ أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «**أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**»[2].

وفي رواية لأبي داوود: «**كُلْهُ أَنْتَ، وَأَهْلُ بَيْتِكَ، وَصُمْ يَوْمًا، وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ**»[3]، فدلّ هذا الحديث على أنّ الجماع مفسدٌ للصّوم، وموجب للقضاء والكفّارة.

قوله: "**وتركه إيصال ما تحلّل لِمِعْدَة أو حلق**"؛ مثل الماء، والسَّمن، واللّبن، فكل ما من شأنه أن يتحلّل يجب أن يجتنب إيصاله إلى معدته وحلقه، سواء تَمَّ ذلك عن طريق الفم أو من أيِّ منفذ آخر؛ كالعين، والأذن، والأنف؛ فإذا ما وصل شيء يتحلَّل إلى المعدة أو الحلق من أيِّ طريقٍ كان فقد فسد الصّوم، سواء كان ذلك عمدا أو نسيانا أو غلبةً.

---

(1)- الذي دلّ على أنّ التقاء الختانين من الجماع هو قول النبي ﷺ: «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**». رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين، حديث رقم: 349، 2171/1.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر، حديث رقم: 1936، 32/3.

(3)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب كفارة من أتى أهله في رمضان، حديث رقم: 2393، 68/4. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "حديث صحيح".

ودليل ذلك: حديث لَقِيطِ بن صَبِرة ﷺ حينما قال: يا رسول الله أخبرني عن الوضوء؟ فقال له النبي: ﷺ «**أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**»[1] (رواه أبو داود، والنّسائي، والتّرمذي).

فدلّ قوله: «**وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**» على أنّه يجب على الصّائم أن يجتنب كلَّ ما من شأنه أن يصل إلى حلقه، وإلى معدته من باب أولى.

وعلى هذا تَتَخَرَّج مسألة الاكتحال وَقَطْرَةُ العين في نهار رمضان؛ فالذي يكتحل أو يضع القطرة نهارا، ويصل ذلك إلى حلقه في نفس ذلك النّهار، فهذا يكون صومه قد فسد، وعليه القضاء، وإذا لم يصل منه شيء، فلا قضاء، أمّا من فعل ذلك ليلا، وشعر بأنّه قد وصل شيء إلى حلقه في النّهار، فهذا لا قضاء عليه؛ لأنّه قد صنع ذلك في وقتٍ يحلُّ له فيه ذلك.

ويُفهم من قوله: "**ما تحلَّل**" أنّ إيصال ما لا يتحلّل إلى الحلق أو المعدة كحصى أو قطعة نَقْدٍ غير مُفسد للصّوم، ولكن في الكتب المعتمدة في المذهب تفصيل لهذه المسألة، وهو: أنّه إذا وصل هذا الذي لا يتحلَّل إلى الحلق، وأخرجه، فهذا لا يكون مُفسِدًا للصّوم، أمّا إذا وصل إلى المعدة، فإنّه مفسِد للصّوم، وعلَّلُوا ذلك بقولهم: لأنّه يُثقل المعدة، ويُكسر سَوْرَةَ الجوع.

قوله: "**لا كإحليلا**"؛ الإحليل هو ذكر الرّجل، ويشير النّاظم هنا إلى ما يحقن في ذكر الرّجل للمداواة، فهو غير مفسد للصّوم؛ لأنّ الإحليل ليس له أيُّ منفذ لا إلى الحلق، ولا إلى المعدة.

---

(1)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب في الاستنثار، حديث رقم: 142، 1/99-100. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "حديث صحيح".

وعلى هذه المسألة تَتَخَرَّج مسألة الْحُقَن والإبر المعروفة التي نستعملها للمداواة، والعلماء يُقَسِّمُون هذه الحقن إلى قسمين هما:

القسم الأوّل: حُقَن وإبر مُغَذِّيَة مثل "الجلوكوز" أو ما يُسمّى بـ"السِّيرُوم"، فهذه اختلف فيها العلماء؛ أغلب العلماء قالوا: إنّها من مفسِدات الصّوم؛ لأنّها خلاصة الغذاء؛ نحن نعلم أنّ الإنسان حينما يأكل تقوم المعدة بعملية الهضم، وبعدها تكون عملية الامتصاص، وتذهب خلاصة الغذاء إلى الدّم، فَيَتَقَوَّى بها الجسم، وهذه الحقنة الْمُغَذِّيَة هي خلاصة الغذاء، ونحن قد حَقَنَّاها مباشرة في الدم؛ فهي تُغَذِّي، وتنشِّط الإنسان، وبالتالي فهي مفسِدة للصّوم.

وهناك بعض العلماء مثل بخيت المطيعي (مفتي الدِّيار المصرية سابقا)، والقرضاوي، وابن العثيمين، هؤلاء قالوا: إنّها غير مفسِدة للصّوم؛ لأنّه مهما حَقَنَّا في هذا الإنسان من "جلوكوز" فإنّ حاجته إلى الطّعام والشّراب تبقى قائمة، ليس كمثلها أَيِّ حاجة، وبالتّالي فإنّ الحكمة من الصّوم لا تزال قائمة، وما دام الأمر كذلك، فهي غير مفسِدة للصّوم.

ونقول: إنّ هذا الذي لجأ إلى "السِّيروم" هذا إنسان مريض مُنهك يُباح له الفطر.

القسم الثّاني: حقن وإبر غير مُغَذِّيَة، وهذه غير مفسِدة للصّوم بالإجماع، وهذه التي هي غير مُغَذِّيَة؛ كأن يكون إنسان حرارته مرتفعة، فيحقن حُقْنة لخفض حرارة جسمه، أو يكون ضغطه عاليا، فيحقن حُقْنة لخفض ضغطه، فهي لا تحتوي على أيّ غذاء للجسم.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

نِسْيَانُ ذَا فِي الْفَرْضِ يَوجِبُ الْقَضَا ** كَالسَّبْقِ مِمَّا اسْتَاكَ أَوْ تَمَضْمَضَا

الشّرح: بعد ما ذكر النّاظم مفسِدات الصّوم، ها هو الآن بدأ الحديث عمّا يوجب القضاء، قال: "**نسيان ذا في الفرض يوجب القضاء**"، و"ذا" اسم إشارة؛ فهو إشارة إلى ما كان يتحدّث عنه من مفسدات الصّوم التي كنّا بصدد شرحها، وهي: إخراج المنيّ والمذيّ والقيء، والجماع، وإيصال ما يتحلّل للحلق أو المعدة؛ فكلٌّ من فعل واحدة من هذه الأشياء ناسيا؛ مثلا إنسان جامع امرأته، وهو ناسٍ، وإن كان هذا أمرٌ مستبعد، أو قبّل أو لامس ناسيا حتّى أمذى أو أمنى، أو أكل أو شرب ناسيا، فكلُّ هذا يوجب القضاء، هذا هو مذهب مالك.

الأدلّة على وجوب القضاء لمن أفطر ناسيا: استدلوا على ذلك بما يأتي:

1- أنّ ماهية الصّوم قد تلاشت؛ لانهدام أحد ركنيه، وهو الإمساك؛ فلا وجود للصّوم مع عدم الإمساك.

2- قياسا على نسيان الصّلاة؛ فمن نسي صلاةً وجب عليه قضاؤها، وكذلك الصّوم.

3- أنّ القضاء إذا وجب على المريض مع كونه أعذر من النّاسي، كان بأن يجب على النّاسي بطريق الأولى.

قالوا: وأمّا ما جاء عن النبي ﷺ في الحديث المتّفق عليه أنّه: «**مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ**»[1]، فقد جاء لرفع المؤاخذة؛ فلا يكون آثما، وسكوت النبي ﷺ عن القضاء لا يوجب إسقاطه.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان، حديث رقم: 6669، 8/136.

لكن الفريق الآخر ردّ قائلا: ما تقولون فيما جاء في سنن الدّارقطني عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنّه قال: «**إِذَا أَكَلَ الصَّائِمُ نَاسِيًا أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ**»[1]، وعنه أيضا أنّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَفْطَرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَاسِيًا فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَةَ**»[2]، فهما صريحان في أنّ من أفطر ناسيا، سواءً في رمضان أو في غيره لا قضاء عليه؟

وأجاب المالكيّة: إنّ هذا الحديث خبر آحاد، وخبر الواحد إذا جاء على خلاف القواعد لا يُعمل به، وهذا الحديث يُوافق القاعدة في رفع الإثم، فقُبِل في ذلك، ولا يوافقها في عدم بقاء العبادة بعد ذهاب رُكنها وحقيقتها، فلا يُعمل به في هذا الجانب.

والذي يبدو راجحا -والله أعلم- هو القول بعدم وجوب القضاء على من أفطر ناسيا؛ لأنّ هذا الحديث هو بذاته قاعدة مُسْتَقِلَّة في باب الصّيام تَلَقَّيْنَاهَا عن صاحب الشّرع، ولو فُتح باب ردّ الأحاديث الصّحيحة بمثل ذلك لَمَا بقي من الأحاديث إلّا القليل، وَلَرَدَّ من شاء ما شاء من الأحاديث الصّحاح.

على كلّ حال الفطر نسيانا في الفرض يوجب القضاء في مذهب مالك، ولا يوجبه عند الجمهور لِمَا ذكرنا من أدلّتهم على ذلك.

وقوله: "**في الفرض**" مفهومه أنّ النِّسيان في النّفل لا يوجب القضاء، وهو كذلك.

قوله: "**كالسّبق ممّا استاك أو تمضمض**"؛ أي أنّه ممّا يوجب القضاء كذلك ما يسبق الصّائمَ إلى حلقه أو جوفه من المفطرات؛ كإنسان يستاك أو يستعمل معجون

---

(1)- رواه الدارقطني في سننه، كتاب الصيام، باب، حديث رقم: 2242، 141/3. قال الدارقطني: "إسناده صحيح، وكلُّهم ثقات".

(2)- رواه الدارقطني في سننه، كتاب الصيام، باب، حديث رقم: 2243، 142/3. قال الدارقطني: "تفرَّد به محمد بن مرزوق وهو ثقة , عن الأنصاري".

الأسنان أو يتوضأ، أو طبّاخا يتذوَّق ما يصنع من طعام، وإذا به غلبه شيء من ذلك، وذهب إلى حلقه أو إلى جوفه، فهذا يوجب القضاء، وهذا هو الموجب الثاني للقضاء.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَالشَّكُّ فِي الْفَجْرِ أَوْ الْغُـرُوب ** أَوِ ابْتِلَاعِ الْبَلْغَمِ الْمَغْلُـوبِ

الشّرح: الموجب الثالث للقضاء هو الشّكّ في طلوع الفجر أو غروب الشّمس؛ وهنا نُمَيّزُ بين حالين من الشّكّ:

الحال الأوّل: هو أن يأكل أو يشرب حال كونه شاكًّا في طلوع الفجر أو غروب الشّمس، فهذا يحرمُ عليه الأكل والشّرب، وإضافة إلى ذلك يجب عليه القضاء.

الحال الثّاني: أن يطرأ عليه الشّكّ بعد الأكل والشّرب، فيقول في نفسه: هل أكلت قبل الفجر أم بعده؟ هذا -طبعا- الحرمة غير موجودة، ويجب عليه القضاء.

قوله: "**أو ابتلاع البلغم المغلوب**"، لا الغالب، وهذا هو الموجب الرّابع للقضاء، والبلغم هو هذه النُّخَامَة التي نجدها أو ما يسقط من الدِّماغ مُنْعَقِدًا كما يعبِّرون عنه، فهذه النُّخَامَة على ما مشى عليه النّاظم: إذا كانت مغلوبة؛ أي يستطيع الإنسان أن يلفظها خارج فيه، لكنّه ابتلعها، فيجب عليه القضاء، لكن المشهور في المذهب لا قضاء فيها؛ لأنّ هذا ممّا يشق الاحتراز منه، فالنُّخامة سواء كانت غالبة أو مغلوبة لا توجب القضاء، وذهب بعض علماء المذهب إلى كراهة النُّخامة المغلوبة، أمّا أنّها تُفسد الصوم، فلا.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

أَوْ عَامِدًا فِي النَّفْلِ فِطْرًا حُرِّمَا ** وَلَوْ عَلَيْـهِ بالطَّـلَاقِ أُقْسِـمَا

الشّرح: الموجب الخامس للقضاء هو الفطر عمدا في النّفل؛ مثلا إنسان صائمٌ الخميس أو الإثنين أو يوم عرفة، وأفطر عمدا دون عذر، هذا يجب عليه أن يقضي يوما مكانه.

ودليل ذلك: ما جاء في موطّأ مالك، وفي صحيح ابن حِبّان: عن عائشة، قالت: أصبحت أنا وحفصة صائمتين مُتطَوِّعَتَيْن، فَأُهْدِيَ لنا طعام، فأفطرنا، فقال رسول الله ﷺ: «**صُومَا مَكَانَهُ يَوْمًا آخرَ**»[1]؛ لأنّ النّافلة هي في الأصل نافلة، لكن الإنسان إذا شرع في هذه النافلة، فإنّه يجب عليه أن يتمّها، وهذا لقول الله تبارك وتعالى في الصّيام خصوصا: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: 187]، ولقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: 33]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: 01]؛ فهذا عهد قطعته بينك وبين الله أنّك ستصوم هذا اليوم نفلا، فما عليك إلّا أن تُوفِيَ بهذا العهد.

وهذه المسألة مبنية على مسألة أصولية، وهي: هل النّفل يجب بالشروع فيه أم لا؟ فهناك من العلماء من قال: إنّ النّفل يبقى نفلا؛ فبإمكانك أن تُتِمَّه، وبإمكانك أن تقطعه في أيّ وقت بلا حرج.

أمّا مذهب مالك عليه رحمة الله ففيه تفصيل، وهو: أنّ الأصل في النّفل لا يجب بالشُّروع فيه إلّا في سبع مسائل، وقد نظم هذه المسائل العلّامة الحطّاب شارح مختصر خليل، وقد أخذها عنه الشِّنقيطي العلوي صاحب نظم "مراقي السُّعود لمبتغي الرُّقيّ والصُّعود"، وضمَّنها منظومته، يقول:

وَالنَّفْلُ لَيْسَ بِالشُّرُوعِ يَجِبُ ** فِي غَيْرِ مَا نَظَمَهُ مُقَرَّبُ
قِفْ وَاسْتَمِعْ مُسَائِلًا قَدْ حَكَمُوا ** بِأَنَّهَا بِالابْتِدَاءِ تَلْزَمُ
صَلَاتُنَا وَصَوْمُنَا وَحَجُّنَا ** وَعُمْرَةٌ لَنَا كَذَا اعْتِكَافُنَا
طَوَافُنَا مَعَ ائْتِمَامِ الْمُقْتَدِي ** فَيَلْزَمُ الْقَضَا بِقَطْعِ عَامِدِ

---

(1)- رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الصوم، باب قضاء الصوم، حديث رقم: 3517، 284/8. قال محققه شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

سبع مسائل، فكلُّ من شرع في واحدة من هؤلاء، فإنّها تجب عليه بمجرّد الدخول فيها، ويجب قضاؤها إن هو قطعها بغير عذر إلّا الائتمام بالإمام، فقد قال الحطاب: الظاهر عدم لزوم إعادته، فهو يلزم بالشُّروع، ولا يجوز له الانتقال، لكنّه إذا قطع لا تلزمه الإعادة مع الإمام.

قد يقول قائل: إذا كانت كلّ هذه الأمور تجب بالشُّروع، فماذا بقي؟ هناك أمور لا تجب بالشُّروع فيها مثل الصَّدقات؛ إنسان قرّر فيما بينه وبين نفسه التَّصَدُّق بمبلغ من المال تطوُّعا، وعيَّن هذا المبلغ، وبدأ بالتّصدُّق به، ثمّ تراجع، هذا لا يجب عليه إتمام هذه الصّدقة، ولا قضاؤها، وكذا إنسان أمسك بالمصحف، ونوى تلاوة جزء من كتاب الله عز وجل، ثمّ قطع هذه التِّلاوة، هذا لا يجب عليه القضاء.

قوله: "**فطرا حُرِّم**"، هذا يعني أنه يوجد فطرٌ عمدٌ لا يحرُم، وهو كذلك، ومثّلوا له بإنسان كثير الصّيام، ويبالغ كثيرا حتّى أشفق عليه والداه، فجاءته أمُّه أو أبوه، وعزم عليه أن يُفطر هذا اليوم، فأفطر بِرًّا بوالدته أو أبيه، هذا لا قضاء عليه، كذلك من كان لديه شيخ يتعلّم ويتربَّى على يديه، وكان هذا الشّيخ عارفٌ بحاله، وعزم عليه أن يُفطر، فلا قضاء عليه كذلك.

قوله: "**ولو عليه بالطّلاق أُقسم**"، هذا متعلِّق بالفطر المحرَّم، بمعنى أنّه لا يجوز الفطر في الظروف العادية في غير ما ذكرنا من أمر الوالدين أو الشيخ، ولو حلف عليه إنسان بالطّلاق، وقال له: عليّ الطلاق إن لم تُفطر، فإنّه إن برّ بيمينه وأفطر، فإنّ عليه القضاء، وإن لم يُفطر طُلِّقت زوجة من أقسم عليه بالطّلاق.

المحاضرة الرّابعة وتشتمل على:

❋ما لا يوجب قضاءً ولا كفّارة

❋ما يوجب القضاء والكفّارة

❋شروط الكفّارة

❋الكفّارة تكون على التّخيير

❋أنواع الكفّارات

❋حكم من فرّط في قضاء رمضان حتّى أتاه رمضان الموالي

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومنِ اتّبع خُطاهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نواصل إن شاء الله دروسنا في باب الصّيام، وكنّا في الدّرس الماضي قد تعرَّضنا للمُفطرات أو مُفسدات الصّوم، وكذلك تعرَّضنا لِمَا يوجب القضاء، ونواصل اليوم إن شاء الله.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَلَا قَضَا فِي غَالِبٍ مِنْ مَـذْيِ ** أَوْ قَـيْءٍ أَوْ مِنْ بَلْغَمٍ أَوْ مَـنْيِ

الشّرح: لَمّا أنهى النّاظم الكلام عمّا يوجب القضاء، الآن بدأ الحديث عمّا لا القضاء فيه؛ هناك أمور إذا حصلت للصّائم لا يترتّب عليها لا قضاء، ولا كفّارة، قال: "**ولا قضاء في غالبٍ من مذي**"، وبالمناسبة: نقول: مَذْيٌ على وزن ظَبْيٌ، ونقول: مَذِيّ على وزن صَبِيّ، ومثل ذلك: المنيّ، والوديّ؛ ولذلك النّاظم تارة يستعمل مَذِيّ، وتارة يستعمل مَذْي، بحسب ما يحتاج إليه من الأوزان في منظومته.

قال: "**ولا قضاء في غالبٍ من مذي**"؛ المذيّ الغالب هذا لا قضاء فيه؛ مثلا إنسان ابتُلي بنظرة عابرة لم يكن مُتَسَبِّبًا فيها، أو جاءته فكرة في رأسه رغمًا عنه؛ هو قطع ذلك منذ الوهلة الأولى، لكن سيطرت عليه تلك الفكرة أو تلك النّظرة، ولم يستطع ردّها حتّى أَمْذَى، هنا نقول: أنّ هذا غلبه المذيّ؛ فيكون لا قضاء عليه.

قوله: "**أو قيء**"؛ نحن قلنا سابقا: إنّ الذي استقاء يجب عليه القضاء، وهذا الذي خرج منه القيء غلبةً لا قضاء عليه، وهذا لحديث النبي ﷺ الذي جاء في سنن أبي

داود، وسنن النّسائي: «**مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنْ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ**»[1].

لكن هذا الذي غلبه القيء، فبمجرّد غلبة القيء له لا قضاء عليه كما ذكرنا، أمّا إذا رجع من هذا القيء الغالب شيء غلبةً أو نسيانا فعليه القضاء، وإن أرجع منه شيئا مختارا، فهذا يكون كمن أكل أو شرب عامدا، فعليه القضاء والكفّارة.

قوله: "**أو من بلغم**"؛ النّاظم -كما ذكرنا من قبل- مشى على أنّ البلغم المغلوب إذا ابتعله الصائم يوجب القضاء، والمشهور في المذهب عكس ذلك؛ فالبلغم سواء كان غالبا أو مغلوبا لا قضاء فيه، وبعض علماء المذهب ذهبوا إلى كراهة ابتلاع البلغم إذا كان مغلوبا، وأمّا الغالب فلا كراهة فيه، وبالتالي فإنّ النّاظم هنا قرَّرَ عكس المشهور كما أوضحنا سابقا.

قوله: "**أو مني**"؛ تفصيله مثل ما مرّ في تفصيل المذي، فلا قضاء على من غلبه المنيّ.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-

وَلَا ذُبَابُ غَـبْرَةُ الطَّرِيـقِ ** أَوْ صَانِعُ الْجِبْسِ أَوِ الـدّقِيقِ

الشّرح: "**ولا ذباب**"؛ إنسان فمه مفتوح، جاءت ذُبابة فدخلت في فيه، ووصلت إلى جوفه، فهذا أيضا لا قضاء عليه، وكذا إذا تسرّبت إلى جوفه "**غبرة الطّريق**" كما قال، ومثل ذلك صانع الجِبس أو الدّقيق، فكلُّ هؤلاء لا قضاء غليهم.

وكلُّ ما تقدّم لمشقّة الاحتراز من ذلك.

---

(1)- سبق تخريجه ص92.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَخَمْسَــةٌ فِي عَمْــدِهَا تُكفَّــرُ ** إِلَّا بِتَأْوِيــلٍ قَرِيــبٍ يُعْــذَرُ

فِي رَمَضَــانَ قَــطُّ بِاخْتِيَــارِ ** ....

الشّرح: بعد أن تحدّث النّاظم عمّا يوجب القضاء، ثمّ تحدّث عمّا لا قضاء فيه ولا كفّارة، راح الآن يتحدّث عمّا يوجب القضاء والكفّارة، وحصرها في خمسة أمور، فقال: "**وخمسة**"، ولكن قبل أن يفصِّل في هذه الخمسة أشار إلى شروط الكفّارة؛ فهناك شروط يجب توفُّرها حتى نقول أنّ هذا الإنسان تجب عليه الكفّارة، وكلّما وجبت الكفّارة، فإنّه يجب القضاء ضِمنا، وتفصيل هذه الشروط في الآتي:

الشّرط الأوّل: أن يكون عامدا في فطره، وهذا ما أشار إليه بقوله: "**وخمسة في عمدها تُكفَّرُ**"؛ فلا كفّارة على ناسٍ أو مغلوب؛ فمن أكل أو شرب ناسيا فلا كفّارة عليه، وكذا من غلبه مفطِرٌ من المفطرات.

الشّرط الثاني: أن لا يكون مُتَأَوِّلًا تأويلا قريبا، وهذا ما أشار إليه بقوله: "**إلّا بتأويلٍ قريب يَعذرُ**"؛ لأنّ هناك من التّأويل ما يكون بعيدا.

ومن الأمثلة التي يضربونها على التّأويل القريب ما ياتي:

المثال الأوّل: إنسان أصبح جُنُبا أو امرأة طهُرت قُبيل الفجر، وطلع عليها الفجر، وهي لم تغتسل بعد؛ فظنّ هذا الذي أصبح جُنُبا أو هذه المرأة التي طلع عليها الفجر ولم تغتسل؛ ظَنَّا أنّهما بإصباحهما جُنُبَيْن من غير غسل يُباح لهما الفطر، فأفطرا غير مُنْتَهِكَيْنِ لحرمة رمضان، وإنّما أفطرا مُتَأَوِّلَيْنِ، فهذان لا كفّارة عليهما، وإنّما عليهما القضاء فقط، فتأويلهما هذا قالوا عنه: هو تأويل قريب.

المثال الثاني: من قدم من سفرٍ ليلًا، فظنّ أنّه حتّى في اليوم الموالي يُرَخَّصُ له في الفِطر، فأصبح مُفطِرا، هذا كذلك قالوا عنه: إنّ تأويله تأويلٌ قريب.

المثال الثالث: من سافر مسافةً دون مسافة القصر، فظنّ أنّه يُباح له الفطر بذلك السّفر، فأفطر.

ومن أمثلة التّأويل البعيد الآتي:

المثال الأوّل: كأن تكون امرأة اعتادت أن تأتيها الدّورة الشّهريّة في اليوم الخامس من كلّ شهر، فأصبحت مُفطرة في ذلك اليوم دون أن ترى دم الحيض، فهذه يجب عليها القضاء والكفّارة، ولو جاءتها العادة فيما بعد في نفس ذلك اليوم؛ لأنّ الشّارع الحكيم رتّب الأحكام على أسبابٍ مُحدّدة؛ فهي لا تُفطر حتّى ترى دم الحيض، فهذا تأويلٌ بعيد.

المثال الثاني: شخصٌ اعتاد أن تأتيه الحُمَّى في كلِّ يوم اثنين من كلِّ أسبوع، وأصبح مُفطِرا، فهذا تأويلٌ بعيد، وعليه القضاء والكفّارة، ولو جاءته الحُمّى بالفعل فيما بعد خلال نفس النّهار.

الشّرط الثالث: أن يكون هذا الفطر العمد في رمضان خاصّة، وهذا ما أشار إليه بقوله: "**في رمضان قط**"؛ فالكفّارة لا تكون إلّا في الفطر من رمضان، أمّا غيره من الصّيام فلا تجب فيه الكفّارة، ولو كان هذا الصّيام واجبا؛ كأن يكون صيام كفّارة من الكفّارات؛ ككفّارة القتل أو الظِّهار أو كفّارة رمضان، فلا كفّارة إلّا في الفطر من رمضان.

الشّرط الثالث: أن يكون مختارا في فطره، فلا كفّارة على من أُكْرِهَ على الفطر، وهذا ما أشار إليه بقوله: "**باختيار**".

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

.... ** فَرَفْعُـهُ النِّيَّـةَ بالنَّـــــهَارِ

أَوْ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا بِفَـمٍ عَمْـدًا ** أَوْ مِنْ جِمَاعٍ أَوْ مَنِيٍّ قَصْدَا

الشّرح: الآن بدأ في تِعْدَادِ ما يوجب القضاء والكفّارة، وهي على التفصيل الآتي:

أولا - رفض نِيّة الصّوم بالنّهار: إنسان في ضُحى أو قيلولة من رمضان قال: أنا أَبْطَلْتُ صومي، فهذا عليه القضاء والكفّارة، أو رفض نيّة الصوم من اللّيل، وظلّ رافضا لها إلى أن أصبح، وهذا أيضا يجب عليه القضاء والكفّارة، وهذا ما أشار إليه النّاظم بقوله: "**فرفعه النّيّة بالنّهار**"، وأمّا رفع النّيّة بعد الانتهاء من الصّوم، فإنّه لا يضرّ.

وبالمناسبة الصّلاة مثل الصّوم في رفع النّيّة؛ فمن رفع النّيّة أثناء صلاته بطلت صلاته، بخلاف الحج والعمرة؛ فإنّ رفع النّيّة فيهما لا يضرّ لا في الأثناء، ولا بعد الانتهاء.

ثانيا - الأكل أو الشّرب بالفم عامدا: الأكل أو الشُّرب، ويُشترط فيه أن يكون بالفم؛ أن يوصل مُفطِرا من المفطرات إلى حلقه أو معدته عن طريق الفم، أمّا إذا أوصل هذا المفطر إلى الحلق أو المعدة عن طريق منفذٍ آخر؛ كأن يكون عن طريق الأذن أو الأنف أو غير ذلك من المنافذ، فإنّه وإن أوصله عمدا إلى حلقه أو جوفه يجب عليه القضاء فقط، ولا كفّارة في ذلك، وعلّلوا ذلك بقولهم: إنّ هذا الأمر لا تَتَشَوَّفُ إليه النُّفوس؛ فكونك توصل شُربا أو أكلا إلى جوفك عن طريق هذه المنافذ من أنفٍ أو أذنٍ، هذا أمرٌ غير محبَّب إلى النُّفوس.

ودليل وجوب الكفّارة من الأكل والشُّرب بالفم عمدا: حديث الأعرابي الذي وقع في امرأته في رمضان، وأمره النبي ﷺ بالتّكفير؛ ففقهاؤنا قالوا: إنّ العِلّة هنا ليس الجماع بحدّ ذاته، وإنّما هي انتهاك حرمة الشّهر؛ فمن أكل أو شرب متعمِّدا فقد انتهك حرمة الشّهر، ويكون مثله مثل من جامع في نهار رمضان.

وأصرح منه في الدّلالة على المقصود ما جاء في الموطّأ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ: "أن النبي ﷺ أمر رجلا أفطر في رمضان، أن يعتق رقبة، أو يصوم شهرين، أو يطعم ستّين مسكينا"[1]؛ فقد عبّر أبو هريرة ﷺ في هذه الرِّواية بالفطر، ولم يخصّ الجماع بالذِّكر، والحادثة هي نفسُها؛ فدلّ ذلك على أنّ الصائم إذا تناول أَيَّ مُفطرٍ من المفطرات عمدا، سواء كان جماعا أو أكلا أو شُربا، فإنّه تجب عليه الكفّارة كما يجب عليه القضاء.

ثالثا – الجِماع: من جامع في نهار رمضان عامدا عليه القضاء والكفّارة بالإجماع، ومستند الإجماع هو حديث الأعرابي، وقد سبق ذكره بنصِّه.

رابعا – تعمُّد الاستمناء: من تعمَّد إخراج المنيّ بقبلة أو لمسٍ أو استدامة فكر، فهذا عليه القضاء والكفّارة؛ لأنّ تعمُّد إخراج المنيّ بهذه الدّواعي هو في معنى الجِماع.

قد يسأل سائلٌ ويقول: النّاظم قال: "**وخمسة في عمدها تُكفَّر**"، والذي تمّ تفصيله هو أربعة فقط، فأين هي الخامسة؟

والجواب: أنّ النّاظم احتسب الأكل والشُّرب كلّ واحدٍ منهما يوجب القضاء والكفّارة، ونحن جعلناهما واحدا؛ لأنّهما بمعنى واحد.

وقد يسأل كذلك سائلٌ ويقول: أنّ حديث الأعرابي في الصّحيحين ليس فيه القضاء، وإنّما فيه الكفّارة فقط، فما هو دليل وجوب القضاء؟

والجواب: إنّ وجوب القضاء جاء في رِوايات أخرى كما في سنن أبي داود: حين أُتِيَ النبي ﷺ بعرَقٍ من تمر، وقال: أين السّائل؟ قال الرّجل: أنا يا رسول الله، وقال له: خذه وتصَدّق به، قال: أَعَلَى من هو أَفقر منّي، والله ما بين لَابَتَيْهَا أهل بيتٍ أفقر من

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها، وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمة المعسر حتى يستطيع، حديث رقم: 111، 782/2.

أهل بيتي، حينها قال له النبي ﷺ: «**كُلْهُ أَنْتَ، وَأَهْلُ بَيْتِكَ، وَصُمْ يَوْمًا، وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ**»[1]، وكذا جاء في الموطّأ مرسلا عن سعيد بن المسيِّب: «**كُلْهُ، وَصُمْ يَوْمًا مَكَانَ مَا أَصَبْتَ**»[2]

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَهِيَ عَلَى التَّخْيِيرِ إِمَّا أَدَّى ** سِتِّينَ مِسْكِينًا لِكُلٍّ مُدًّا

أَوْ صَامَ شَهْرَيْنِ وِلَاءً نَسَقَا ** أَوْ مُؤْمِنًا رِقًّا سَلِيمًا أَعْتَقَا

الشّرح: بعد ما عرفنا شروط الكفّارة، وما هي الأمور التي توجب الكفّارة؟ راح الآن يتحدّث عن عمّا يُكَفَّرُ به، وقبل ذلك أشار إلى أنّ الكفّارة على التّخيير، فقال: "**وهي على التخيير**"؛ أي أنّ الكفّارة على التّخيير في مذهب مالك؛ بمعنى أنّ المكلّف الذي ارتكب واحدة من الأمور السّالفة الذِّكر، فإنّه يكفِّر بأيِّ واحدة شاء من المكفِّرات التي سيأتي تفصيلها، خلافا للجمهور الذين يرون أنّها على التّرتيب.

ودليل الجمهور: ما جاء في الصّحيحين، قالوا: إنّ النبي ﷺ قد رتّب مع الرّجل؛ بحيث أنّه أمره أوّلا بعِتق رقبة، ثمّ بصيام شهرين متتابعين، ثمّ بإطعام ستّين مسكينا.

ودليل المذهب: رواية مالك في الموطّأ، ومسلم في صحيحه؛ وهو ما ذكرته قبل قليل: "أنّ النبي ﷺ أمر رجلا أفطر في رمضان، أن يعتق رقبة، أو يصوم شهرين، أو يطعم ستّين مسكينا"، و"أو" كما هو معلوم تفيد التّخيير؛ يقول لك: خذ هذه أو تلك؛ فأنت مخيّر بين أن تأخذ هذه أو تلك.

---

(1)- سبق تخريجه ص 93.

(2)- رواه مالك في الموطأ مرسلا عن سعيد بن المسيِّب، كتاب الصوم، باب كفّارة من أفطر في رمضان، حديث رقم: 29، 297/1.

وممّا يُستأنس به لترجيح أنّها على التّخيير ما قاله أحد المحقّقين من الفقهاء المعاصرين، قال: إنّ النبي ﷺ لم يُحتّم على هذا الرّجل كثيرا، وكان متساهلا معه مع أنّه فيما يبدو كان من القوّة والفتوّة ما يجعله يستطيع الصّيام، ولو لم يكن كذلك لَمَا غلبته شهوته، ووقع في امرأته في نهار رمضان، ومع ذلك لم يُلزمه بالصّيام، بل نقله إلى الإطعام.

قوله: "**إمّا أدّى ستّين مسكينا لكلٍّ مُدّا**"، بعد أن بيّن النّاظم أنّ الكفّارة على التخيير، راح الآن يفصّل أنواع الكفّارات، وأوّل ما بدأ به من الكفّارات هو الإطعام؛ أن يُطعم ستّين مسكينا لكلّ واحدٍ منهم مُدّ.

ودليل ذلك: ما جاء في سنن أبي داود: "فَأُتِيَ بعرق فيه تمر قدر خمسة عشر صاعا"[1]، والصّاع فيه أربعة أمداد إجماعا؛ فتحصّل لدينا أنّ عرَق التّمر هذا فيه ستّون مُدّا، والْمُدُّ بموازيننا الحديثة هو حوالى 650غ، ويكون من غالب قوت أهل البلد.

قوله: "**أو صام شهرين وِلاءً نسقا**"؛ هذا هو النّوع الثاني من أنواع الكفّارات؛ وهو صوم شهرين متتابعين من دون انقطاع، وإن حصل وأن أفطر عمدا، فإنه يستأنفها من جديد دون حساب ما مضى ممّا صامه.

ويصوم هذين الشّهرين بالهلال، سواء كان الشّهر تامًّا أو ناقصا، فيتحرّى الهلال، وإذا حصل أن لم يلتزم تحرّي الهلال، فابتدأ صومه مثلا في اليوم الثّالث عشر من شوّال، فإنّه يصوم ذا القِعدة بالهلال، سواء كان تامًّا أو ناقضا، ويكمل بعد ذي القِعدة سبعة عشرة يوما إتماما للثّلاثين.

قوله: "**أو مؤمنا رِقّا سليما أعتق**"، هذا هو النّوع الثالث والأخير من أنواع الكفّارات؛ وهو عتق رقبة مؤمنة سليمة من جميع العيوب، ليس فيها أيُّ شائبة حريّة؛

---

(1)- سبق تخريجه قريبا.

فلا تجزئ رقبة كافرة، ولا مَعِيبَة، ولا يجزئ مُبَعَّضٌ، ولا مُعْتَقٌ إلى أجل، ولا مُدَبَّر، وهذا كلُّه في كفّارة اليوم الواحد مع وجوب قضائه.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَمَنْ تَوَانَى فِي قَضَاءِ رَمَضَانِ ** مُفَرِّطًا حَتَّى أَتَاهُ الثَّانِي

إِطْعَامُ مُدٍّ مَعْ قَضَاءِ الصَّوْمِ ** عَلَيْهِ إِيجَابًا لِكُلِّ يَوْمِ

الشّرح: الآن راح النّاظم يتحدّث عن مسألة أخرى، وهي ما يتعلّق بمن فرّط في قضاء رمضان من حكم؛ إنسان مثلا أفطر في رمضان الماضي لمرضٍ أو سفرٍ أو لأيّ عذرٍ من الأعذار، وفرّط في القضاء حتّى أتاه رمضان الموالي، ما حكمه؟ قال:

هذا كما قال يجب عليه القضاء، وأن يُطعم عن كلِّ يومٍ فرَّط في قضائه إطعام مُدٍّ.

ودليل ذلك: ما رواه الدّارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه في رجل مرض في رمضان ثم صحَّ، ولم يصم حتّى أدركه رمضان آخر، قال: "يصوم الذي أدركه، ويطعم عن الأوّل لكلِّ يومٍ مُدّا من حنطة لكلِّ مسكين , فإذا فرغ في هذا صام الذي فرَّط فيه"[1].

كما جاء ذلك عن ابن عبّاس، وعن ابن عمر[2] رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، وقال الطَّحّاوي عن يحيى بن أَكْثَم: "وجدت هذا الأمر عن سِتَّة من الصّحابة، لا أعلم لهم مخالفا"[3]، فكان بمثابة إجماع سكوتي بين الصّحابة رضوان الله عليهم.

لكن السؤال الآن: ما هو ضابط التّفريط؟

---

(1)- رواه الدّارقطني في سننه، كتاب الصيام، باب القُبلة للصائم، حديث رقم: 2343، 179/3. قال الدّارقطني: "إسناد صحيح موقوف".

(2)- أثرا ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم أخرجها الدّارقطني في سننه، كتاب الصيام، باب القبلة، على الترتيب: 2342، 2347، 3/178-180.

(3)- ينظر: ابن حجر، فتح الباري، 190/4.

الجواب: يكون مفرّطا فقط إذا لم يَبْقَ عن رمضان الموالي إلّا بعدد الأيّام التي أفطرها في رمضان الماضي، وكان في تلك الأيّام خاليا من جميع الأعذار، ثمّ لم يصم فيها، ولا اعتبار بسائر أيّام العام الأخرى؛ أعطيكم مثالا: إنسان أفطر في رمضان الماضي خمسة أيّام لمرضٍ أو لسفرٍ أو لغير ذلك من الأعذار الشّرعيّة، ولم يَقْضِ ما عليه إلى حين لم يَبْقَ عن رمضان إلّا بعدد الأيّام التي أفطرها، وكان فيها خاليا من جميع الأعذار؛ لم يكن مريضا أو مسافرا، ولم يقضِ ما عليه في تلك الأيّام، فهذا يُعتبر مفرّطا، أمّا إذا حصل له عذرٌ شرعي في تلك الأيّام الخمس التي تسبق رمضان، فلا يُعتبر مفرِّطا، وإن كان فيما سِواها خاليا من جميع الأعذار؛ فالعِبرة بعدد ما أفطره من الأيّام في رمضان الماضي التي تسبق رمضان الموالي، ويكون فيها خاليا من الأعذار.

والذي دلّ على أنّ قضاء رمضان يجوز تأخيره إلى شعبان أو إلى قُبيل رمضان بلا حرج هو: ما جاء في الصّحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان يكون عَلَيَّ الصّوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان"[1].

وفي رواية لمسلم: "الشّغل من رسول الله ﷺ، أو برسول الله ﷺ"[2]، ولا شكّ أنّ المبادرة إلى القضاء مستحبَّة.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب متى يقضي قضاء رمضان، حديث رقم: 1950، 35/3.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب قضاء رمضان في شعبان، حديث رقم: 1146، 802/2.

المحاضرة الخامسة وتشتمل على:

❋حكم المرضع والحامل

❋حكم الشيخ والمرأة الهرِمين اللّذين لا يستطيعان الصّيام

❋بعضٌ من مستحبّات الصّيام

❋ما يُستحب من الصّيام

❋ما يجوز من الصّيام دون كراهة

❋حكم السّواك للصّائم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّا صلاتنا، وصيامنا، وقيامنا، وأن يجعلنا إن شاء الله من عُتقاء هذا الشّهر الكريم؛ إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

كنّافي الدّرس السّابق قد تحدّثنا عمّا لا يوجب قضاءً، ولا كفّارة، وكذلك تحدّثنا عمّا يوجب الكفّارة، وتحدّثنا عن أنواع الكفّارات، وقلنا بأنّ الكفّارة هي واجبة على التّخيير، وكذلك تحدّثنا على من فرَّط في قضاء رمضان حتّى أتاه رمضان الموالي.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

كمُرْضَـعٍ خَافَـتْ عَـلَى الصَّـغِيرِ ** **وَلَمْ يَكُـــنْ ثَمَّ غِـــنًى لِلظِّيـــرِ**
أَوْ لَمْ يَكُ الطِّفْلُ سِوَاهَـــا يَقْبَـلُ ** **أَوْ حَامِلٌ تَخْشَى عَلَى مَنْ تَحْمِـلُ**

الشّرح: هنا يتحدّث النّاظم عن حكم المرضع والحامل، وقد اختلف في حكمهما الفقهاء اختلافا كثيرا ومتباينا؛ حتّى إنّنا نجد ابن كثير ينقل في تفسيره، فيقول: إنّ هناك من قال: إنّهما تجب عليهما الفِدية والقضاء معًا، وهناك من قال: لا تجب عليهما فِدية ولا قضاء، وهناك من قال: تجب عليها الفِدية دون القضاء، وهناك من قال: يجب عليها القضاء دون الفِدية، غير أنّ كلَّهم مجمعون على أنّ الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما، أو خافتا على الصّغير، أو خافتا على نفسيهما والصّغير معًا، فإنّه يُباح لهما الفطر.

قال: "**كمرضع...** "؛ حرف "الكاف" للتّشْبِيه بالمذكور قبله في الحكم؛ نحن قلنا: إنّ حكم من فرّط في قضاء رمضان يجب عليه القضاء والفِدية معًا، وكذلك حكم المرضع والحامل إذا أفطرتا في رمضان يجب عليهما القضاء والفِدية كمن فرَّط في قضاء رمضان

تمامًا، والنّاظم هنا قد عامل الحامل والمرضع معاملةً واحدة، ومشهور المذهب ومعتمده أنّهما مختلفان كما سيأتي.

والأصل في إباحة الفطر للمرضع والحامل هو قول النبي ﷺ كما جاء في سنن النسائي، وسنن الترمذي: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ المُسَافِرِ الصَّوْمَ، وَشَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الحَامِلِ أَوِ المُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوِ الصِّيَامَ**»[1].

وفي مذهب مالك عليه رحمة الله يُباح الفطر للمرضع بشروط:

الشّرط الأوّل: قال: "**خافت على الصّغير**"؛ أن تخشى المرضع على صغيرها من قِلَّة اللّبن، فيتضرَّر صغيرها بسبب ذلك.

الشّرط الثاني: قال: "**ولم يكن ثَمَّ غنىً للظِّير**"؛ وَالظِّئْرُ هي من ترضع الأولاد الصِّغار بأجرة، فمن شرط إباحة الفطر للمرصع هو: أن لا تجد ما تدفعه للظّئْر من أجرة، أمّا إذا وجدت ظئرا، ووجدت ما تدفعه لها من الأجرة، فإنّها تعطي ولدها للظِّئر، ويجب عليها الصّيام.

الشّرط الثالث: قال: "**أو لم يك الطِّفل سواها يقبل**"؛ أنّها ربما وجدت ظئرا، ولكنّ هذا الولد لم يقبل هذه المرأة، فهنا خوفا على الصّغير تُفطر وترضعه.

فإذا توفّرت هذه الشّروط فإنّها تُفطر، ويجب عليها القضاء والفِدية معًا في مذهب مالك.

قوله: "**أو حامل تخشى على من تحمل**"، الآن راح يتحدّث عن الحامل؛ الحامل التي تخشى -كما قلت- على نفسها، أو على جنينها، أو على نفسها وجنينها معًا، فهي كذلك تفطر، والنّاظم هنا عامل الحامل كالمرضع في وجوب القضاء، ووجوب الفِدية، إلّا أنّ المشهور والمعتمد في المذهب أنّ الحامل ليست كالمرضع؛ فالحامل قالوا: هي أكثر شَبَهًا

(1)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الصوم، باب ما جاء في الرُّخصة في الإفطار للحُبلى والمرضع، حديث رقم: 715، 85/3. قال الترمذي: "حديث حسن".

بالمريض، فيجب عليها القضاء فقط دون الفِدية، بخلاف المرضع، فإنّه يجب عليها القضاء والفِدية معًا[1].

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَيُسْتَحَبُّ فِدْيَةٌ لِلْهَرِمِ ** أَوْ عَطِشٍ كِلَاهُمَا لَمْ يَصُمِ

الشّرح: الآن راح يتحدّث عن الرّجل والمرأة الكبيرين الهرِمين اللّذَيْنِ لا يستطيعان الصّيام، ما حكمهما؟ قال: "**ويُستحب فدية للهرِم**"؛ هذان تُستحبّ في حقّهما الفِدية في مذهب مالك، استحبابا فقط، خلافا للجمهور الذين قالوا بوجوب الفِدية.

ودليل الجمهور: ما رواه البخاري عن عطاء أنّه سمع ابن عبّاس رضي الله عنهما يقرأ: "وعلى الذين يُطَوّقُونَهُ فلا يُطِيقُونَه فِدية طعام مسكين"، قال ابن عباس: "ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكينا"[2].

أمّا عند مالك فإنّ هذه الآية منسوخة، والدّليل على نسخها هو ما جاء في الصّحيحين: عن سَلَمَة بن الأكوع ﵁ قال: "لَمّا نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة: 184]، كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتّى نزلت الآية التي

(1)- أقول: إنّ معاملة الحامل على خلاف المرضع هو تفريق بين المجتمعين في نصٍّ واحد، والأقرب للصّواب هو ما مشى عليه النّاظم في أصل معاملتهما معاملة واحدة.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**﴾[القرة: 184]، حديث رقم: 4505، 25/6.

بعدها فنسختها"[1]، وفي رواية لمسلم: "حتى نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: 185]، فنسختها"[2].

ففي أصل مذهب مالك أنّه لا فِدية على الشّيخ الكبير أصلًا، ولكن ذهب فقهاء المالكيّة إلى استحبابها فقط؛ مراعاةً للخلاف.

وأنا أرى -والله أعلم- أنّ رأي مالك هو الأرجح؛ فهو مُتَأَيِّد بالأثر والنّظر؛ أمّا الأثر فحديث سلمة بن الأكوع سالِف الذّكر، وأمّا النّظر؛ فهذا شيخ كبير قد ضَعُف عن العمل، فهو نفسُه عالةٌ على غيره، فمن أين له أن يأتِي بالفِدية؟

قوله: "**أو عَطِشٍ**"؛ هذه صيغة مبالغة من "عطشان"، والمقصود به الذي لا يُطيق مفارقة الماء لفمه أو حَلْقِه؛ تجده دائمًا يشعر بجفاف حادّ في فمه أو حلقه، فيتصرَّر من جرّاء ذلك، وهذا إمّا أن يكون خِلقةً أو لمرضٍ، وأنا أعرف شخصا مُصابا بذلك، فلا يُطيق مفارقة الماء لفمه إلّا قليلا، فهذا العطِش الذي لا يحتمل الصّوم، حكمه حكم الشّيخ الهرِم يفطر، وتُستحبّ في حقّه الفِدية.

ومثلهما المصاب بمرضٍ مزمن لا يُطيق الصّوم.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾، حديث رقم: 4507، 25/6.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان نسخ قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ بقوله: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾، حديث رقم: 1145، 802/2.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

كَـــذَلِكَ التَعْجِيـــلُ بِالفُطُـــورِ ** وَمِـــثْلُهُ التَّـــأْخِيرُ بِالسُّـــحُورِ

الشّرح: الآن بمناسبة حديثه عن استحباب الفِدية للهرِم راح يتحدّث عن بقيّة المستحبّات المتعلِّقة بالصّوم، وسيذكر جُملة من المستحبّات؛ منها ما يتعلّق بذات الصوم؛ أي ما يُستحبّ للصّائم فعلُه، ومنها ما يتعلّق بالصّوم المستحب، وبدأ بما يُستحبّ للصائم، فقال: "**كذلك التّعجيل بالفطور**"؛ أي كما أنّه يُستحبّ للهرِم الفِدية، فإنّه يُستحبّ للصّائم كذلك التّعجيل بالفطور، وسنّة التّعجيل بالفطور معروفة ومشهورة، والنبي ﷺ يقول في الحديث المتفق عليه: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»[1]، فهذه سنّة من سنن الصّيام، وكذلك يقول في الحديث الذي رواه أبو داود: «**لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ**»[2]، فنحن نخالف اليهود والنّصارى في هذه المسألة.

والتّعجيل بالفطور هو كما جاء في الحديث المتفق عليه كذلك: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»[3]؛ فبمجرّد غروب الشّمس يُفطر الصّائم، ونحن بحمد لله عندنا الرُّزنامة الموضوعة من طرف الوزارة الوصيّة، وهذه الرُّزنامة وضعتها لجنة فيها خبراء مختصُّون، فهي مضبوطة بإذن الله عزّ وجل مع طلوع الفجر وغروب الشّمس، فلنلتزم بهذه الرُّزنامة.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار، حديث رقم: 1957، 36/3.

(2)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب ما يُستحبّ من تعجيل الفطر، حديث رقم: 2353، 37/4. قال محقّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرّه بللي: "صحيح لغيره دون قوله: «لأن اليهود والنصارى يؤخرون»، وهذا إسناد حسن".

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب متى يحلّ فطر الصّائم؟ حديث رقم: 1954، 36/3.

قوله: "**ومثله التّأخير بالسُّحور**" أيضا تأخير السُّحور من السنن، والسُّحور في حدّ ذاته سنة، يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مالك والشّيخان: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»[1].

وَأُكْلَةُ السّحور ممّا يميّز صيامنا نحن المسلمين عن صيام اليهود والنصارى؛ فالنبي ﷺ يقول في الحديث الذي رواه مسلم وأبو داوود: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ**»[2]، هذا هو الفيصل بين صيامنا وصيامهم.

والتّأخير بالسُّحور هو كذلك من سنن الصّيام، والذي دلّ على سُنِّيَّة التّأخير بالسَّحور هو ما جاء في الحديث المتفق عليه: أنّ زيد بن ثابت ﷺ قال: "تسحَّرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصّلاة"، قلت: "كم كان بين الأذان والسَّحور؟" قال: "قدر خمسين آية"[3]، فيؤخِّر الإنسان ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ولعلّ من الحِكمة في تأخير السَّحور وتعجيل الفطور أمران هما:

أوّلهما: الابتعاد عن الغلوّ في الدّين، وذلك بالزّيادة في العبادة؛ فالصّيام عبادة محدّدة بوقت معيّن، فكما أنّه لا يُزاد في الصّلاة، فكذلك لا يُزاد في زمن الصّيام.

ثانيهما: التّقليل من مُدّة حرمان الصّائم، وهذا تخفيفٌ ورحمة من الشّارع الحكيم.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب بركة السّحور من غير إيجاب، حديث رقم: 1923، 29/3.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر، حديث رقم: 1096، 770/2.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قدر كم بين السُّحور وصلاة الفجر، حديث رقم: 1921، 29/3.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَصَوْمُ وَقْفَـةٍ لِغَـيْرِ الْمُحْـرِمِ ** وَتَاسِـعِ وَعَـاشِرِ الْمُحَـرَّمِ

وَسِتَّةٍ مِنْ شَهْرِ شَـوَّال كَمَـا ** ثَلَاثَـةٌ مِـنْ كُلِّ شَهْـرٍ عَمَّـا

الشّرح: الآن بدأ الحديث عمّا يُستحب من الصّيام، فقال: "**وصوم وقفة لغير المُحرم**"؛ يقصد بذلك يوم عرفة؛ وهو اليوم التّاسع من ذي الحجة، هذا يُستحب صومه لِمَا جاء في صحيح مسلم أنّ النبي ﷺ سُئل عن صيام يوم عرفة، فقال: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ**»[1]؛ يكفِّر ذنوب سنتين، وفي رواية لأبي داود قال: «**إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»[2].

وصيام يوم عرفة يُستحب لغير المحرِم بالحجّ، وأمّا من كان واقفا بعرفات فإنّه لا يُستحب في حقّه صومه، وذلك لِمَا يأتي:

1- ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: "نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات"[3].

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، حديث رقم: 1162، 819/2.

(2)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب في صوم الدّهر، حديث رقم: 2425، 92/4-93. قال محقّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرّه بللي: "إسناده صحيح".

(3)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 8031، 401/13. قال محقّق المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف". قال الصنعاني: "وصحّحه ابن خزيمة والحاكم على شرط البخاري، واستنكره العقيلي". فتح الغفار، 908/2.

2- ما جاء أيضا في الموطأ وفي الصّحيحين: عن أمّ الفضل زوج العبّاس قالت: "إنّ ناسًا تَمَارَوْا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بِقَدْحِ لبن، وهو واقف على بعيره، فشربه"[1].

فدلّت هذه النّصوص على أنّ الواقف بعرفة لا يُستحب في حقِّه صوم يوم عرفة، والعِلّة في ذلك كما قالوا: حتّى لا يُضْعِفَهُ الصّوم عن الذِّكر، والاجتهاد في الدّعاء.

قوله: "**وتاسع وعاشر المحرم**"؛ ممّا يُستحب من الصّيام كذلك صوم يوم تاسوعاء ويوم عاشوراء.

أمّا بالنسبة لاستحباب صوم يوم عاشوراء فَلِمَا يأتي:

1- ما جاء عن النبي ﷺ في صحيح مسلم في نفس نصّ حديث يوم عرفة قوله: «**وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»[2].

2- ما جاء في الصحيحين عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «**مَا هَذَا؟**»، قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نَجَّى الله بني إسرائيل من عدوِّهم، فصامه موسى، قال: «**فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ**»، فصامه، وأمر بصيامه[3] ﷺ.

أمّا بالنسبة لصيام يوم تاسوعاء فَلِمَا جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في صحيح مسلم وفي سنن أبي داوود قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله إنه يوم تُعَظِّمُهُ اليهود والنّصارى، فقال رسول الله ﷺ: «**فَإِذَا كَانَ**

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة، حديث رقم: 1988، 42/3.

(2)- سبق تخريجه قريبا.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، حديث رقم: 2004، 44/3.

الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»، قال: فلم يأتِ العام المقبل، حتى تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ[1].

فالنبي ﷺ كان في بداية دعوته حريصا على موافقة اليهود في المدينة، وكان يَتَأَلَّفُهُم -فهم أهل كتاب-؛ عسى الله أن يهديهم، ويؤمنوا بالرّسالة الجديدة، ولكن حين عَلِمَ عنادهم ومكرهم أمر ﷺ بمخالفتهم، فقال: «**خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ، وَلَا خِفَافِهِمْ**»[2]؛ فنأخذ من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما مشروعية صيام يوم تاسوعاء كذلك، والأحسن أن يُجْمَعَ بينه وبين عاشوراء.

قوله: "**وستّة من شهر شوّال**"؛ يعني الصّيام المستحب الموالي هو صيام ستّة أيّام من شهر شوّال، وهذا لِما جاء في الصحيح مسلم: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»[3].

فهذا مرغَّب ومحبَّب فيه إلّا أنّه عند الإمام مالك عليه رحمة الله يُكره وصلها بالعيد، ويُكره وصل بعضها ببعض، ويُكره كذلك إظهارها، وتعليل مالك لذلك هو: حتّى لا يَظُنّ جاهلٌ أنّ هذه السِّتّة أيّام من شوّال هي واجبة مثل رمضان، ومن أصول مذهب مالك سدّ الذرائع؛ فسدّا لهذه الذَّرِيعَةِ كره مالك ما سبق ذكره.

قوله: "**كا ثلاثةٌ من كلّ شهر عَمِّما**"؛ أي كا يُستحب من الصّيام ما ذُكر، فإنّه يُستحب كذلك صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر، وهذا لِما جاء في الحديث المتفق عليه عن

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب أيّ يوم يُصام في عاشوراء، حديث رقم: 3411، 797/2.

(2)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النّعل، حديث رقم: 652، 486/1. قال محقِّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرّه بللي: "إسناده حسن".

(3)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان، حديث رقم: 1164، 822/2.

أبي هريرة ﵁ قال: "أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضُّحى، ونومٍ على وتر"[1]، وقد كره الإمام مالك عليه رحمة الله تحديد هذه الأيّام بالأيّام البيض؛ لكراهة التّحديد، قال: يُستحب صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر دون أن يُحدِّدَهَا.

والأيّام البيض هي: الثّالث عشر، والرّابع عشر، والخامس عشر من كلّ شهرٍ قمري، وَسُمِّيَتْ بِيضًا؛ لأنّ القمر تكون موصولة بالنّهار، فيكون فيها اللّيل أبيض، والنّهار كذلك أبيض.

ومن الأحاديث التي وردت في استحباب صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر:

1- عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: "كان رسول الله ﷺ يصوم يعني من غُرَّة كلّ شهر ثلاثة أيام"[2].

2- عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ صَائِمًا مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلْيَصُمِ الثَّلَاثَ الْبِيضَ**»[3].

والذي يبدو من خلال هذين الحديثين أنّ في الأمر سَعَة، فقد ورد عنه ﷺ كما رأيت أنّه صامها في غُرّة الشّهر؛ يعني في بدايته، وجاء عنه أنه أرشد إلى صيامها في الأيّام البِيض؛ لذلك فإنّني أرى أنّه لا قصد للشّارع بصيامها في أيّامٍ محدَّدة، فلكلٍّ أن يختار من الأيّام بينه وبين نفسه ما يُناسبه.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التّهجد، باب صلاة الضُّحى في الحضر، حديث رقم: 1178، 58/2.

(2)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب صوم الثّلاث من كلّ شهر، حديث رقم: 2450، 110/4. قال محقِّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرّه بللي: "إسناده حسن".

(3)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 21350، 280/35. قال محقِّقو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده حسن"

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَجَازَ صَوْمُ جُمُعَةٍ وَالدَّهْـرِ ** كَذَلِكَ التَّسْوِيكُ بَعْدَ الظُّهْرِ

الشّرح: بعد حديث النّاظم عمّا يُستحب من الصّيام راح يتحدّث الآن عمّا يجوز من الصّيام من دون كراهة، فقال: "**وجاز صوم جمعة**"؛ ففي مذهب مالك عليه رحمة الله يجوز صوم الجُمعة منفردا من دون كراهة، ويُستدل على ذلك بما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ في سنن النّسائي وسنن الترمذي: قال: "كان رسول الله ﷺ يصوم من غُرّة كلّ شهر ثلاثة أيام، وقلّما كان يُفطر يوم الجمعة"[1].

وذهب علماء آخرون إلى كراهة صوم يوم الجمعة منفردا؛ إذا لم يصم الإنسان يوما قبله أو بعده.

والأدلّة على ذلك ما يأتي:

1- ما جاء في الصّحيحين: «**لاَ يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إِلَّا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ**»[2].

2- ما جاء في صحيح البخاري: أنّ النبي ﷺ دخل على جُوَيْرِيَة رضي الله عنها فوجدها صائمةً يوم الجمعة، فقال لها: «**أَصُمْتِ أَمْسِ؟**»، قالت: لا، قال: «**تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟**»، قالت: لا، قال: «**فَأَفْطِرِي**»[3].

هذا ما استدلوا به على كراهة صوم يوم الجمعة منفردا، وقالوا: إنّ حديث: "وقلّما كان يفطر يوم الجمعة" محمول على أنه ﷺ كان يصوم إمّا يوما قبله أو يوما بعده.

---

(1)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الجمعة، حديث رقم: 742، 109/3. قال الترمذي: "حسن غريب".

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، حديث رقم: 1985، 42/3.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، حديث رقم: 1986، 42/3.

قلت: لا سيما أنّه من سنّته ﷺ صيام يوم الخميس.

والذي يبدو راجحا -والله أعلم- كراهة صوم يوم الجمعة منفردا، وذلك نظرا لهذه الأحاديث الصّحيحة، والتي هي نصٌّ في النّهي عن صيام يوم الجمعة منفردا، وأمّا حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فهو وصف لحال رسول ﷺ أنّه كان قلّما يفطر يوم الجمعة دون أن يُحيطنا علما بالحيثيات الأخرى التي استفدناها من أحاديث أخرى صحيحة، وهي اشتراط صيام يوم قبله أو بعده.

ثمّ إنّ هناك مُرَجِّحَيْنِ آخرين يجعلنا نميل إلى الرّأي الذي يقول بكراهة صيام يوم الجمعة منفردا، هما:

أوّلهما: إنّ أحاديث النّهي عن صيام يوم الجمعة منفردا وردت في الصّحيحين، فهي تتمتّع بأعلى درجات الصِّحّة، وحديث عبد الله بن مسعود حديث حسن غريب.

ثانيهما: أنّ حديث عبد الله بن مسعود فعلٌ، والأحاديث الواردة في الصّحيحين قولٌ، ومعلومٌ أنّه إذا تعارض القولُ مع الفِعل رُجِّح القول؛ لاحتمال الخصوصيّة في الفعل.

قوله: "**والدّهر**"؛ يعني أنّ من الصّيام الجائز دون كراهة كذلك هو صوم الدّهر، وهذا مذهب مالك والجمهور.

الأدلّة على جواز صوم الدّهر: استدلّوا على ذلك بالآتي:

1- حديث حمزة بن عمرو الأسلمي الوارِد في الموطأ، وفي الصّحيحين: قال له يا رسول الله إنّني رجل أَسْرُدُ (أتابع) الصّوم، أفأصوم في السّفر؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**صُمْ إِنْ**

شِئْتَ، وَأَفْطِرْ إِنْ شِئْتَ»[1]؛ قالوا: هذا رجل يتابع ويسرد صومه، ولم ينهه النبي ﷺ عن الصّوم حتى وهو في السّفر.

2- الحديث الذي مرّ معنا آنفا: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»؛ قالوا: إنّ النبي ﷺ شَبَّه صيام ستّة أيّام من شوّال مع صيام رمضان بصيام الدّهر، وَالْمُشَبَّهُ به هو أفضل من الْمُشَبَّه؛ فيكون صوم الدّهر مستحبا، وهو المطلوب.

3- كما استدلوا بهذا الدّليل، وأحسبه من القوّة بمكان، وهذا الدّليل ذكره الدّسوقي في حاشيته على الشّرح الكبير للدّردير، قال: من نذر صوم الدّهر لَزِمَهُ بالإجماع، فلو كان صوم الدّهر مكروها أو مُحَرَّمًا لَمَا لَزِمَهُ؛ لأنّ النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح الذي رواه مالك والشّيخان: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**»[2].

هذه هي أدلة مالك والجمهور على جواز صوم الدّهر.

وهناك جماعة من أهل العِلم قالوا: إنّ صوم الدّهر يُكره، واستدلّوا على ذلك بأحاديث منها:

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب التّخيير في الصوم والفطر في السّفر، حديث رقم: 1121، 789/2.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب النّذر في الطاعة، حديث رقم: 6696، 142/8.

1- ما جاء في الصّحيحين: عن النبي ﷺ أنّه قال: «**لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ**»[1]؛ يعني دعا عنه النبي ﷺ؛ فيكون أقلُّ ما يُقال في صوم الدّهر أنّه مكروه.

2- ما جاء في صحيح مسلم: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف بمن يصوم الدّهر؟ فقال له النبي ﷺ: «**لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ**» أو قال: «**لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ**»[2].

3- ما جاء في مسند أحمد أنّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ الدَّهْرَ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا**»، وَقَبَضَ كَفَّهُ[3].

وأجاب الجمهور عن هذه الأدلّة بجوابين اثنين هما:

أوّلهما: إنّ هذا النهي إنّما جاء في حقّ من صام الدّهر، وضيَّع حقوق الآخرين بسبب صيامه هذا.

ثانيهما: إنّ هذه الأحاديث محمولة على من صام الدّهر، ولم يفطر حتى في الأيّام المنهي عن صيامها كالعيدين، وأيّام التّشريق.

غير أنّنا نقول: إنّ أوّل حقٍّ يجب أن يراعيه الإنسان قبل حقوق الآخرين هو حقُّ نفسه عليه، ففي صيام الدّهر تضييع لهذه الحقوق، وهذا ما نجده نصًّا عن النبي ﷺ في سبب ورود حديث: «**لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ**» الذي سبق ذكره، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو إِنَّكَ لَتَصُومُ**

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، حديث رقم: 1159، 815/2.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، حديث رقم: 1162، 818/2.

(3)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 19713، 484/32. قال محقِّقو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه ما مفاده: أنّ موقوفه صحيح، فهو موقوف غن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ورُوي مرفوعا إلّا أن في طريقه محمد بنَ أبي عدي، وسماعُه من سعيد بعد الاختلاط.

الدَّهْرَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، وَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، هَجَمَتْ لَهُ الْعَيْنُ، وَنَهَكَتْ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ، صَوْمُ الشَّهْرِ كُلِّهِ»، قلت: فإِنِّي أُطِيقُ أكثر من ذلك، قال: «**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى**»، وفي رواية للبخاري قال له: «**فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَظًّا**»[1].

أضف إلى ذلك أنّ صيام الدّهر ينافي سماحة الإسلام وَوَسَطِيَّتِهِ بين مطالب الجسد وأشواق الرُّوح؛ لذلك نجد النّبي ﷺ كان كثيرا ما يردّ أصحابه إلى هذه الوسطيّة كلّما رأى منهم جُنُوحًا إلى الغلوّ والتَّبَتُّلِ والرَّهْبَنَةِ، ولا أدلّ على ذلك من حديث عبد الله بن عمرو المتقدِّم، وكذلك حديث النّفر الثلاث الذي رواه أنس ﵁، حيث قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخْبِرُوا كأنّهم تَقَالُّوهَا، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنّي أصلّي اللّيل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أُفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[2]؛ لذلك أقول: إنّ صيام الدّهر أقلُّ ما يُقال فيه: إنّه مخالفٌ للهدي النّبوي.

قوله: "**كذلك التّسويك بعد الظّهر**"؛ هنا بمناسبة حديثه عن الجائز من الصِّيام من دون كراهة ذكر ما يجوز للصّائم فعله من دون كراهة كذلك، وهو التّسويك بعد الزّوال، وإن كان سيتناول جملة أخرى ممّا يجوز للصّائم فعله فيما سيأتي، وهو بذلك يريد أن يرُدّ قولًا ذهب إليه الإمام الشافعي، وهو كراهة التّسويك بعد الظُّهر.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حقّ الأهل في الصوم، حديث رقم: 1977، 40/3.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب النّكاح، باب التّرغيب في النّكاح، حديث رقم: 5063، 2/7.

وقد استدلّ الشافعي على كراهة التّسويك بعد الزوّال بقول النبي ﷺ في الحديث المتّفق عليه: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ المِسْكِ**»[1]؛ قال: إنّ السِّواك يُذهب هذا الخُلوف؛ فتزول هذه المنقبة للصّائم؛ فكُرِه السِّواك بعد الزّوال لأجل ذلك.

وعند جمهور العلماء: للصائم أن يستاك متى شاء في نهار رمضان بلا كراهة، واستدلوا على ذلك بما يأتي:

1- ما جاء عن عامر بن ربيعة ﷺ في صحيح البخاري معلّقا، قال: "رأيت النبي ﷺ يستاك، وهو صائم ما لا أُحصي أو أعدّ"[2]؛ دون تفريق بين ما كان قبل الزّوال أو بعده.

2- قال البخاري: وقال: أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ**»[3]؛ وهذا من دون فرق بين أن يكون التّسويك في رمضان أو في غير رمضان، وسواء كان هذا السِّواك لوضوء الصّبح أو الظّهر أو العصر أو غيرها من الصلوات.

من هنا لا حرج في السِّواك، سواء كان قبل الزّوال أو بعد الزّوال.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم: 1894، 24/3.

(2)- رواه البخاري في صحيحه معلّقا، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، 31/3. وقد وصله أبو داود وغيره إلّا أنّ إسناده ضعيف كما ذكر محقّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرّه بللي. ينظر: سنن أبي داود، 45/4.

(3)- رواه البخاري في صحيحه معلّقا، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، 31/3. وقد وصله أبو داود وغيره، وهو حديث صحيح كما ذكر محقّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرّه بللي. ينظر: سنن أبي داود، 35/1.

المحاضرة السّادسة وتشتمل على:

❋شروط إباحة الفطر للمسافر في رمضان

❋ما يجوز للصّائم فعله

❋ما يُكره للصّائم فعله

❋حكم صوم ذات الزّوج النّفل دون إذن زوجها

❋مَحَالُّ إباحة الفطر للمريض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدّين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علما.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَفِطْرُ مَنْ سَافَرَ قَبْلَ الْفَجْرِ ** مَسَافَةَ الْقَصْرِ بِقَصْدِ الْفِطْرِ

الشّرح: هنا يتحدّث النّاظم غن إباحة الفطر للمسافر، وعن الشّروط التي يجب توفرُها في هدا السّفر حتّى يُباح له الفطر.

وشرعية الفطر بالنّسبة للمسافر دلّ عليها الكتاب، والسّنة، والإجماع:

أولا- الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [القرة: 185].

ثانيا- السّنة: دلّت على ذلك أحاديث، منها:

1- ما جاء في الصّحيحين عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكّة في رمضان، فصام حتّى بلغ الكديد، أفطر، فأفطر الناس"(1).

2- ما جاء في الموطّأ والصّحيحين عن أنس ﷺ قال: "كُنّا نسافر مع النبي ﷺ، فلم يعب الصّائم على المفطر، ولا المفطر على الصّائم"(2).

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب إذا صام أيّاما من رمضان ثمّ سافر، حديث رقم: 1944، 34/3.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب لم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضا في الصوم والإفطار، حديث رقم: 1947، 34/3.

ثالثا- الإجماع: أجمعت الأمّة بكافّة مذاهبها وطوائفها على شرعية الفطر للمسافر في رمضان؛ حتّى إنّ شيخ الإسلام ابن تيميّة قال: "إنّ من أنكر شرعيّة الفطر في رمضان للمسافر يُسْتَتَابُ ثلاثة أيّام، فإن لم يتُب حُكِم بردّته".

وما دام أنّ الفطر للمسافر مباح ومشروع، فالذي لم يأخذ بهذه الرُّخصة وصام، فإنّ صومه يجزئه عند جمهور الفقهاء إلّا أنّ جماعة من فقهاء الصّحابة والتّابعين ذهبوا إلى أنّ المسافر في رمضان إذا صام لا يجزئه صومه، وهو اختيار ابن حزم من الظاهريّة.

ودليلهم: قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [القرة: 185]، قالوا: إنّ فرضه قد انتقل من رمضان إلى عِدّة من أيّامٍ أُخر؛ فمن صام وهو على سفر كان صومه في غير زمن الوجوب؛ فيكون كمن صلّى الظهر في غير وقته.

ولكنّ الجمهور تَأَوَّلُوا هذه الآية، وقالوا: إنّ هناك مضمرا تقديره: "فأفطر"؛ فيكون المعنى: "ومن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعدّة من أيّام أُخر"؛ فالذي أفطر تلزمه عدّة من أيّامٍ أُخر، والذي لم يُفطر أجزأه صومه، وما مرّ معنا من أحاديث صِحاح يؤيِّد مذهب الجمهور.

والنّاظم هنا ذكر شروطا ينبغي أن تتوفّر حتّى يُباح الفطر للمسافر، فقال: "**وفطر من سافر قبل الفجر**"؛ فأوّل هذه الشّروط أن يشرع في السّفر، ويبلغ المكان الذي تُقصر فيه الصّلاة قبل طلوع الفجر؛ بحيث أنّه يغادر العمران والبساتين، والفجر لم يطلع بعد، ولكن لمّا كان العمران عندنا اليوم لا يكاد ينفصل بعضه عن بعض، فيمشي مسافة لا بأس بها ما بين الثمانية (8) والعشرة (10) كلم، فحينما يقطع هذه المسافة بإمكانه أن يقصر الصّلاة، ومن ثمّ يُباح له الفطر، هذا هو الشّرط الأوّل.

قوله: "**مسافة القصر**"؛ هذا هو الشّرط الثاني، وهو أن يكون هذا السّفر يبلغ مسافة القصر، ومسافة القصر هي أربعة(4) بُرُد، والبريد فيه أربعة (4) فَرَاسِخَ؛ فتكون مسافة القصر ستّة عشرة (16) فَرْسَخًا، وهي بمكاييلنا المعاصرة حوالى ثمانية وثمانون (88) كلم.

قوله: "**بقصد الفطر**"؛ هذا هو الشّرط الثالث، وهو أن يُبَيِّت الفطر قبل الفجر، وذلك ببلوغه مكان قصر الصّلاة، أمّا إذا بيَّت الصّيام، وطلع عليه الفجر، وهو كذلك، فلا يُباح له الفطر.

هذه هي الشّروط التي ذكرها النّاظم، وهناك شرطٌ رابع لم يذكره النّاظم، وهو: أن لا يكون هذا السّفر سفر معصية؛ فلا يُشترط أن يكون سفر طاعة، لكن لا أقلَّ من أن يكون سفرا مباحًا.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

تَمَضْمُضِ العَطْشَان كَاحْتِجَامِ ** ذِي صِحَّةٍ لَمْ يَخْشَ مِنْ أَسْقَامِ

الشّرح: هنا ذهب يتحدّث النّاظم عمّا يجوز فعله للصّائم، فقال: "**تمضمض العطشان**"؛ أي أنّه يجوز للصّائم العطشان المضمضة بالماء، لِيَمُجَّهُ بعد ذلك.

ودليل إباحة ذلك: ما جاء عن عمر بن الخطاب ﵁، قال: هَشَشْتُ يوما فقبّلت وأنا صائم، فأتيت النبي ﷺ، فقلت: صنعت اليوم أمرا عظيما، قبّلت وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْتَ بِمَاءٍ وَأَنْتَ صَائِمٌ؟**»، قلت: لا بأس بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**فَفِيمَ؟**»[1]، فالنبي ﷺ قاس القُبلة على المضمضة في الإباحة، وَالْمَقِيسُ عليه أولى بالحكم من المقيس؛ فكانت المضمضة أولى بالإباحة للصّائم من القُبلة.

وعليه أن يجتنب المبالغة في المضمضة؛ لأنّ المبالغة فيها قد تؤدّي إلى إفساد الصّوم، كما جاء في حديث لقيط بن صبِرة المتقدّم.

---

(1)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 138، 1/285-286. قال محقّقو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

قوله: "**كاحتجام ذي صِحّةٍ لم يخش من أسقام**"؛ أي أنّه ممّا يُباح فعله للصّائم كذلك الحِجامة بشرطين هما:

أولهما: أن يكون صحيحا، وهو ما عبّر عنه بقوله: "**ذي صِحّة**".

ثانيهما: أن يعلم السّلامة إن هو احتجم، وهو ما عبّر عنه بقوله: "**لم يخش من أسقام**"؛ أي من جرّاء هذه الحِجامة.

ومفهوم الشّرطين أنّ من كان مريضا، وعلم عدم السّلامة، ويكفي في ذلك غلبة الظنّ، فإنّه تحرم في حقّه الحِجامة.

وأمّا إن كان مريضا وشكّ في السّلامة، فإنّه تُكره في حقّه الحِجامة.

ويمكن أن نُجْمِلَ القول في الحِجامة في: أنّ الصّائم إمّا أن يكون مريضا أو صحيحا؛ فالمريض والصّحيح يشتركان فيما إذا علِما السّلامة؛ بحيث أنّها إذا احتجما لم يطرأ عليهما أيُّ ضعف يَضْطَرُّهُمَا إلى الفِطر، ويكفي في ذلك غلبة الظّنّ كما ذكرنا، فهنا تجوز في حقِّهما الحِجامة من دون كراهة، وإذا علِما أو غلب على ظنّهما عدم السّلامة، فتحرم في حقّهما الحِجامة.

وإنّما الفرق هنا بين الصّحيح والمريض في الشّكّ في السّلامة؛ فالصّحيح وإن شكّ في عدم السّلامة، فلا تُكره في حقّه الحِجامة، بخلاف المريض فإنّه إذا شكّ في عدم السّلامة، فإنّه تُكره في حقّه الحِجامة.

والأصل في ذلك: أنّ أنس ﵁ سُئِلَ: أَكُنْتُمْ تكرهون الحِجامة للصّائم؟ قال: "لا، إلّا من أجل الضُّعْفِ"[1]؛ أي الذي تُضعفه الحِجامة، فتضطرُّه إلى الفطر.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الحجامة والقيء للصائم، حديث رقم: 1940، 33/3.

وأمّا حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «**أَفْطَرَ الحَاجِمُ وَالمَحْجُومُ**»[1]، فهو منسوخ كما قال ابن عبد البرّ، والذي دلّ على نسخه ما رواه الدّارقطني عن أنس ﷺ قال: أوّل ما كُرِهت الحِجامة للصّائم أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم, فمرّ به النبي ﷺ، فقال: «**أَفْطَرَ هَذَانِ**»، ثمّ رخّص النبي ﷺ بعد في الحجامة للصّائم, وكان أنس يحتجم وهو صائم[2].

ويدلّ على نسخه كذلك حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما في صحيح البخاري، قال: "احتجم النبي ﷺ، وهو صائم"[3].

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَلِلْمَرِيضِ كَرَّهُوا الْحِجَامَهْ ** وَذَوْقَ كَالْمِلْحِ أَوِ اقْتِيَامَهْ
مُقَدِّمَاتِ الْوَطءِ حَيْثُ عُلِمَتْ ** سَلَامَةُ إِنْزَالٍ وَإِلَّا حُرِّمَتْ
لَكِنْ إِذَا أَمْنَى قَضَى وَكَفَّرَا ** وَحَيْثُ أَمْذَى فَالْقَضَا قَدْ قُرِّرَا

الشّرح: هنا يتحدّث النّاظم عمّا يُكره للصّائم فعله، فقال: "**وللمريض كرّهوا الحِجامة**"، وهذا إن شكّ في السّلامة، فإن علِمها أو غلب على ظنّه أنّه يسلم، فلا تُكره كما تقدّم تفصيل ذلك.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه تعليقا، كتاب الصوم، باب الحجامة والقيء للصائم، 33/3. وقد وصله أبو داود في سننه وغيره، كتاب الصوم، باب الصائم يحتجم، حديث رقم: 3270، 49/4. قال محقّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرّه بللي: "حديث صحيح".

(2)- رواه الدّارقطني في سننه، كتاب الصيام، باب القُبلة للصائم، حديث رقم: 260، 149/3. قال الدّارقطني: "كلُّهم ثقات، ولا أعلم له علّة".

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الحجامة والقيء للصائم، حديث رقم: 1939، 33/3.

قوله: "**وذوق كالملح**"؛ أي أنّه ممّا يُكره للصّائم كذلك ذوق ما يتحلّل كالملح، والسُّكّر، والعسل، ومثله صنيع من يُعِدّ الطّعام ويتذوّقه؛ وذلك مخافة أن يسبق شيء من ذلك لحلقه، فيفسد صومه.

قوله: "**أو اقتحامه مقدِّماتِ الوطء**"؛ أي ممّا يُكره للصّائم كذلك مقدّمات الوطء مثل اللّمس والقُبلة، وقد عبّر هنا بِالِاقْتِحَامِ، نقول: اقتحم فلان الأمر؛ أي رمي فيه بنفسه فَجْأَةً دون رَوِيَّة، ليشعرنا النّاظم بخطورة الأمر الْمُقْتَحَم؛ لأنّه قد يصعب التَّحَكُّمُ في التّفس في مثل هذه الأمور، ومحلّ الكراهة لفعل ذلك هو مشروط بِعِلْمِ السّلامة من الإنزال، فإن علِم عدم السّلامة حُرِّمَتْ، وهذا ما أشار إليه النّاظم بقوله: "**حيث عُلِمت سلامة الإنزال وإلّا حُرّمت**".

وإنّما لم يقولوا بحرمتها في حال سلامة الإنزال؛ لأنّه ثبت عن النبي ﷺ أنّه كان يُقبّل وهو صائم، وهو مروي عن عائشة[1]، وحفصة[2]، وأمّ سلمة[3] رضي الله عنهنّ أجمعين، وقالت عائشة رضي الله عنها: "وأيُّكم يملك إِرْبَهُ، كما كان رسول الله ﷺ يملك إِرْبَهُ؟"[4].

قوله: "**لكن إذا أمنى قضى وكفَّر**"؛ أي أنّه إذا حصل وأن اقتحم مقدّمات الجِماع، سواء في حال الكراهة أو الحرمة، وَتَرَتَّبَ على ذلك إنزال المنيّ، فإنّه في هذه

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب المباشرة للصّائم، حديث رقم: 1927، 30/3.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، حديث رقم: 1107، 778/2.

(3)- رواه مالك في الموطّأ، كتاب الصيام، ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم، حديث رقم: 306، 415/3.

(4)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، حديث رقم: 1106، 777/2.

الحال يقضي ويكفِّر، أمّا إذا أمذى فقط، فالقضاء فقط، وهذا ما أشار إليه بقوله: "**وحيث أمذى فالقضاء قد قُرِّر**".

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَلَمْ يَجُـزْ لِـذَاتِ زَوْجٍ نَفْـلَا	**	**حَجٌّ وَصَوْمٌ وَاعْـتِكَافُ أَصْـلَا**
إِلَّا بِإِذْنٍ وَلَهُ أَنْ يُـــــبْطِلَهْ	**	**عَلَى الَّتِي يَحْتَاجُهَـا فَلْتَسْـأَلَهْ**

الشّرح: هنا يتحدّث عن حُكم صوم المرأة المتزوِّجة النّافلة بغير إذن زوجها، قال: "**ولم يجز لذات زوجٍ نفلا حجٌّ، وصومٌ، واعتكافُ أصلا إلّا بإذنه**"؛ أي أنّه يحرم على المرأة ذات الزّوج، وزوجها شاهدٌ غير مسافر أن تصوم النّافلة أو تعتكف أو تحجّ إلّا بإذنه؛ لأنّ ذلك يشغلها عن زوجها، فلعلّه يحتاجها في ذلك اليوم، أمّا أنها تصلّي النّوافل، فلها ذلك دون أن تستأذنه.

ودليل ذلك: ما جاء عن النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لاَ تَصُومُ المَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»[1]، وفي لفظ: «**لَا يَحِلُّ**»[2]، وفي سنن أبي داود: «**إِلَّا بِإِذْنِهِ غَيْرَ رَمَضَانَ**»[3].

قوله: "**وله أن يُبطله**"؛ أي إن حصل وصامت نفلا دون إذنه، واحتاج منها ما يحتاجه الزوج من امرأته، فيجوز له أن يُفسِد عليها صومها، أمّا إذا استأذنته، وأذن لها

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعا، حديث رقم: 5192، 30/7.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، حديث رقم: 5195، 30/7.

(3)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها، حديث رقم: 2458، 118/4. قال محقِّقا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده صحيح".

بالصّيام، فلا يجوز له أن يُفسِد عليها صومها، وهذا ما أشار إليه بقوله: "**فلتسأله**"؛ أي تستأذنه.

وبهذا نكون قد أتممنا باب الصّيام، والحمد لله ربّ العالمين، لكن ممّا يُؤخذ على النّاظم رحمه الله تعالى أنّ هناك مسألة من أمّهات المسائل في باب الصّيام لم يتعرّض لها، والكمال لله تعالى وحده، وهذه المسألة هي مسألة المرض، وقد استدركنا عليه بأن أضفنا بيتا بخصوص هذه المسألة، وبه يوافي باب الصيام أربعين بيتا بدلا من تسعٍ وثلاثين، وهذا البيت مكانه يأتي بعد البيت الذي تعرّض فيه لمسألة فطر المسافر، وهذا البيت الذي أضفناه هو:

كَذَا مَرِيضٌ شَقَّ عَنْهُ الصَّوْمُ ** أَوُخِّـــرَ الـشِّفَا أَوْ زَادَ السُّقْمُ[1]

أي كما يُباح للمسافر الفطر بالشُّروط التي ذكرها هناك، فإنّه يُبَاحُ كذلك الفطر للمريض بهذه الضوابط التي ذكرناها في هذا البيت.

والأصل في إباحة الفطر للمريض هو قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 185].

ومحلّ إباحة الفطر للمريض في ثلاث مواضع:

أوّلهما: أن يشقّ عنه الصّوم بسبب المرض، وليس هذه المشقّة العاديّة التي يجدها كلّ صائم، وهو ما أشرنا إليه بقولنا: "**شقَّ عنه الصّوم**".

ثانيها: أن يتأخّر شفاؤه بسبب الصّوم؛ فبدلا من أن يُشفى في أسبوع، فيتأخّر هذا الشِّفاء إلى عشرة أيّام مثلا، وهو ما أشرنا إليه بقولنا: "**أو أخِّر الشفاء**".

ثالثها: أن يزداد مرضه بسبب الصّيام، وهو ما أشرنا إليه بقولنا: "**أو زاد السُّقم**".

---

(1)- ساعدنا في نظم هذا البيت الشاعر الفحل الإمام الأستاذ: رمضان بونكانو -حفظه الله-.

ولكن السؤال المطروح: كيف يعرف المريض أنّه بسبب الصّيام يتأخّر شفاؤه أو يزداد مرضه؟

يعرف ذلك بثلاثة أمور هي:

أوّلهما: تجربة المريض الشّخصية، يكون هذا الصّائم مرض من قبل وصام، فكان الصّيام سببا في تأخُّر شفائه أو زيادة مرضه.

ثانيها: تجربة إنسان مماثل له في المرض؛ بحيث يُخبره أنّه صام، وكان الصّيام سببا في تأخُّر شفائه أو زيادة مرضه.

ثالثها: أن يُخبره بذلك طبيب ثقة في دينه، وحاذق في طِبِّه.

هذا ما فتح الله به علينا في هذا الباب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

باب الاعتكاف

وَالاِعْتِكَافُ حُكْمُهُ فَضِيلَهْ ** أَقَـلُّهُ يَـوْمٌ وبَعْـضُ لَـيْلَهْ

شُرُوطُـهُ التَّمْيِـيزُ والْإِسْـلَامُ ** وَالْمَسْـجِدُ الْمُبَـاحُ وَالصِّـيَامُ

وَشُـغْلُهُ صَـلَاتُهُ وَذِكْـرُهُ ** قِـرَاءَةٌ وَغَـيْرُ هَـذَا يُكْـرَهُ

كَدَرْسِـهِ لِلْعِـلْمِ أَوْ كِتَابَتِـه ** أَوِ اعْتِكَافِـهِ بِـلَا كِفَايَتِـهْ

وَبِالْخُرُوجِ أَبْطِلْهُ أَوْ بِالْفِطْرِ ** أَوْ بِدَوَاعِي الْوَطْءِ أَوْ كَالسُّكْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

أيُّها الإخوة السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّا صلاتنا وصيامنا وقيامنا، وأن يجعلنا إن شاء الله من عُتقاء هذا الشّهر الكريم المبارك، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

كُنّا قد أكملنا باب الصيام من هذا النَّظْم المبارك؛ وهو نظم أسهل المسالك على مذهب الإمام مالك، واليوم إن شاء الله نَتَعَرَّض لبابٍ جديد؛ أَلَا وهو باب الاعتكاف، وَلَمَّا كان الاعتكاف له علاقة وصلة بالصّيام وبرمضان أتى النّاظم به بعد باب الصّيام مباشرة، وقبل أن نلج في الشّرح لا بأس أن نَتَطَرَّقَ إلى تعريف الاعتكاف لغةً، واصطلاحا، وأدّلة مشروعيّته من الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.

تعريف الاعتكاف لغة:

الاعتكاف لغة هو: اللُّزّومُ؛ نقول: لَزِمَ مكانه؛ أي عكف عليه أو اعتكف فيه، ومنه قول الله تبارك وتعالى على لسان قوم سيّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾ [الشعراء: 70-71]؛ أي ملازمين لعبادتها؛ فهذا هو الاعتكاف في اللُّغة.

تعريف الاعتكاف اصطلاحا:

وأمّا الاعتكاف من حيث اصطلاح الفقهاء فقد اختلفت عباراتهم، ولكن كلّها تصبُّ في معنًى واحد، وقد عرَّفه الإمام الباجي في المنتقى على شرح الموطأ بقوله: "هو لُزُومُ المسجد بقصد العبادة"؛ أن يلزم الإنسان المسجد وليس له من نِيَّة من وراء هذا اللُّزّومُ إلّا التّعَبُّدَ لله تبارك وتعالى.

الأدلّة على مشروعية الاعتكاف:

دَلَّ على مشروعية الاعتكاف الكتاب، والسُنَّة، والإجماع.

أولا- الكتاب:

1- قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[البقرة: 187].

2- قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة: 125].

ثانيا- السنة: دلَّت على مشروعية الاعتكاف أحاديث كثيرة منها: ما جاء في الصّحيحين: عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وهي تخبر عن رسول الله ﷺ؛ قالت: "كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفّاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده"[1].

ثالثا- الإجماع: نقل كثير من العلماء الإجماع على مشروعيّة الاعتكاف؛ منهم الإمام النّووي.

فهم وإن اختلفوا في حكم الاعتكاف بين قائلٍ: إنّه فضيلة، وقائلٍ: إنّه سنّة، إلّا أنّهم مجمعون على أصل مشروعيته.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

والِاعْتِكَافُ حُكْمُـهُ فَضِـيلَهْ ** أَقَـلُّهُ يَــوْمٌ وبَعْـضُ لَــيْلَهْ

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها، حديث رقم: 2026، 47/3.

الشّرح: إذا كانوا كما قلنا: إنّهم مجمعون على مشروعيّة الاعتكاف، فما هو حكمه؟ قال: "**حكمه فضيلة**"؛ والفضيلة في اصطلاح علماء المذهب تعني المندوب، وتعني كذلك المستحب؛ فالمندوب، والمستحب، والفضيلة كلُّها مُتَرَادِفَةٌ على الأقل عند مُتَأَخِّري علماء المذهب، وكما يقول صاحب مراقي السُّعُودِ في مراقيه:

فَضِيلَةٌ وَالنَّدْبُ وَالذِي اسْتُحِبْ ** تَرَادَفَتْ ثُمَّ التَّطَوُّعُ انْتُخِبْ

يعني: الفضيلة، والنّدب، والمستحب كلُّها مُتَرَادِفَةٌ تؤدّي معنًى واحدا، وَحَدُّ الفضيلة عندهم: ما فعله النبي ﷺ، ولم يُدَاوِمْ على فعله مثل صلاة الضُّحى؛ فالنبي ﷺ صلّاها أحيانا وتركها أحيانا أخرى، ومثل صيام شعبان، صامه النبي ﷺ أحيانا، وتركه أحيانا أخرى؛ فهذا هو المندوب أو الفضيلة أو المستحب عندهم.

هناك مصطلح آخر عندهم، وهو التَّطَوُّع، وَالتَّطَوُّع يختلف عن المستحب في اصطلاح علماء المالكية؛ التَّطَوُّع كما قال صاحب المراقي: "ثم التَّطَوُّع انْتُخِبَ"؛ هو ما انتخبه المرء؛ أي ما اختاره لنفسه من عبادات؛ بحيث أنّ هذه العبادة لم يأتِ نصٌّ من الشّارع بخصوصها، ولكن جاءت نصوص عامّة تُشيد بفضل تلك العبادة؛ مثل أن يختار الإنسان لنفسه صيام يوم الثلاثاء أو صيام يوم الأربعاء؛ فهذا يُعْتَبَرُ تَطَوُّعًا عندهم، وليس سنّة، وليس مندوبا؛ لأنّه جاءت نصوص من الشّارع تحثّ على هذه العبادة العظيمة؛ وهي عبادة الصّيام، ولكن لم يأتِ نَصٌّ بخصوص صيام الثلاثاء أو الأربعاء، وإنّما جاء نَصٌّ عام في بيان فضل الصّيام في سبيل الله، وهو قول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»[1]، قال: «**صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» دون تحديدٍ ليوم بعينه؛ يعني أيّ يوم صامه هذا الإنسان في سبيل الله عزّ وجل؛ الثّلاثاء أو الأربعاء أو أيّ يومٍ آخر.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب فضل الصوم في سبيل الله، حديث رقم: 2840، 26/4.

بينما جاءت نصوص بخصوص صوم الاثنين والخميس؛ فقد سُئل النّبي ﷺ عن صومه يومي الاثنين والخميس، فقال: «**ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»[1].

وعندهم كذلك الرَّغِيبَةُ؛ وهي كما يقول صاحب المراقي:

رَغِيبَــةٌ مَـا فِيــهِ رَغَّـبَ النَّـبِيّ ** بِذِكْرِ مَا فِيهِ مِـنَ الْأَجْـرِ جُـبِي

الرّغيبة عندهم: هي ما حثَّ عليه الشّرع مع بيان ما فيه من الأجر "بذكر ما فيه من الأجر جُبِي"، وجُبِي: من الجِبَاية وهي التَّحصيل، وهو ما يتحصّل عليه الإنسان من الأجر إذا ما قان بالعمل المحثوث عليه؛ مثل قول النبي ﷺ في سنن النّسائي: «**مَنْ صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعًا بَعْدَهَا لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ**»[2]؛ فكان الحثُّ على الفِعل مصحوبا ببيان ما فيه من الأجر.

والسُّنَّة: هي أعلى المراتب عند علماء المالكية؛ وهي كما يقول صاحب المراقي:

وَسُـنَّةٌ مَـا أَحْمَـدُ قَـدْ وَاظَبَـا ** عَلَيْــهِ وَالظُّهُـورُ فِيــهِ وَجَبَـا

يعني السُّنَّة هي ما فعله النبي ﷺ، وواظب عليه، وأظهره في جماعة؛ مثل صلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء، هذه هي السُّنَّة في اصطلاح علماء المالكية.

هنا قال: "**والاعتكاف حكمه فضيلة**"، ذهب النّاظم -وهذا هو المشهور في المذهب- إلى أنّ الاعتكاف حكمه مستحب، ولكن بعض المحقِّقين من علماء المذهب مثل ابن العربي عليه رحمة الله ذهب إلى أنّ الاعتكاف سُنَّة، وليس فضيلة، لماذا؟ قال:

---

(1)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 21753، 85/36. قال محقِّقو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده حسن".

(2)- رواه النسائي في سننه، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، حديث رقم: 1817، 266/3. قال الألباني: "صحيح".

لأنّ النبي ﷺ قد فعله، وداوم عليه، وأظهره، وهذا صحيح فقد كان النبي ﷺ يُظهر الاعتكاف في المسجد، والدَّليل على ذلك حديث عائشة الذي تقدَّم قبل قليل: "كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفّاه الله"، هذا يُفيد أنّ النبي ﷺ قد داوم على ذلك "حتى توفّاه الله"، وكان يعتكف ﷺ في المسجد؛ فيكون هذا الاعتكاف ظَاهِرًا.

لَمَّا أفادنا النّاظم بحكم الاعتكاف، وهو بحسب ما ذهب إليه النّاظم أنّه فضيلة، والتّحقيق أنّه سُنّة، بحسب اصطلاحات علماء المذهب، رَاحَ بعد ذلك يُبَيِّنُ أقلّ الاعتكاف؛ فقال: "**أقلُّه يومٌ وبعض ليلة**"؛ أقلُّه يوم بليلته؛ الاعتكاف في مذهب مالك، وكذلك في مذهب أبي حنيفة أقلُّه يوم وليلة، وأحبُّه عشرة أيام؛ لأنّ هذا هو فعل النبي ﷺ؛ النبي ﷺ كما مرَّ معنا قبل قليل كان يعتكف العشر الأواخر، ولا حدَّ لأكثره، وقيل: إنّ حدَّه شهر، وما زاد عن الشّهر فهو مكروه.

ومن أراد أن يعتكف ينبغي عليه أن يدخل قبيل الغروب، أو أن يكون دخوله مُقَارِنًا للغروب؛ حتى يَتِمَّ له كَمَالُ اللّيل، ويخرج من الغد بعد الغروب حتى يَتِمَّ له كمال النّهار، ويكون بذلك قد اعتكف يوما بليلته؛ نهارا كاملا وليلة كاملة.

والإمام الشافعي عليه رحمة الله خالف في هذه المسألة، فقال: ليس للاعتكاف حَدٌّ لأقلِّه؛ لأنّ الشّارع الحكيم لم يحدِّد أقلَّ مدّة له.

ويُسْتَأْنَسُ للإمام الشّافعي بما جاء في مصنّف عبد الرزاق: عن ابن جريج عن عطاء أنّ يَعْلَى بن أُمَيَّة قال: "إنّي لأمكث في المسجد السّاعة، لا أمكث إلّا للاعتكاف"[1]، ويعلى بن أُمَيَّة هذا صحابي.

---

(1)- رواه عبد الرزاق في المصنّف، كتاب الاعتكاف، باب الجوار والاعتكاف، حديث رقم: 8006، 345/4.

والإمام مالك عليه رحمة الله يرى أنّ الصّوم -كما سيأتي- شرطٌ من شروط صحّة الاعتكاف، قال: ولا صوم في جزءٍ من نهار؛ لا يوجد صيام ساعة أو ساعتين من الزّمن؛ وبالتالي ذهب إلى أنّ أقلَّه يومٌ وليلة.

وثمرة الخلاف تظهر: فيما لو قال إنسان: لله عليَّ أن أعتكف في هذا المسجد مثلا؛ فعند مالك لا يكون موفيا بنذره إلّا إذا مكث في المسجد يوما وليلة، وأمّا عند الشّافعي فيكفيه أن يمكث هنا لحظة أو ساعة من الزّمن، وَيُعْتَبر قد وَفَّى بنذره.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

شُرُوطُـهُ التَّمْيِـيزُ والْإِسْـلَامُ ** وَالْمَسْجِدُ الْمُباحُ وَالصِّـيَامُ

الشّرح: الآن راح يتحدَّث عن شروط صحّة الاعتكاف، قال: "**شرطه التمييز والإسلام**"، هذا هو أوّل شرط بحسب ذكر النّاظم، ولكن قبل التمييز وقبل الإسلام، لا بُدَّ من النِّية.

الشرط الأول والأساسي هو النِّيّة في هذا الاعتكاف؛ وهو أن تكون نِيَّتُهُ المعتكِف التَّقَرُّبُ إلى الله عزّ وجلّ، وابتغاء وجه الله تبارك وتعالى من هذا اللُّزوم للمسجد، وهذا لحديث النبي ﷺ المتفق عليه: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[1].

قال: "**وشرطه التّمييز**"؛ الشرط الموالي هو التّمْيِيزُ؛ هذا الاعتكاف لا يصح إلّا من مُمَيِّزٍ؛ بمعنى أنّه لا يُشْتَرَطُ فيه البلوغ، بل يَصِحُّ حتى من الصَّبيّ إذا كان مُمَيِّزًا.

وضابط التّمييز كما قالوا: هو أن يكون هذا الصَّبيّ يَفْهَمُ الخِطاب، وَيُحسن رَدَّ الجواب، هذا هو ضابط التّمييز عندهم، ولا اعتبار بِسِنٍّ معيَّنة؛ فقد يكون -مثلا- طفلٌ ر في سنّ الخامسة مُمَيِّزًا، وقد يكون في سِنِّ السابعة ليس كذلك؛ فلا بُدَّ له من فهم

(1)- سبق تخريجه ص 83.

الخِطاب، وحُسْنِ ردَّ الجواب، وأن يَعْقِلَ معنى الْقُرْبَةِ إلى الله حتّى يصحّ منه اعتكافه؛ فالاعتكاف قُرْبَةٌ إلى الله عز وجل.

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّه سبق في باب الصّيام وأن قلنا: لا يُسْتَحَبُّ أَمْرُ الصِّبيان بالصّيام، بل يُكره في مشهور مذهب مالك، ولكنَّه إذا اعتكف الصَّبيّ يصبح مخاطبا بالصّيام؛ لأنّ الصيام -كما سيأتي- شرطٌ من شروط صحَّة الاعتكاف.

ثم قال بعد ذلك: "**والإسلام**"؛ فلا يصحّ الاعتكاف من كافر؛ فهو عبادة كسائر العبادات يُشترط لصحّتها الإسلام.

"**والمسجد المُباح**"؛ أي أنّ من شروط صحّة الاعتكاف أن يكون في المسجد؛ لا يلزم الإنسان بَيْتَهُ، ويقرأ القرآن، ويذكر الله، ويصلِّي النّوافل، ويقول: أنا معتكِف؛ فلا بُدَّ أن يكون هذا الاعتكاف في المسجد، وهذا باتِّفاق العلماء.

لكن بعد اتِّفاقهم على أنّ الاعتكاف لا يكون إلّا في مسجد اختلفوا؛ فهناك من قال: الاعتكاف لا يكون إلّا في المساجد الثّلاثة؛ المسجد الحرام، والمسجد النّبوي، والمسجد الأقصى، وهذا ما ذهب إليه الصّحابي حذيفة ابن اليمان، وكذلك سعيد بن المسيِّب من التّابعين.

وهناك من اشترط في المسجد أن تُقام فيه الجمعة؛ قالوا: حتى لا يَضْطَرَّ إلى الخروج من مُعْتَكَفِهِ إلى صلاة الجمعة.

وأمّا مذهب مالك عليه رحمة الله فيصحّ في كل مسجد، سواء كان هذا المسجد تُقام فيه الجمعة أم لا.

ودليل المذهب: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: 187]؛ فَعَمّ كل مسجد، سواء تُقام فيه الجمعة أم لا.

غير أنّ الذي يُريد أن يعتكف في مسجد لا تُقام فيه الجمعة عليه أن يجتنب الأيّام التي تَتَخَلَّلُها الجمعة؛ حتى لا يَضْطَرَّ إلى الخروج؛ لأنه إذا اعتكف -مثلا- يوم الخميس، يكون من الغد مضطرًّا إلى الخروج لصلاة الجمعة، هذا فيمن كانت صلاة الجمعة واجبة في حقِّه، أمَّا من كانت صلاة الجمعة غير واجبة في حقِّه، فله أن يعتكف، ومن خرج إلى الجمعة بَطُل اعتكافه، وعليه أن يستأنفه من جديد؛ يقضي يوما مكان هذا اليوم الذي أبطله بسبب خروجه إلى صلاة الجمعة؛ لأنّنا قلنا فيما سبق بأنّ الاعتكاف هو من العبادات التي تلزم بالشُّروع فيها.

والمقصود بالمسجد المباح المسجد العام الذي لا يكون حِكْرًا على أحد، وخرج به مسجد المرأة الذي يكون في بيتها، وبالمناسبة حتّى المرأة إذا أرادت الاعتكاف، فلا يصح اعتكافها إلّا في هذه المساجد العامّة.

ودليل ذلك: ما جاء في الموطأ والصّحيحين: أنّ النبي ﷺ لَمَّا أراد أن يعتكف وانصرف الى مُعْتَكَفِهِ ﷺ وجد أَخْبِيَة؛ خِبَاء عائشة، وَخِبَاء حفصة، وَخِبَاء زينب؛ يُرِدْنَ الاعتكاف مع رسول ﷺ، فلمّا رأى النبي ﷺ هذه الأَخْبِيَة، وسأل عنها، قيل له: هذا خِبَاء عائشة، وَخِبَاء حفصة، وَخِبَاء زينب، فقال النبيﷺ: «**أَلْبِرَّ تَقُولُونَ بِهِنَّ**»، فانصرف النبي ﷺ، ولم يعتكف في ذلك العام، واعتكف بَدَلَهُ عشرا من شهر شوّال[1]؛ فلو كان اعتكاف المرأة يصحّ في مسجد بيتها لَنَبَّهَهُنَّ النبي ﷺ على ذلك.

واستدلّوا بهذا الحديث كذلك على قضاء الاعتكاف؛ لأنّ النبي ﷺ كان بعد أن نوى ودخل في مُعْتَكَفِهِ، ولكنّه خرج بسبب ما رأى من تنافس الأزواج، قضى هذا الاعتكاف في شوّال.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب الأخبية في المسجد، حديث رقم: 2034، 49/3.

واستدلّ به الإمام الشّافعي على عدم شرط الصّيام للاعتكاف قال: لأنّ النبي ﷺ اعتكف عشرا من شوّال، ولم يُذْكَر الصّيام.

"**والصّيام**"؛ حتى يكون هذا الاعتكاف صحيحا، لَابُدّ أن يكون هذا المعتكِف صائما؛ سواء كان هذا الصّيام لأجل الاعتكاف، أو كان في رمضان، أو لكفّارة من الكفّارات، أو لقضاء رمضان، لا يَهُمُّ ذلك، المهم أنّ المعتكِف لَابُدّ وان يكون صائما.

ودليل ذلك ما يأتي:

1- ما رواه الإمام مالك في الموطأ -وقد تفرَّد بهذا الأثر مالك عليه رحمة الله-: أنّ القاسم ابن محمّد ونافعًا مولى ابن عمر قالا: لا اعتكاف إلّا بصيام؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: 187]؛ فإنّما ذكر الاعتكاف مع الصّيام(1)، هذا ما استدل به القاسم بن محمد، ونافع مولى ابن عمر، وأخذ به مالك، ونقله في موطّأه.

2- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها في سنن أبي داود أنها قالت: "لا اعتكاف إلّا بصوم"(2).

---

(1)- رواه مالك في الموطأ، كتاب الاعتكاف، باب ما لا يجوز الاعتكاف إلا به، حديث رقم: 4، 315/1.

(2)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب المعتكف يعود المريض، حديث رقم: 2473، 130/4. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "‹سناده حسن". وجاء كذلك في مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عباس وعائشة أنهما قالا: "لا اعتكاف إلّا بصوم". حديث رقم: 9621، 333/2.

وخالف الإمام الشّافعي -كما سبق أن أشرنا إلى ذلك- في هذه المسألة وقال: يجوز الاعتكاف بغير صوم، واستدل بما قلنا آنفا: إنّ النبي ﷺ اعتكف عشرا من شهر شوّال، ولم يُذكر الصّيام.

والمالكية قالوا كذلك: نستفيد أنّ الصّوم شرطٌ من شروط الاعتكاف من فعله ﷺ؛ فقد كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، فهذا أمرٌ مُتَيَقَّنٌ منه، ولم يُنقل إلينا أنّه اعتكف بغير صيام، واعتكافه في شوّال ليس فيه دلالة على أنّه اعتكف بغير صيام، وما يدرينا فلعلّه صام ﷺ.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَشُغْلُهُ صَلَاتُهُ وَذِكْرُهُ ** قِرَاءَةٌ وَغَيْرُ هَذَا يُكْرَهُ

كَدَرْسِهِ لِلْعِلْمِ أَوْ كِتَابَتِهْ ** أَوِ اعْتِكَافِهِ بِلَا كِفَايَتِهْ

الشّرح: قوله: "**شغله صلاته وذكره، قراءة**"، حرف "الهاء" في "**شغله**" يعود على المعتكِف، وقد يكون عائدا على الاعتكاف؛ لأنّه لم يسبق له أن ذكر المعتكِف في كلامه، وإنّما كان كلّ كلامه عن الاعتكاف، فشغل المعتكِف في اعتكافه كما قال: الصّلاة، والذِّكر من تسبيح وتهليل واستغفار وصلاة على النبي ﷺ، وقراءة القرآن، وكلّ ما من شأنه أن يجعله في وِصَالٍ مع الله كالتّفكُّرِ والتّدَبُّرِ في ملكوت الله، وعليه أن يجتنب كلّ ما من شأنه أن يقطع عنه وِصَالَهُ مع الله، ولو كان ذلك من الطّاعات؛ كالاشتعال بالعلم تعلّما أو تعليما أو كتابةً، ولو كانت هذه الكِتابة للمصحف، وكذا عيادة المرضى، وصلاة الجنازة، فكلّ هذه الأمور تُكره في حقِّه؛ وهذا ما أشار إليه بقوله: "**وغيرُ هذا يُكره**"؛ لأنّها تفسد عليه صفاءه وَجَمْعِيَّتَهُ مع الله سبحانه وتعالى، والهدف من الاعتكاف هو أن يعتزل الإنسان كلَّ هذه الأمور، وأن يبقى بمعيَّة الله تبارك وتعالى وحده في هذا الْمُعْتَكَف.

ودليل ذلك: أنّ النبي ﷺ لم يُؤثر عنه أنّه اشتغل في معتكفه بغير العبادة، وكذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها فيما رواه الإمام مالك في موطأه (وهو ممّا تَفَرَّدَ

به مالك): "أنها كانت تمرّ على أهل المريض، فتسأل عنه وهي تمشي ولا تقف"[1]؛ لأنّها إذا توقَّفت عن المشي فإنّه يُصبح هذا التوقُّف والسؤال عنه في معنى عيادة المريض.

قوله: "**أو اعتكافه بلا كفايته**"؛ أيضا ممّا يُكْرَهُ للمعتكِف عدم جَلْبِ ما يحتاجه في اعتكافه من طعام، ومن شراب، ومن ملبس، إذا كان قادرا على ذلك؛ لأنّ عدم توفير ذلك يجعل منه يَضْطَرُّ للخروج لاقتناء هذه الحاجيات، وإذا كان غير قادرٍ على توفير ذلك في وقت دخوله لِلْمُعْتَكَفِ، واحتاج للخروج لجلب ما يحتاجه جاز له الخروج، ويختار أقرب مَحَلٍّ من مُعْتَكَفِهِ، والحاصل أنّه إذا كان قادرا على أن يُوَفِّر جميع كفايته، ولم يوفِّرها، فهذا يعتبر مكروها في حقه.

قول النّاظم -رحمه الله تعالى-:

وَبِالْخُرُوجِ أَبْطِلْهُ أَوْ بِالْفِطْـرِ ** أَوْ بِدَوَاعِي الْوَطْءِ أَوْ كَالسُّكْرِ

الشّرح: بعد أن تحدّث النّاظم عن شروط الاعتكاف ومكروهاته، ها هو الآن ينتقل إلى الحديث عن مبطلات الاعتكاف، فقال: "**وبالخروج أبطله**"؛ فإذا خرج من مُعْتَكَفِهِ بغير ضرورة، فإن اعتكافه يبطل.

ودليل ذلك: ما جاء في الموطأ والصّحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ إذا اعتكف يُدْنِي إليَّ رأسه فَأُرَجِّلُه (فأمشطه)، وكان لا يدخل البيت إلّا لحاجة الإنسان"[2]؛ فلا يخرج ﷺ إلّا لقضاء الحاجة فقط، لا أكثر.

ومن بين الضَّروريات إضافة إلى قضاء الحاجة قالوا: وكذلك إذا احتلم وهو في اعتكافه، فيخرج للاغتسال، و كذا غسل ثوبه وتجفيفه خارج المسجد، وكذلك يخرج كما

---

(1)- رواه مالك في الموطأ، كتاب الاعتكاف، باب ذكر الاعتكاف، حديث رقم: 2، 312/1.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، حديث رقم: 297، 244/1.

ذكرت آنفا لاقتناء ما يحتاجه من طعام وشراب إلى غير ذلك من حاجيات المعتكِف الضّرورية.

قوله: "**أو بالفطر**"؛ إذا تَعَمَّدَ إفساد صومه فإنّ اعتكافه يبطل، ويجب عليه أن يقضي هذا الاعتكاف، بخلاف ما إذا أكل أو شرب ناسيا، فإنّه لا يبطل.

وممّا يجدر التّنبيه إليه أنّ من كان معتكفًا بصوم نافلة، وأفطر ناسيا، نحن تقدّم لنا في باب الصّوم: أنّ من أفطر ناسيا في غير الفرض لا قضاء عليه، لكن هنا قالوا: القضاء يَتَقَوَّى بالاعتكاف، فيقضي هذا اليوم؛ نظرا لأنّه كان معتكِفا بهذا الصّوم.

قوله: "**أو بدواعي الوطء**"؛ أيضا من مبطلات الاعتكاف دواعي الوطء كالقُبلة واللّمس والفِكر الْمُسْتَدَام إذا كان بشهوة.

ودليل ذلك: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: 187].

ودليل اشتراط أن يكون ذلك بشهوة: ما كُنّا نقوله قبل قليل عن عائشة رضي الله عنها: "أنّ النبي ﷺ كان إذا اعتكف يُدني إليّ رأسه فأُرَجِّلُه"؛ فهذا لمس ومباشرة من النبي ﷺ لعائشة أو من عائشة للنبي ﷺ، ولكنّه كان بغير شهوة؛ فلم يبطُل به الاعتكاف.

قوله: "**أو كالسُّكر**"؛ أيضا من مبطلات الاعتكاف ارتكاب كبيرة من الكبائر؛ كالسّكر كما ذكر، وكالغيبة، والنّميمة، وعير ذلك من كبائر الذّنوب.

هذا، والله تعالى أعلم، نختم إن شاء الله، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك، ونتوب إليك، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

أسئلة والإجابة عنها في فقه الصّيام والاعتكاف[1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

السّؤال: إنسان كان يصوم كفّارة من الكفّارات، وصام يوم الشّك متابعا لكفّارته، ثمّ ثبت أنّ ذلك اليوم أوّل رمضان، فهل يُحسب له ذلك اليوم من الكفّارة أم من رمضان؟

الجواب: هذا لا يجزئه صوم ذلك اليوم لا عن كفّارته، ولا عن رمضان؛ أمّا أنّه لا يُجزئه عن كفّارته؛ فلأنّ رمضان من العبادات التي لا تتّسع لغيره من جنسه، فرمضان موضوعٌ لصوم رمضان، وبالتّالي فلا يكون لغيره من النّوافل والواجبات الأخرى من الصّيام، وأمّا أنّه لا يُجزئه عن رمضان؛ فلأنه لم ينوِ صيام رمضان، وإنّما كان ناويا الكفّارة، وبالتالي فيجب عليه أن يَقضي يوما عن رمضان، وأمّا بالنسبة لكفّارته فيواصلها ثاني أيّام العيد، ولا يحتسب ذلك اليوم الذي صامه يوم الشّكّ.

السّؤال: ما حكم من أذّن عليه الفجر، وهو يأكل أو يشرب؟

الجواب: هذا يُمسك عن أكله وشربه بمجرَّد سماعه للأذان، ويمضمض فمه، وهو من الصّائمين إن شاء الله.

السّؤال: هل الأفضل للمسافر الفطر أم الصيام؟

الجواب: ممّا ينبغي أن يُعلم أوّلًا أنّ الأمّة كلّها بجميع مذاهبها وطوائفها مُجْمِعَة على مشروعية الفطر في رمضان للمسافر، بل إنّ هناك من رفع هذه المشروعية للوُجوب، وهم الظاهرية، فقالوا: إنّ الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

---

(1)- هذه الأسئلة جمعتها -بعد حذف المكرر- ممّا كنت أتلقّاه من الحاضرين عقب كلّ محاضرة كنت أُلقيها، وكذا من مجالس مفتوحة عقدتها في بعض المساجد خِصّيصًا للإجابة عن أسئلة المستفتين.

﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ [البقرة: 184]؛ فقد نقل الله تبارك وتعالى فرض المسافر من رمضان إلى عدّة من أيّام أُخر، أمّا الجمهور فقد تأوّلوا مُضْمَرًا في الآية تقديره: فمن أفطر فعِدّة من أيّام أُخَر، وهذا ما تُؤَيِّدُه السُّنّة الصحيحة؛ فيكون الفطر مجرّد رخصة لمن شاء أن يأخذ بها.

وأمّا أيُّهما أفضل للمسافر الفطر أو الصيام؟ فقد اختلفوا في ذلك؛ فهناك من قال: الفطر أفضل، وهناك من قال: الصّيام أفضل، وهناك من فصَّل، وقال: لا أفضلية بإطلاق، وإنما هو بحسب حال المسافر؛ فهناك من يكون الصّيام في حقِّه هو الأفضل؛ كأن يكون -مثلا- ممّن يتقاعس عن القضاء فيما بعد، فهذا يكون الصّيام في حقِّه هو الأفضل، وهناك من يكون الفطر في حقّه هو الأفضل؛ كأن يكون ممّن يجد في نفسه حرجا من الفطر بسبب السّفر، وهذا فيه ما فيه من عدم قبول رُخصة الله تعالى، والنبي ﷺ يقول في الحديث: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ**»[1].

وأمّا الذين يستدلُّون على أفضلية الصّيام بهذه الآية: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 184]، فإنّ هذه الآية كما هو ظاهرٌ من السِّياق: أن المكلَّف كان مخيَّرا في البداية بين الصوم ودفع الفِدية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾، ثمّ قال الله بعد ذلك مباشرة: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي الصّيام خيرٌ لكم من دفع الفِدية، ولا علاقة لها بالسَّفر.

السّؤال: إنسان عليه كفّارة صيام شهرين متتابعين، وصام رجب وشعبان، كيف يكون حاله مع يوم الشّكّ؟

---

(1)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 5866، 107/10. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "حديث صحيح".

الجواب: هذا الشخص إذا ضبط أموره مع شهر رجب، وتحرّى رؤية هلاله، وصام من أوّله، ثمّ بعد ذلك صام شعبان إلى أن ثبتت رؤية هلال رمضان، هذا لا علاقة له بيوم الشّكّ ما دام أنّه صام رجب بالهلال، ولا يهم بعد ذلك أكان رجب وشعبان تامَّين أم ناقصين أو أحدهما تامٌّ والآخر ناقصٌ؛ لأنه قد صام بالهلال في كلا الشّهرين؛ رجب وشعبان.

السّؤال: إنسان كان صائما نفلا، وعزمه صديق له على طعام الغداء، فهل يجوز له الفطر أم لا؟

الجواب: إذا كانت هذه العُزومة طارئة دون موعدٍ سابق، فلا يجوز له الفِطر، وإذا كانت العُزومة سابقة، ونسي هذه العُزومة، وعقد الصّيام، فيجوز له الفطر، ويقضي يوما مكانه، وفي حال العُزومات العامّة كولائم الأعراس، فإنّه يحضر العُزومة، ولا يُفطر؛ لأنّه لا يُفتقد هل أكل أم لا، فلا يكون لعدم أكله تأثير على العلاقات بين النّاس، وكما يقول صاحب أسهل المسالك:

وَنُــدِبَتْ وَلِيمَـةٌ بَعْـدَ الْبِنَـا ** إِتْيَانُهَا فَرْضٌ عَلَى مَنْ عُيِّنَا
وَلَوْ يَكُونُ صَائِمًا فَيَحْضُـرُ ** إِلَّا إِذَا كَانَ فِــيهَا مُنْكَــرُ

بخلاف العُزومة الخاصّة السّابقة لصيامه؛ فإنّ عدم أكله قد يُؤَثِّر سلبا على العلاقة بينه وبين من عزمه، وهذا أمرٌ مُرَاعَى في الشّريعة.

السّؤال: ما حكم من أصبح صائما يوم عرفة ثمّ أفطر؟

الجواب: صيام يوم عرفة نافلة من النّوافل التي تلزم بالشُّروع فيها كبقية النّوافل، وبالتّالي يقضي بدله يوما، وإن كان يوم عرفة يوما عظيما، لكن لا يرقى إلى أن يلزم التّكفير بفطره، فهو يبقى في دائرة النّوافل.

السّؤال: هل يجوز الجمع بين نِيَّة قضاء رمضان والسِّتَّة من شوّال؟

الجواب: لا يصحُّ الجمع بين نِيَّتين في الصّيام، فيلزم أن تكون النِّيَّة معيَّنة إمّا للفرض أو للنّفل مثل الصّلاة، فمن كان يصلّي الظّهر مثلا لا يصحَّ أن ينوي به الظّهر والنّفل معًا في ذات الوقت.

ثمّ إنّه في شوّال بالذّات يقول النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»[1]، وهذا الذي عليه أيّام من رمضان لم يُتِمّ صوم رمضان بعد حتى يكون من أصحاب ذلك الفضل المذكور في هذا الحديث.

السّؤال: إنسان أفطر نسيانا في قضاء رمضان، فهل يجب عليه الإمساك بقيّة يومه أم يُكمل فطره طالما أنّه يجب عليه قضاءه من جديد؟

الجواب: لا يجب عليه الإمساك؛ لأنّ الإمساك لا يجب إلّا في صومٍ واجب التّتابع؛ كرمضان، والكفّارات إلّا إذا حصل له هذا المفسِد في اليوم الأوّل من كفّارته، فإنه لا يجب عليه الإمساك في هذه الحال، أمّا رمضان فيجب عليه الإمساك في كلِّ الأحوال سواء وقع له هذا المفسِد في أوّل يومٍ منه أو في غيره من الأيّام.

السّؤال: ما حكم استعمال معجون الأسنان للصّائم؟

الجواب: إذا استعمله قبل الفجر، وغسل فمه جيِّدا؛ بحيث لا يبقى من أثره في الفم شيئ، فلا حرج إن شاء الله.

السّؤال: شخصٌ كان مفطرا في سفره في رمضان، وقَدِمَ إلى بلدته نهارا، هل يجب عليه الإمساك بقيَّة يومه أم لا؟

الجواب: لا يجب عليه الإمساك، ويبقى مفطرا بقيَّة يومه، ولو وجد زوجته كانت حائضا، وَطَهُرَتْ في نهار ذلك اليوم، فإنّه يجوز له مجامعتها.

---

(1)- سبق تخريجه ص123.

السّؤال: شخصٌ كان صائمًا نفلا، وأراد أن يُسافر في نهار ذلك اليوم، وشرع في السّفر بالفعل، هل يجوز له أن يُفطر؟

الجواب: إذا شَقَّ عليه الصّوم فله أن يُفطر، ولا كفّارة عليه؛ لأنّ الكفّارة تختصُّ بشهر رمضان فقط، وعليه أن يقضي يوما مكانه؛ لأنّ النّفل يجب بالشُّروع فيه.

السّؤال: ما حكم المسافر الذي نوى الفطر ثمّ رجع؟

الجواب: حكمه بحسب الحال التي كان عليها؛ فإذا رجع قبل الفجر، فإنّه يجب عليه أن يبيِّت الصّيام ويصوم يومه ذاك، وإن رجع بعد الفجر ولم يَقطع مسافة القصر، فإنّه يجب عليه الإمساك بقيَّة يومه؛ لأنّ السّفر لم يَحْصُلْ، ويجب عليه القضاء؛ لأنّه لم يُبَيِّتْ الصّيام من اللّيل، وإن رجع بعد قطعه مسافة القصر، فلا يجب عليه الإمساك؛ لأنّ السّفر قد حصل بالفعل، وعليه أن يقضي ذلك اليوم.

السّؤال: هل يجوز للمسافر على السيّارة أو الطائرة الفطر مع العلم أنّه لم يتعرَّض لأيِّ مشقَّة في هذا السّفر؟

الجواب: نعم يجوز له الفطر؛ لأنّ عِلَّة إباحة الفطر هي السّفر بحدّ ذاته، وليس ما يُلَاقِيهِ المسافر من مشقّة، فذلك يختلف باختلاف النّاس؛ فما يكون مشقَّة عند البعض، لا يكون كذلك عند آخرين؛ لذلك أناط الشّارع الحكيم إباحة السّفر بأمرٍ منضبط، وهو السّفر، فبمجرّد السّفر يُباح له الفطر، ويلزم مراعاة شروط الفطر في السّفر، وهي:

الشرط الأول: أن يشرع المسافر في هذا السّفر قبل الفجر، وأن لا يؤذّن عليه الفجر إلّا وهو قد غادر الدّيار، ومشى المسافة التي يجوز له فيها قصر الصلاة.

الشرط الثاني: أن يُبَيِّتَ الفطر قبل الفجر.

الشرط الثالث: أن يكون هذا السّفر مسافة قصر؛ أي ما يقارب أو يُساوي ثمانية وثمانين(88) كلم.

السّؤال: هل يجب على المرأة أن تستأذن الزوج في قضاء رمضان؟

الجواب: ذهب الإمام الباجي في "المنتقى" إلى أنّه يلزمها أخذ الإذن من الزّوج حتّى في قضاء رمضان؛ لأنّه قد يحتاجها في ذلك اليوم، واستدلّ بحديث عائشة: "كان يكون عليّ الصّوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله ﷺ، أو برسول الله ﷺ"[1].

وأقول: ولأنّ قضاء رمضان واجب على التّراخي، وليس على الفور، وتلبيتها لحاجات زوجها، لا سيما الجنسيّة منها واجب على الفور، وما كان واجبا على الفور قُدِّمَ على ما كان واجبا على التّراخي، اللهمّ إلّا إذا لم يبقَ عن رمضان الموالي من الأيّام إلّا بقدر ما أفطرته من رمضان الفائت، فهنا تصوم، ويجب على الزّوج أن يأذن لها في ذلك.

السّؤال: إنسان كان صائمًا نفلا، فأفطر ناسيا أو مُكْرَهًا، فهل يجب عليه القضاء أم لا؟

الجواب: لا يجب عليه القضاء، ويجب عليه الإمساك بقيّة يومه.

السّؤال: ما حكم استخراج الدّم من الصائم لأجل التّحاليل الطّبيّة؟

الجواب: هذا يتخرَّج على مسألة الحِجامة، فهي جائزة، وليست من المُفطرات؛ لأنّ الفطر يكون ممّا دخل، وليس ممّا خرج، اللّهمّ إلّا إذا كان ذلك يُضعِفه عن الصّوم، ويخشى أن يُؤَدِّيَ به ذلك إلى الفِطر، فإنّ ذلك يُكره في حقّه.

السّؤال: شخصٌ مات وعليه صومٌ من رمضان، فهل يصحُّ أن يصوم عنه أحدٌ من أقاربه؟

---

(1)- سبق تخريجه ص112.

الجواب: في مذهب مالك لا يصحُّ ذلك؛ لأنّ الصّيام عبادة مثل الصّلاة متعلِّقة بذات الشّخص، وذهب بعض الفقهاء إلى أنّه يصحُّ أن يصوم عنه أحدٌ من أوليائه، ودليلهم في ذلك قول النبي ﷺ في صحيح مسلم: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»[1].

السّؤال: ما حكم من أصبح جُنُبا في نهار رمضان؟

الجواب: صومه صحيح، وكذا من احتلم في نهار رمضان، وكذا المرأة تطهر من الحيض أو النِّفاس قبل الفجر، ولا تَتَمَكَّنُ من الاغتسال إلّا بعد الفجر، فتنوي الصّيام بمجرّد طهرها، وصومها صحيح، وتغتسل بعد الفجر وتصلّي صلاتها.

السّؤال: ما حكم القطرة للعينين في نهار رمضان؟

الجواب: بالنسبة لقطرة العينين أو الأذنين أو الأنف، إذا استعمله نهارا ووجد في حلقه منه شيء، فهذا يجب عليه القضاء فقط؛ لأنّ من شروط الكفّارة أن يوصل شيئا إلى حلقه أو جوفه عن طريق الفم، أمّا إذا أوصله من أيِّ منفذٍ آخر، ولو عمدا فلا تجب عليه الكفّارة، وإنما يجب عليه القضاء فقط، وأمّا إذا استعمل هذه القطرة ليلا ووجد منها شيئا في حلقه نهارا، فلا قضاء عليه؛ لأنّه قد استعمل ذلك في وقتٍ يجوز له ذلك، ومثل القطرة الاكتحال.

السّؤال: ما حكم استعمال السِّواك المُعطَّر بالنسبة للصّائم في نهار رمضان؟

الجواب: الأصل في السِّواك أنه يجوز استعماله طيلة النّهار، ولكن يجب عليه أن يحترز من أن يبتلع منه شيئا، لا سيما إذا كان هذا السِّواك أخضرا، وبعد أن يستاك يمضمض فمه حتى يتأكَّد أنّه لم يبق منه شيء في فيه، وأمّا السِّواك المُعطَّر فمن الأفضل اجتنابه في نهار رمضان.

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميّت، حديث رقم: 1174، 803/2.

السّؤال: هل يصحُّ إثبات شهر رمضان بالحساب الفلكي؟

الجواب: جمهور الفقهاء ذهبوا إلى أنّ إثبات شهر رمضان يكون بالطُّرق التي ذكرناها أثناء الشَّرح، وهي: استكمال شعبان على خلافٍ بينهم في هذا الاستكمال، أو برؤية الهلال على خلافٍ بينهم، هل يُكتفى برؤية عدلٍ واحدٍ أو برؤية عدلين.

نحن كنّا من قبل قد ذكرنا تفسيرين للفقهاء لقوله ﷺ: «**فإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ**»[1]؛ هما:

التفسير الأول: هو أن نضيّق على شعبان فنجعله تسعا وعشرين.

التفسير الثاني: هو أن نُتِمَّ شعبان ثلاثين، وقد تعرّضنا لكلا التفسيرين في الشّرح.

لكن هناك من العلماء من جاء بتفسيرٍ ثالثٍ لهذا النّص، وهو ابن سُرَيْج من الشّافعية، قال: أنّ معنى «**فَاقْدِرُوا لَهُ**»، هو بمعنى الحساب الفَلَكِي، وأنّ الإنسان إذا عرف بالحساب أنّ غدا رمضان يجب عليه الصّيام، فهذا الرّأي، ونظرا لتطوُّرِ علم الفلك؛ بحيث أنّ نسبة الخطأ فيه كما يقولون: هي بنسبة: 1 إلى 100000 في الثانية، نجد من العلماء المعاصرين من أخذ به؛ منهم: أحمد محمد شاكر، ومحمد رشيد، ومصطفى الزّرقا.

ومن المعاصرين من ذهب إلى الأخذ بالحساب الفلكي على الأقل -كما قال- في حالة النّفي، لا الإثبات؛ بمعنى أنّه إذا ثبت فلكيًّا عدم إمكانية رؤية الهلال، ثمّ جاء من ادّعى رؤية الهلال، فلا نأخذ بشهادته، والذي ذهب إلى هذا يوسف القرضاوي، ومن قبله تاج الدّين السُّبكي من الشّافعية.

---

(1)- سبق تخريجه ص65.

السّؤال: ما حكم استعمال البَخَّاخِ بالنسبة للمريض بمرض الرّبو؟

الجواب: هناك خلافٌ بين العلماء، هل هي مُفْطِرَة أم لا؟ هناك من قال: إنّها غير مُفْطِرَة، وقالوا: إنّ ما فيها من مادّة تذهب إلى القصبات الهوائيّة لتوسيعها حتّى يتّمكّن المريض من التّنفّس بشكل مريح، وهناك من قال: لا، هذا دواء، وفيه ذاك الرّذاذ يصل إلى الحُلْقِ، وبالتّالي فإنّ استعمالها يكون مُفطرا، وإذا قلنا: عليه القضاء - حسب رأي هؤلاء- هذا إنسانٌ لا يستغني عليها طول السّنة، وبالتّالي عليه الفِدية كالشّيخ الهرِم، ومذهب المالكيّة في الفِدية أنّها مُستحبّة.

هذا ما قالوه في هذه المسألة، والأقرب إلى مذهب مالك أنّها مُفْطِرَة، والمسألة محلّ نظرٍ واجتهاد.

السّؤال: هل يجوز لمن كانت مهنته نقل المسافرين الفطر في رمضان؟

الجواب: ما دام أنّ هذه مهنته على طول العام فالأفضل له أن يصوم، ولكن إذا أفطر بالشّروط التي ذكرناها، فلا حرج عليه، مثل ما يجوز له قصر الصّلاة؛ لأنّه على سفر، والله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]، وهذا على سفر، وهذه هي لُقْمَةُ عيشه، ويقضي في الأيّام التي يسهل فيها عليه القضاء، أو حين لا يكون مسافرا.

السّؤال: ما حكم المُصاب بمرضٍ مزمن؟

الجواب: يجوز للمُصاب بمرضٍ مزمن أن يُفطر إذا شقَّ عنه الصّوم، ويقضي إذا كان يستطيع القضاء حيث يَقْصُرُ النّهار، ويبرُد الجوّ، وإذا كان لا يستطيع القضاء في سائر فصول السّنة، يسقط عنه الصوم، وَتُسْتَحَبُّ في حقّه الفِدية عن كلّ يومٍ أَفطره.

السّؤال: إنسان أراد أن يعتكف في غير رمضان، ومعلوم كما ذكرتم أن دخوله إلى المعتكف يكون قبل الغروب، وكما ذكرتم أنّ الصّيام شرطٌ في الاعتكاف، فهل يُشترط أن يكون صائمًا في يومه الذي يُريد أن يدخل فيه قُبَيْلَ الغروب؟

الجواب: لا يُشترط أن يكون صائمًا في اليوم الذي دخل فيه قُبَيْلَ الغروب، وإنما ينوي الصّيام في اللّيل ليوم الغد.

السّؤال: ما حكم الاتّصال بالهاتف للمعتكِف؟

الجواب: إذا كان هذا الاتّصال لأجل حاجياته، فلا حرج، أو كان كمن نسي إعلام أهله بأمرٍ ضروري ولم يخبرهم به قبل دخوله معتكفه، فلا حرج في الاتّصال وإخبارهم بذلك الشيء.

السّؤال: ما حكم حديث المعتكِف مع الآخرين في المسجد؟

الجواب: يكره له ذلك إلّا لضرورة، فالمعتكف يُستحبُّ له أن يكون في مؤخِّرة المسجد، وَيُكره له أن يكون في المقدِّمة، وَيُكره له أن يُقيم الصّلاة، أو أن يؤّن، إلّا الإمامة، فإنّه يجوز له أن يَؤُمَّ النّاس في الصّلاة، وَيُكره له أن يصعد إلى سطح المسجد، أو أن يأكل في رحبة المسجد، وإذا أكل خارج المسجد بطُل اعتكافه، فكلُّ هذا يُكره في حقِّه، وعليه أن يلزم دائمًا معتكفه.

زكاة الفطر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمد وعلى آله، وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

إخوة الإيمان: نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل منّا صلاتنا، وصيامنا، وقيامنا بمزيد من الأجر والمغفرة والثواب، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

ها نحن على مشارف توديع هذا الضّيف العزيز الغالي على نفوسنا، وهكذا الدُّنيا، ولكلّ بداية نهاية، نتحدَّث اليوم إن شاء الله عن زكاة الفطر.

وجه تسميتها بزكاة الفطر وحكمها:

سُمِّيَتْ بزكاة الفِطر؛ لأنّ سبب وجوبها هو الفطر من شهر رمضان، وَتُسَمَّى كذلك بصدقة الفطر، وكانت فرضيتها في السنة الثانية للهجرة، وهي نفس السّنة التي فُرِض فيها صيام شهر رمضان.

جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان... على كل حرٍّ أو عبدٍ؛ ذكرٍ أو أُنثى من المسلمين"[1]، وقد ذهب جمهور العلماء من السَّلف والخلف إلى أنّ معنى "فَرَضَ": أَلْزَمَ، وأَوْجَبَ؛ فزكاة الفطر فَرْضٌ على كل مسلم ومسلمة.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على العبد وغيره من المسلمين، حديث رقم: 1504، 130/2.

الحِكمة من مشروعيتها:

الحِكمة من وراء مشروعية هذه الصدقة نجدها مُصَرَّحًا بها في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الذي رواه أبو داوود: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهْرَةً للصّائم من اللَّغو والرَّفث، وَطُعْمَةً للمساكين"[1]؛ فالحِكمة منها تتمثل في أمرين -كما جاء في هذا الحديث- هما:

الأمر الأوّل: أنّها طُهْرَةٌ للصّائم من اللّغو، ومن الرّفث؛ فلعلّ هذا الصّائم قد أَتَى أمرا لا يجوز أو أَتَى لَغْوًا أو رفثا من القول أو نظر نظرة خائنة هنا أو هناك إلى غير ذلك من هذه الأمور التي قَلّ ما يسلم منها أحد؛ فمن رحمته سبحانه وتعالى أنّه يَأْبَى أَلّا أن يرفع صيامنا إليه إلّا وهو تامٌّ ومكتمل؛ لذلك شَرَعَ لنا هذه الزّكاة ليطهّرنا من هذا اللغو، ومن هذا الرَّفث.

وكما جاء عن وكيع قوله: "إنّ زكاة الفطر تُجْبِرُ الصّيام كما يجبر سجود السّهو الصّلاة"؛ فإذا حدث للإنسان سهوٌ في الصّلاة، فما الذي يجبر ذلك؟ إنّ الذي يجبر ذلك هو سجود السهو؛ فكذلك زكاة الفطر تُجبر ما حصل في الصّيام من لغو أو رفث.

أيضا شرع الإسلام النّوافل حتّى إذا ما حصل خللٌ أو نقصٌ في الفرائض أجبرتها النّوافل.

الأمر الثاني: أنّها طُعْمَةٌ للمساكين؛ فيوم العيد هو يوم مَسَرَّة وابتهاج، ومن سماحة هذا الدّين أنّه يريد أن تدخل هذه الْمَسَرَّة، وهذا الابتهاج إلى قلب كلِّ مسلم؛ ففرض

---

(1)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب كم يؤدي في صدقة الفطر، حديث رقم: 1609، 54/3. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده حسن"

هذه الزّكاة ليتوسَّع الجميع في الرِّزق في هذا اليوم؛ لذلك نجد النبي ﷺ يقول: «**أَغْنُوهُمْ عَنْ السّؤال فِي هَذَا الْيَوْمِ**»[1]، وفي رواية أخرى: «**أَغْنُوهُمْ عَنْ طَوَافِ هَذَا الْيَوْمِ**»[2].

على من تجب؟

بعد أن عرفنا حكم زكاة الفطر وحِكمتها، فعلى من تجب؟

في حديث ابن عمر الذي ذكرناه آنِفا: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان... على كلِّ حرٍّ أو عبدٍ؛ ذكرٍ أو أُنثى من المسلمين"، وهناك حديث آخر رواه البخاري أيضا عن ابن عمر قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير على العبد والحرّ، والذّكر والأنثى، والصّغير والكبير"[3]؛ فالحديث الأول فيه: الذَّكر والأنثى، الحرّ والعبد، والحديث الثاني فيه زيادة: الصّغير والكبير.

وهناك قولٌ لأبي هريرة رضي الله عنه، وليس مرفوعا إلى النبي ﷺ، قال فيه: "على كل حرٍّ وعبدٍ، ذكرٍ وأنثى، صغيرٍ وكبيرٍ فقيرٍ أو غني"[4]؛ فأضاف أمرا ثالثا، وهو "فقير أو غني"، وما أضافه أبو هريرة من الأمور التي لا مجال للرّأي فيها، فلا بدّ وأن يكون سمع ذلك من النبي ﷺ؛ فنخلص من هذه النّصوص الثلاثة أن زكاة الفِطر تجب على الجميع من دون استثناء؛ غنيّ أو فقيرٍ، حرٍّ أو عبدٍ، ذكرٍ أو أنثى، صغيرٍ أو كبير؛ فهي واجبة على الجميع.

---

(1)- رواه الدارقطني في سننه، كتاب زكاة الفطر، حديث رقم: 2133، 89/3.ولفظ الدارقطني: «**أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ**»، وليس كما ذكر.

(2)- رواه البيهقي في السنن الكبرى، جُماع أبواب زكاة الفطر، باب وقت إخراج زكاة الفطر، حديث رقم: 7739، 292/4.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، حديث رقم: 1503، 130/2.

(4)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 7724، 157/13. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "رجاله ثقات رجال الشيخين، وهو موقوف".

وهذا ما ذهب إليه الجمهور، وخالف في ذلك الإمام أبو حنيفة رضي تعالى وقال: إنّها لا تجب إلّا على من ملك نصابا، ولكنّ الرّأي الراجح من خلال هذه النّصوص التي ذكرناها أنّا تجب على الجميع.

ولعلّ من الحِكمة في إيجابها حتّى على الفقير هو: أن يتذوّق هذا الفقير لذَّة البذل، والإنفاق في سبيل الله على الأقل ولو مرَّة واحدة في العام؛ ولذلك نجد الله تبارك وتعالى قد ذكر من صفات المتّقين أنهم ﴿يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: 134]

لكن متى تجب على الفقير؟ تجب عليه إذا كان لديه ما يزيد على قوته يوم العيد وليلته؛ فما زاد على ذلك تجب فيه زكاة الفطر، وإلّا فلا.

زكاة الزّوجة والصّغير:

بالنّسبة للمرأة المتزوِّجة، ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنّه تجب عليها هي شخصيا إذا كانت غَنِيَّة تملك نصابا، وإلّا فإنّ زكاة فِطرها في ذِمَّةِ الزّوج

ولعلّ من الحِكمة لهذا القول هو: إشعار هذه المرأة بالمسؤولية تجاه الفقراء والمساكين، وتتقرَّب هي الأخرى إلى الله سبحانه وتعالى بهذه الزكاة كما يتقرّب أخوها الرّجل.

أمّا بقيّة المذاهب الثلاثة ومن بينهم الإمام مالك عليه رحمة الله، فقالوا: إنّ زكاة فطر الزوجة تجب على زوجها، قالوا: لأنّ نفقتها واجبة على الزّوج، وما دامت نفقتُها واجبة على الزّوج، فمن باب أولى أن تكون زكاة فطرها كذلك في ذِمَّتِهِ.

أمّا بالنسبة للصَّغير غير البالغ؛ فإذا كان عنده مال فيخرجها عنه وَلِيُّهُ من ماله، وإن لم يكن لديه مال، فهي في ذِمَّةِ من تجب عليه نفقته.

مقدار زكاة الفطر وهل يجوز إخراجها قيمةً؟

مقدار هذه الزّكاة عند جمهور العلماء هو صاع من طعام، ووزن الصاع هو 2 كلغ و156غ.

لكن هناك مسألة أخرى تُطرح، وهي هل يجوز إخراج القيمة فيها أم لا؟

في المذاهب الثّلاثة مالك والشّافعي وأحمد رضي الله تعالى عن الجميع، قالوا: لا تجزئ القيمة، وهذا مذهبهم في الزّكاة عموما؛ أي حتّى في زكاة الأموال؛ عندك غنم تخرج من الغنم، لا يجوز لك أن تخرج قيمة ما وجب فيها من زكاة.

أمّا الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه فيجوز عنده إخراج القيمة، وهذا أيضا رأي عمر بن عبد العزيز، وعطاء، والحسن البصري، وهذا أبو اسحاق قال: "أدركتهم وهم يعطون في صدقة رمضان الدّراهم بقيمة الطّعام"[1].

والآن لو نشاهد الواقع؛ ونسائل أنفسنا: أيُّهما أصلح وأنفع للفقير؟ الطّعام أم النُّقود؟ وقد تناقشت مع بعضهم في هذه المسألة؛ فقلت له: هَبْ أنّك فقير، وتجوز فيك صدقة الفطر، قل لي بربِّك: ماذا تحبّ أن يعطوك؟ يعطوك كيسا من السّميد أو 2000.00 دج؟ فسكت برهة وقال: 2000.00 دج؛ فالأكيد أنّ الأحب والأنفع للفقير هو النّقود، وليس الطّعام.

والحِكمة من هذه الزّكاة هو إغناء الفقير عن السّؤال في هذا اليوم، فهل يتحقّق الإغناء بكيس السّميد أو الأرز أو غيره؟ كلّا، لا يتحقّق، لماذا؟ لأنّه رُبَّما لو تسأل أيَّ واحد منّا الآن وتقول له: كم مرّ عليك دون أن تشتري السّميد؟ بمعنى أنّ الواحد منّا قد تمرُّ عليه الأيّام بل الأسابيع ولا يكون في حاجة لمادّة السّميد أصلًا.

---

(1)- رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزكاة، في إعطاء الدراهم في زكاة الفطر، حديث رقم: 10371، 2/398.

وَزِدْ على ذلك لو أنّ كل المزكّين أخرجوها طعاما، فإنّنا نجد أكداسا من الطّعام تتجمّع عند الفقير، ونظرا لحاجته إلى النُّقود، فإنّه يلجأ إلى بيعها بنصف ثمنها.

وهي كذلك الأيسر للمزكّي، وقد قُدِّرَتْ هذا العام بـ**100.00**دج[1].

وقت وجوب زكاة الفطر:

هناك خلاف بين الفقهاء في وقت وجوبها؛ فهناك من قال: تجب بغروب شمس آخر يوم من شهر رمضان؛ اليوم مثلا ثلاثين رمضان، فإذا غربت الشمس، وجبت زكاة الفطر.

وهناك من قال: لا تجب إلّا بطلوع فجر يوم العيد، والقولان مرويان عن مالك رضي الله تعالى عنه.

والخلاف بسيط؛ يعني لا يترتّب عليه كبير أثر؛ فثمرة الخلاف تظهر في المولود الجديد؛ فمن وُلِدَ له مولود ليلة العيد، فعلى الرأي الذي يقول بأنّها تجب بغروب الشّمس لا تجب عليه زكاة فطره، وعلى الرأي الذي يقول إنها تجب بطلوع فجر العيد تجب عليه زكاة فطره، هذه هي ثمرة الخلاف.

وإذا وُلِد بعد الفجر، فلا تجب عليه لا عند من يقولون: إنّها تجب بغروب شمس يوم العيد، ولا عند الذين يقولون: إنّها تجب بطلوع فجر يوم العيد.

وقت إخراجها ودفعها لِمُسْتَحِقِّيهَا:

يُندب إخراجها قبل صلاة العيد، ولا يأثم ما دام يوم الفطر باقيا، فإن أخّرها عنه مع القُدرة أَثِمَ، ولا تسقط بالتّأخير، بل تبقى في ذِمَّته.

ودليل إجزاء إخراجها بعد الصّلاة وقبل انقضاء يوم الفطر هو قول النبي «**أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ**»، واليوم يصدُق على جميع النّهار.

---

(1)- كان ذلك عام 1431هـ/2008م.

حكم تعجيل زكاة الفطر:

هناك خلاف بين أهل العلم في مسألة تعجيل زكاة الفطر؛ فهناك من قال: بجواز تعجيلها قبل العيد بيوم أو يومين، ودليل ذلك ما جاء عن أحد من الصَّحابة لا اذكر اسمه الآن، قال: "كانوا يخرجونها (ويقصد صحابة رسول الله ﷺ) قبل العيد بيوم أو يومين"[1]، وهذا الرّأي هو المعتمد عند المالكية، وإليه ذهب الإمام أحمد.

وجاء عن بعض الحنابلة أنه يجوز إخراجها من نصف رمضان، وهناك من قال: إنه يجوز إخراجها من أوّل رمضان، وهناك من قال: يجوز إخراجها قبل رمضان بسنة، وهناك من ذهب بعيدا جدّا فقال: يجوز إخراجها قبل رمضان بِحَوْلَيْنِ، ولكن هذه الأقوال لا تتناسب مع الحِكمة من زكاة الفطر، وهي أنّ النبي ﷺ قال: «**اغْنُوهُمْ عَنْ السّؤال فِي هَذَا الْيَوْمِ**»، وإذا أخرجتها قبل العيد بمدّة طويلة لا يتحقَّق هذا الإغناء في يوم العيد الذي هو مقصودٌ للشَّارِعِ الحكيم؛ لذلك يكون أنسب الأقوال وأيسرها هو الرّأي الذي يقول بجواز إخراجها ابتداءً من منتصف رمضان خاصّة إذا كانت هذه الزّكاة تشرف على جمعها وتوزيعها جمعيّة أو هيئة أو مثل ما نفعل نحن اليوم في مساجدنا، نجمعها ثمّ بعد ذلك نوزّعِها على مستحقِّيها قبل العيد بيوم أو يومين.

هذا ما فتح الله به علينا في هذا الموضوع، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم صالح الأعمال، وأن يجعلنا إن شاء الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، أقول قولي هذا، واستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما. ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الحر والمملوك، حديث رقم: 1511، 131/2. بحسب سياق البخاري يكون هذا من كلام نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما.

محاضرات وعظيّة إرشاديّة

* كيف نتفاعل مع القرآن الكريم

* الرحمة في شهر الرحمة

* رمضان شهر الكرم والجود والإنفاق في سبيل الله

كيف نتفاعل مع القرآن الكريم؟

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، نشهد أنه قد بلّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة وكشف الله به الغُمّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، أمّا بعد:

نريد أن نتحدّث في هذه الأُمسية عن موضوعٍ نَحْسَبُهُ من الأَهميّة بمكان؛ هذا الموضوع يتعلّق بأصل الأصول، وقُدس الأَقداس؛ أَلَا وهو القرآن الكريم، ولا غرابة أن نتحدّث عن القرآن، ونحن في شهر القرآن، ونحن في الشّهر الذي أنزل الله تبارك وتعالى فيه هذا الكتاب على قلب نبيّنا محمد ﷺ، فالله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: 185].

ويقول الله تبارك وتعالى -وهو يتحدّث عن إنزال هذا القرآن-: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الدّخان: 3-6]؛ فهذا القرآن رحمة من الله سبحانه وتعالى، الله تبارك وتعالى يريد أن يرحم هذه البشريّة، فَمَنَّ عليها بهذا الكتاب المبارك، ويقول الله تبارك وتعالى أيضا: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

- إذًا، لا عجب -ونحن في شهر القرآن- أن نتحدّث عن: كيف نتفاعل مع القرآن الكريم؟
- كيف نتفاعل مع هذا الكتاب حفظًا؟
- كيف نتفاعل معه قراءةً وتلاوةً؟
- كيف نتفاعل معه فهمًا وتدبّرًا؟
- كيف نتفاعل معه عملًا وتطبيقًا؟

وقبل ذلك اسمحوا لي أن أتحدّث عن بعض خصائص هذا الكتاب.

القرآن مصدره هو الله

هذا القرآن هو مِنْحَةُ الله تبارك وتعالى لهذه البشريّة؛ فمصدره هو الله سبحانه وتعالى ﴿**كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[هود: 01]، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 06]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: 52].

إذًا، هذا القرآن مصدره الله عزّ وجلّ، وهذا أحد الباحثين المنصفين الأجانب يقول: "لو أنّ إنسانًا ذا عقلٍ وجد هذا الكتاب (يقصد القرآن) في فلاة (أرض خالية) دون أن يقول له أحدٌ: إنّ هذا هو القرآن، ثمّ قرأه، لأدرك بأنّ هذا الكلام ليس بكلام بشر، وإنما هو كلام الله عزّ وجلّ".

وهذه باحثة أخرى تسمّى "انبيا آبوت" من جامعة "كاليفورنيا" الأمريكيّة، تقول: "مَهْمَا يكن محتوى هذا القرآن، فإنّه من عند الله عزّ وجلّ، وإن لم نقل بذلك، فمعنى ذلك أنّ محمّدًا هو الإله"؛ إمّا أن نُسَلِّمَ بأنّ محمدا هو رسولٌ من عند الله، وإلّا فإنّ محمدا نفسَه هو الإله؛ لأنّ هذا الكلام لا يستطيع أن يأتي به بشر.

القرآن هو معجزة محمد ﷺ

هذا القرآن هو معجزة محمد ﷺ، فالله تبارك وتعالى ما أرسل من نبي إلّا أعطاه من الآيات (المعجزات) على ما مثله آمن البشر، والذي أعطاه الله تبارك وتعالى لنبيّنا محمد ﷺ هو القرآن، وهذا بنصّ الحديث: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

كان الأنبياء والرُّسل السّابقون عليهم الصلاة والسلام يعطيهم الله تبارك وتعالى آياتٍ حِسِّيَّة؛ آياتٌ مشاهدة وملموسة؛ مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومثل كون عيسى يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأبرص، ويحيي الموتى، فكلُّها كانت معجزاتٍ يلمسها الناس ويشهادونها، أمّا المعجزة التي ميَّز الله تبارك وتعالى بها نبيَّنا محمّدًا ﷺ، فهي معجزة عقليّة أدبيّة.

وقد كان المقصود من معجزات الأنبياء السّابقين هو إخضاع الأعناق، وإدهاش الأبصار، وأمّا معجزة محمد ﷺ فالمقصود منها هو إقناع العقول، وإنارة البصائر؛ لأن البشريّة في عهد بعثة سيّدنا محمد ﷺ كانت على قدرٍ من النُّضْجِ، فكان الذي يَتَنَاسَبُ مع ذلك هو أن تكون معجزته معجزةً عقليّةً أدبيَّة تخاطب العقول فَتُقْنِعَهَا؛ لا تتوجّه إلى الأبصار فتدهشها، وإنّما تتوجّه إلى البصائر فَتُنِيرُهَا.

ثمّ إنّه لَمّا كان محمد ﷺ هو النبي الخاتم، كان من المناسب أن تكون معجزته معجزةً عقليةً أدبيّة؛ فكان القرآن الكريم هو نفسُه المعجزة، وأيُّ إنسان يقرأ هذا الكتاب في شتّى الأعصار والأمصار يُدرك أنّه كلام الله عزّ وجلّ؛ فهو يُدافع عن نفسه بنفسه، وَيُقيم الحجج والبراهين على صدق رسالة محمد ﷺ، وأنّ هذا الكلام هو كلام الله سبحانه وتعالى.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي؟ وأوّل ما نزل، حديث رقم: 4981، 182/6.

وهناك فرقٌ آخر بين معجزة محمّد ﷺ ومعجزات الأنبياء السّابقين وهو: أنّ معجزات السّابقين ليست حجّة إلّا على من شهدها وحضرها؛ فعصا موسى عليه السّلام ليست حجّة إلّا على من حضرها وعاصرها، أمّا القرآن فهو حجّة على جميع النّاس من لدن بعثته ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فكلُّ من وصله هذا الكتاب، فهو حجّة عليه؛ لأنّ هذا الكتاب هو بحدٍّ ذاته معجزة، ولله دَرُّ هذا القائل:

جَاءَ النَّبِيُّونَ بِآيَاتٍ فَانْصَرَمَتْ ** وَجِئْتَنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدُدُ ** يَزِينُهُنَّ جَمَالُ الْعِتْقِ والْقِدَمِ

أيضا هناك فرقٌ آخر وهو: أنّ الأنبياء السّابقين كانت معجزاتهم لا علاقة لها بموضوع رسالتهم؛ فعصا موسى عليه السّلام لا علاقة لها بموضوع التّوراة، وكذا معجزات عيسى لا علاقة لها بالإنجيل وتعاليمه، أمّا محمد ﷺ، فالرّسالة نفسُها هي المعجزة؛ فالمعجزة هي القرآن، والرّسالة هي القرآن كذلك.

القرآن هو نور وهدي الله في أرضه

الهدى كلُّ الهدى، والنّور كلُّ النّور في القرآن، ولا يستطيع بشرٌ أن يهدي بشرا إلى الله عزّ وجلّ، الذي يهدي النّاس إلى الله هو الله عن طريق هذا القرآن؛ فالبشر الآن برعوا وأبدعوا في شتّى العلوم؛ في الطِّب، في الفيزياء، في الكيمياء... بلغوا في شتّى العلوم ما بلغوا، لكن أن يهدي بشرٌ بشرا إلى الله عزّ وجلّ، فهذا لا يكون إلّا عن طريق الوحي بواسطة رسولٍ من عند الله سبحانه وتعالى؛ والله تبارك وتعالى حينما أنزل أبانا وأمَّنا حواء من الجنّة إلى الأرض قال لهما: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَایَ فَلَا یَضِلُّ وَلَا یَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِی فَإِنَّ لَهُۥ مَعِیشَةࣰ ضَنكࣰا وَنَحۡشُرُهُۥ یَوۡمَ ٱلۡقِیَـٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِیۤ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِیرࣰا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَ ٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَایَـٰتُنَا فَنَسِیتَهَاۖ وَكَذَ ٰلِكَ ٱلۡیَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: 123-126].

لذلك حين نفتح هذا المصحف أوّل ما نجد، نجد سورة الفاتحة التي هي بمثابة مقدِّمة لِمَا سَيُفَصِّلُهُ اللّٰه في هذا الكتاب، ثمّ نجد سورة البقرة التي نقرأ فيها: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: 2]، فالقرآن هو الهدى، ومن خالفه ضلّ، فهذا القرآن هو نور اللّٰه﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ [المائدة: 15-16].

القرآن كلُّه نور، كلُّه هدًى، في حين نجد أنّ اللّٰه تبارك وتعالى حين تحدّث عن التوراة، قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: 44]، وحين تحدّث عن عيسى عليه السّلام، قال: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46]، وفرقٌ بين أن يكون الشيء كلُّه هدًى ونور، وبين أن يكون فيه هدًى ونور؛ لذلك كانت الرِّسالات السّابقة بمثابة مصابيح تُنير في زمنٍ ومكانٍ مُحَدَّدَيْنِ، وكانت رسالة محمد ﷺ بمثابة الشّمس التي تُنير الزّمن كلَّه، والمكان كلَّه، وقد عبّر البوصيري عن هذا المعنى فقال:

اللّٰه أَكْـــــــــــبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ** وَكِتَابَهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِـــيلَا
لَا تَذْكُرِ الْكُتُبَ السَّوَالِفَ قَبْلَهُ ** طَلَعَ النَّهَارُ فَأَطْفِـءِ الْقِنْـدِيلَا

إخوة الإيمان: كتابٌ بهذه الخصائص، وبهذه المزايا، يجب علينا أن نتفاعل معه؛ أن نتفاعل معه من حيث الحِفظُ، ونتفاعل معه من حيث التلاوةُ والقراءةُ، ونتفاعل معه من حيث الفهمُ والتّدبُّرُ، ونتفاعل معه كذلك من حيث العملُ والتّطبيق.

التّفاعل مع القرآن حفظا

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ [فاطر: 29-30] يقول النبي: ﷺ «**يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**»[1]، فجزاء من تفاعل مع هذا القرآن حفظا هو: أن يأتي القرآن يوم القيامة يُرَافِعُ ويدافع عنه.

ويقول النبي ﷺ في الحديث الآخر: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ**»[2]؛ حتّى الأبوان يلحقهما فضل حفظ ولدهما القرآن؛ لأنّهما رَبَّوْا، وتعبوا، وتابعوا تَدَرُّجَ ولدهما في حفظ كتاب الله عزّ وجلّ.

التّفاعل مع القرآن تلاوةً وقراءةً

هذا القرآن لا ينال فضله وثوابه إلّا الحفظة فقط، بل ينال ثوابه وفضله حتّى أولئك الذين يقرأون القرآن، ويتلونه حقّ تلاوته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ [فاطر: 29-30].

---

(1)- رواه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب، حديث رقم: 2915، 178/5. قال الترمذي: "هذا حديث حسن".

(2) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم: 2086، 756/1. قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم".

ويقول النبي: ﷺ «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا لِأَصحابه يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

وفي الحديث الآخر: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[2].

ويقول ﷺ -وهو يوصي الصّحابي الجليل أبا ذر ﷺ-: «**عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**»[3]؛ هذا القرآن هو النُّور، هو الذي يُضيء لنا طريقنا، ونجد أجر قراءتنا له عند اللّٰه «**وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**».

وهذا ابن مسعود الصّحابيّ الجليل ﷺ يقول: "إنّ أَصْفَرَ البيوت بيت ليس فيه من كتاب اللّٰه شيء"[4]؛ بيتٌ لا تجد فيه أحدا يقرأ القرآن؛ لا الكبير يقرأ، ولا الصّغير يقرأ؛ هذا بيتٌ صِفْرٌ خالٍ من الخير.

ويقول أبو هريرة ﷺ: "إنّ البيت الذي يُتلى فيه القرآن اتَّسَعَ بأهله، وكثُر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشّياطين، وإنّ البيت الذي لا يُتلى فيه كتاب اللّٰه عزّ وجلّ ضاق بأهله، وَقَلَّ خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشّياطين"[5]؛ مع كلِّ

---

(1)- سبق تخريجه ص12.

(2)- سبق تخريجه ص12.

(3)- سبق تخريجه ص12.

(4)- رواه الحاكم في المستدرك، كتاب فضائل القرآن، ذكر فضائل سور وآيٍ متفرّقة، حديث رقم: 2080، 755/1. قال الحاكم: "قد رفعه غيره عن الدَّشْتَكِيّ... هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه".

(5)- ذكره الغزالي في الإحياء هكذا، 274/1. وهو في مسند الدّارمي موقوفا عن أبي هريرة: "إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن". قال محقق المسند مرزوق الزهواني: "رجاله ثقات".

أسف بيوتٌ واسعة، وأهلها ضَيِّقةً صدورُهم، خيراتٌ كثيرة، والبركة مرفوعة بسبب هجرنا لكتاب الله.

التّفاعل مع القرآن فهما وتدبُّرا

والسّؤال المطروح: هل كلُّ قراءة للقرآن تؤتي ثمارها؟

ينبغي علينا حين نتفاعل مع القرآن من حيث التّلاوة والقراءة أن نتفاعل معه كذلك من حيث التَّدَبُّرُ والفهم؛ لأنّ القرآن لا نقرأه من أجل البركة فقط، وإنما نقرأه كذلك لنفهم عن الله عزّ وجلّ: ماذا يريد منّا في هذا الكتاب؟

والله تبارك تعالى عَابَ أصحاب الكُتُب السّابقة حينما كانوا يقرأون كتبهم قراءة لا تُجاوِز حناجرهم؛ قراءة من دون فهم وَتَدَبُّر، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة: 78]؛ أي إلّا مُجَرَّد قراءة دون فهم وتدبُّر؛ لذلك دعانا الله لِتَدَبُّر القرآن، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، المسألة ليست مسألة كم قرأت؟ وإنما ماذا فهمت؟ ما هي الْعِبَرُ التي خرجت بها من خلال تلاوتك للقرآن؟ ما هي المعاني الإيمانية التي ازددتها بقراءتك للقرآن؟

ويقول الله تبارك وتعالى كذلك: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: 24]؛ فالغاية والهدف من القراءة هو الفهم والتّدبُّر.

ويقول علي ﷺ: "أَلَا لَا خير في عبادة ليس فيها تَفَقُّه، ولا علم ليس فيه تَفَهُّم، ولا قراءة ليس فيها تَدَبُّر"[1].

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "لَأَنْ أقرأ إذا زلزلت والقارعة أَتَدَبَّرُهُمَا أحبُّ إليَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً"[2]، وسورة الزلزلة سورة مزلزِلة، وسورة القارعة سورة تَقْرَعُ القلوب والأذان.

ويقول زيد بن ثابت ﷺ: "لَأَنْ أقرأ القرآن في شهر أحبُّ إلي من أن أقرأه في خمس عشرة، وأن أقرأه في خمس عشرة أحبُّ إلي من أن أقرأه في عشر، وَلَأَنْ أقرأه في عشر أحبُّ إلي من أن أقرأه في سبع؛ أقف وأدعو"[3]، عندما تمرُّ به آيات الرّحمة، يسأل الله رحمته وجنّته، وعندما تمرُّ به آيات العذاب، يستعيذ بالله من عذابه وانتقامه.

وهذا أبو ذر ﷺ يخبر عن حال النبي ﷺ مع القرآن فقال: قام النبي ﷺ بآية حتّى أصبح يردِّدُها، والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: 118]، ليلة كاملة، والنبي ﷺ قائم يُرَدِّدُ هذه الآية، وترديد الآيات من أجل التّدَبُّر والفهم هو سنّة من سنن المصطفى ﷺ، فإذا لم تستطع الفهم والتّدبُّر إلّا بالتّرديد فردِّدْ، وأُسوتك في ذلك هو النبي ﷺ.

---

(1)- رواه ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله، باب من يستحق أن يسمى فقيها أو عالما حقيقة لا مجازا، ومن يجوز له الفُتيا عند العلماء، حديث رقم: 1510، 811/2. قال ابن عبد البرّ: "لا يأتي هذا الحديث مرفوعا إلا من هذا الوجه، وأكثرهم يوقفونه على علي ﷺ".

(2)- ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب، 86/1. وذكره كذلك الغزالي في الإحياء، 277/1. ولم أقف عليه مسندا

(3)- رواه ابن أبي شيبة في المصنّف، كتاب الصلوات، في القرآن في كم يختم؟ حديث رقم: 8584، 242/2. وفي رواية ابن المبارك في كتاب الزهد والرّقائق جاء قوله: "وَسَلْنِي لِمَ ذلك؟ أَقِفُ عليه وَأَتَدَبَّرُهُ". 420/1.

نموذج عملي لتدبُّر القرآن

نأخذ نموذجا لهذا التّدبُّر لكتاب الله عزّ وجلّ، وهو سورة يوسف عليه السّلام، هذه السّورة التي نجد الكثير من النّاس، لا سيما الشيوخ الكبار ينتظرونها في صلاة التراويح، وكلُّهم شوقٌ إليها، فَأَحْرَى بنا أن نتدبّرها، وأن نعرف منها ما هي الرّسائل التي يريد الله تبارك تعالى أن يوصلها لنبيّه محمد ﷺ، ومن ورائه أمّته من خلال هذه القِصّة.

نجد في هذه السّورة أنّ الله تبارك وتعالى قد ابتلى نبيّه يوسف عليه السّلام بالمِنح والمِحن؛ منحة تتلوها محنة تتلوها منحة وهكذا؛ منحة حُبِّ أبيه يعقوب عليه السّلام له، ذلك الحبّ المنقطع النّظير الذي لم يحظ به أحدٌ من إخوته، ثمّ محنة كيد إخوته له التي كان نتيجتها إلقاؤه في البئر، ثمّ محنة الاسترقاق، ثم منحة العيش في قصر العزيز، ثم محنة افتتان امرأة العزيز به التي كان نتيجتها دخوله السّجن، ثمّ منحة تقريب الملك له التي كان من نتيجتها أن أصبح المسؤول الأوّل عن خزائن مصر.

وبعد كلّ تلك المنح والمحن كلّها نجد يوسف عليه السّلام حين تعرّف عليه إخوته في المرّة الأخيرة، وقالوا له: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: 90]، هذه الآية تستحقُّ أن نقف عندها طويلا؛ فيوسف عليه السّلام تعامل مع كلّ تلك المِحن والمِنح بأمرين اثنين هما: الصّبر وتقوى الله عزّ وجلّ، والدّرس الْمُستفاد هنا هو: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

أيضا نجد يوسف عليه السّلام فيما بعد في نهاية المطاف بعد أن اجتاز كلّ تلك المحن والمنح بنجاح، وسجد له إخوته وأبواه، وتحقّقت رؤياه كفلق الصّبح، الآن كلّ تلك المحن والمنح تتلاشى ولا تكاد تساوي شيئا في نظر يوسف عليه السّلام، وها هو الآن يطمح إلى شيءٍ آخر أعظم، ويتوجّه إلى الله متضرّعا: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي

مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 101]؛ كلُّ تلك المحن والمنح نُسِيَتْ أمام هذا الطُّموح الكبير، وهو أن يتوفّاه الله مسلمًا وَيُلْحِقَه بالصّالحين.

وفي نهاية السّورة نجد قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]؛ فلا يَعْتَبِرُ بمثل هذا القصص القرآني إلّا أولو العقول الرّاجحة، نسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا منهم.

التّفاعل مع القرآن عملا وتطبيقا

هذه هي الغاية من إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155]؛ لذلك نجد الصّحابة رضوان الله عليهم كانوا يتفاعلون مع هذا القرآن في هذا الجانب.

نماذج من التّفاعل العملي للصّحابة مع القرآن الكريم

النموذج الأوّل: لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 90-91]، هذه الآية التي فَصَلَ الله تبارك وتعالى فيها بتحريم الخمر، ومعلومٌ حبّ وعشق العرب للخمر وافتتناهم بها، فلمّا نزلت هذه الآية انتهى الأمر؛ الله قال وحكم، فمنهم من سمع هذه الآية والخمر في فيه فمَجَّها، والكلّ أراق ما كان بحوزته من

الخمر، وأصبحت شوارع المدينة المنوّرة وِديانا من الخمر[1]، وقالوا: انتهينا ربَّنا، انتهينا ربّنا[2]؛ تفاعل مباشر.

النموذج الثّاني: حينما نزلت آية تحويل القِبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وبلغ المسلمين ذلك، فتحوّلوا مباشرة، وهم في الصّلاة تفاعلًا مع أمر الله تعالى[3].

---

(1)- هذه إشارة إلى ما جاء عن أنس ﷺ، قال: "كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلّا الفَضِيخ: البسر والتمر، فإذا منادٍ ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت، فإذا مناد ينادي: أَلَا إنّ الخمر قد حُرِّمَتْ، قال: فجرت في سِكَكِ المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فَأَهْرِقْها، فهرقتها". رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، وبيان أنها تكون من عصير العنب، ومن التمر والبسر والزبيب، وغيرها مما يسكر، حديث رقم: 1980، 1570/3.

(2)- هذه إشارة إلى ما جاء عن عمر ﷺ من أنّه قال: "اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في البقرة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ**﴾[البقرة: 219]، فَدُعِيَ عمر فقُرِئت عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾[النساء: 43]، فدُعي عمر فقُرئت عليه، ثم قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ**﴾ **إلى قوله:** ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾**[المائدة: 91]**فدُعي عمر فقُرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا". رواه الترمذي في سننه، أبواب، باب، حديث رقم: 3049، 253/5. قال الترمذي: "وقد روي عن إسرائيل هذا الحديث مرسلا... وهذا أصحّ من حديث محمد بن يوسف".

(3)- هذه إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي يقول فيه: "بينما الناس في صلاة الصّبح بِقُبَاء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة". رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، حديث رقم: 526، 375/1.

النموذج الثّالث: لمّا نزلت آية الحجاب تفاعلت نساء المؤمنين مع هذه الآية مباشرة دون تواني[1].

النموذج الرّابع: لمّا نزلت هذه الآية من سورة البقرة التي يقول اله تبارك وتعالى فيها: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: 245]، تفاعل معها الصّحابة رضوان الله عليهم، وجاء أبو الدّحداح إلى النبي ﷺ، فقال له: "الله استقرضنا، وهو غنيٌّ عنّا؟" فقال له النبي ﷺ: «**إنه يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ**»، فقال له أبو الدّحداح: "يا رسول الله ناولني يدك"، فناوله النبي ﷺ يده، وقال له يا رسول الله: "إنّ لي حائطين؛ أحدهما بالسَّافلة والآخر بالعالية، قد جعلتهما في سبيل الله يا رسول الله"، فقال له النبي ﷺ: «**تَصَدَّقْ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا وَامْسِكْ الآخَرَ نَفَقَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ**»، فقال له أبو الدّحداح: "أُشهِدُك يا رسول الله أنِّي قد جعلت خيرهما في سبيل الله"؛ وكان هذا الحائط فيه ستُّ مائة نخلة، ثم بعد ذلك ذهب أبو الدّحداح إلى هذا الحائط الذي تصدَّق به في سبيل الله عز وجل، ووجد ورأى من بعيد زوجته وأولاده في هذا الحائط، وانشأ يقول لزوجته:

هَــدَاكِ رَبِّي سُــبُلَ الرَّشَـــادِ ** إِلَى سَبِـيلِ الْخَيْرِ وَالسَّـدَادِ
بينــِي مِـنَ الْحَـائِطِ بِالْـوِدَادِ ** فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَـادِ
أَقْرَضْــتُهُ اللَّهَ عَـلَى اعْتِمَـادِي ** بِالطَّـوْعِ لَا مَـنٍّ وَلَا ارْتِـدَادِ
إِلَّا رَجَـاءَ الضِّـعْفِ فِي الْمَعَـادِ ** فَــارْتَحِلِي بِالــنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ
وَالْبِـــرُّ لَا شَـــكَّ فَخَــيْرُ زَادِ ** قَــــدَّمَهُ الْمَــرْءُ إِلَى الْمَعَـــادِ

(1)- هذه إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي تقول فيه: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لما أنزل الله: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾[النور: 31]،شققن مروطهن فاختمرن بها". رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾[النور: 31]، حديث رقم: 4758، 109/6.

فماذا قالت له هذه المرأة الصالحة؟ لم تقل له: إنك قد أحوجتنا هذا البستان، أو إنَّك ما تركت لأهلك وولدك بعد موتك؟ وإنما قالت له هذه المرأة الصالحة: "ربح بيعك"، وأنشأت تقول:

بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ وَفَرَحْ ** مِثْلُكَ أَدَّى مَا عَلَيْهِ وَنَصَحْ
قَدْ مَتَّعَ اللَّهُ عِيَالِي وَمَنَحْ ** بِالْعَجْوَةِ السَّوْدَاءِ وَالزَّهْوِ الْبَلَحْ
وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَلَهُ مَا قَدْ كَدَحْ ** طُولَ اللَّيَالِي وَعَلَيْهِ مَا اجْتَرَحْ

ولَمّا سمع النبي ﷺ بصنيع أبي الدَّحداح وأمّ الدَّحداح قال ﷺ: **«كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ وَدَارٍ فَيَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ»**[1] في الجنة.

هكذا كان سلفنا الصّالحون يتفاعلون مع كتاب الله تعالى، سواء من حيث حفظه، أو قراءته وتلاوته، أو تدبُّره وفهمه، أو العمل به وتطبيقه، نسأل الله أن يوفِّقنا لِمَا فيه الخير، وأن يجعلنا إن شاء الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، كما نسأله أن يتقبّل منّا صلاتنا، وقيامنا، وكلَّ عمل خيرٍ وَبِرٍّ نتقرَّب به إلى الله سبحانه وتعالى، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

(1)- سبق تخريجه ص 15.

الرَّحمة في شهر الرَّحمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل منّا صلاتنا، وصيامنا، وقيامنا، بمزيد من الأجر، والمغفرة، والثَّواب، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، أمّا بعد:

نتحدّث اليوم إن شاء الله تعالى عن خُلق الرَّحمة، لا سيما ونحن في شهر الرَّحمة، يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: «**إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**»[1].

الله أرحم بعباده من الأمّ بولدها:

رحمة الله سبحانه وتعالى امتدَّت امتداد علمه سبحانه وتعالى حتّى وَسِعَت كلّ شيء، قال الله تعالى على لسان ملائكته في هذا الدّعاء الجميل: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:07]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

وقد جاء عن نبي الرّحمة ﷺ أنّه بعد غزوة من الغزوات أُتِيَ له بِسَبْيٍ، وكان ضمن هذا السَّبْيِ امرأة، وكانت كلّما رأت ولدا إلّا وَأَلْصَقَتْهُ في بطنها وأرضعته، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**أَتُرَوْنَ هذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟**»، فقال الصّحابة رضوان الله عليهم: لا،

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، حديث رقم: 1079، 758/2.

طالما أنّها تقدر ألّا تطرحه في النار، فهي لا تطرحه، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[1]، هذه هي رحمة الله سبحانه وتعالى.

ونجد الكثير من أسماء الله الحسنى مُشْتَقَّةٌ من الرّحمة، سواء كان هذا الاشتقاق معنًى أو مبنًى؛ فمن أسمائه سبحانه وتعالى: "الرّحيم"، و"الرّحمن" و"العفوّ"، و"الغفور"، و"الرؤوف" إلى غير ذلك من أسمائه سبحانه وتعالى؛ لذلك نجد الله عزّ وجلّ يقول في الحديث القدسي: «**إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»[2]؛ فهو سبحانه وتعالى خير من رحم، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118].

نبيُّ الرَّحمة يُريدها رحمة عامَّة:

ونبي الرّحمة ﷺ يريد لهذه الرَّحمة أن تشيع بين الناس، فإذا أراد هؤلاء النّاس أن تنزل عليهم رحمات الله فما عليهم إلّا أن ينشروا هذه الرحمة فيما بينهم، وأن يرحم بعضهم بعضا، فقال: ﷺ «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا**»، قالوا يا رسول الله: كلُّنا رحيم، فقال النبي: ﷺ «**إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ خَاصَّتَهَ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ**»[3]؛ رُبَّما رَقَّ أحدُنا لأولاده حين يراهم، أو هَشَّ وَبَشَّ لأصحابه حين يلقاهم،

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: 5999، 8/8.

(2)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول اله تعالى: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾، حديث رقم: 7404، 120/9. وهو ليس حديثا قدسيا، وإنما هو إخبار من النبي ﷺ عن الله تعالى قال فيه: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**».

(3)- رواه الحاكم في المستدرك، كتاب البرّ والصّلة، حديث رقم: 7310، 185/4. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه".

فهذا أمرٌ يشيع بين النّاس بكثرة، ولكن النبي ﷺ يبحث عن شيء آخر؛ يريد أن تكون هذه الرَّحمة شائعة بين الجميع.

لذلك نجد النبي ﷺ يقول: «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[1]، وفي رواية: «**وَمَنْ لَا يَغْفِرْ لَا يُغْفَرْ لَهُ**»[2]، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا يَرْحَمُهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[3]، هكذا يريدها النبي ﷺ أن تكون رحمة عامّة.

وهذه الرَّحمة تأتي بالتّرويض؛ فمثل ما يُرَوِّضُ الإنسان نفسه على سلوكيات كثيرة؛ فإنّه يستطيع أن يُرَوِّضَ نفسه على هذا الخُلق حتّى يصبح سَجِيَّةً له، وفي الحديث: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ**»[4].

غياب خلق الرّحمة دليل على فساد الفرد والمجتمع:

جاء عن النبي ﷺ أنّه قال: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[5] والعياذ بالله؛ فمن أحبّه الله، وأراد أن يُسعده في الدّنيا والآخرة أَلْهَمَهُ هذا الخُلق العظيم، وفي الحديث: «**إِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي**»[6]؛ فانتشار قسوة القلوب وَخُلُوِّها من الرّحمة

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: 2319، 1809/4.

(2)- هذا جزء من حديثٍ مستقل رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 19244، 565/31. ونص الحديث: «**مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ، وَمَنْ لَا يَغْفِرْ لَا يُغْفَرْ لَهُ**». قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "حديث صحيح دون قوله: «**وَمَنْ لَا يَغْفِرْ لَا يُغْفَرْ لَهُ**»، فهو حسن لغيره".

(3)- رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: 2497، 355/2.

(4)- رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، حديث رقم: 903، 545/1.

(5)- رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم: 4942، 298/7. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي:. إسناده حسن".

(6)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب منه، حديث رقم: 2411، 607/4. قال الترمذي: "حديث غريب".

دليل فسادٍ عريض وخطير قد فشا في المجتمع، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:16]؛ فقسوة القلوب في أيِّ مجتمعٍ أو أمّة من الأمم دليل على فُشُوِّ الفسوق فيه وانحرافه.

تخصيص ذوي الأرحام والضعفاء بأقساطٍ زائدة من الرَّحمة:

نحن قلنا: ينبغي أن تكون هذه الرّحمة عامّة، ولكن ينبغي أن تشمل هذه الرّحمة أوّل ما تشمل ذوي الأرحام، بل يجب أن نخصّهم بأقساطٍ زائدة منها؛ فالنبي ﷺ يقول: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَالرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ**»[1]؛ فالرَّحِمُ مشتقة من الرَّحمة في مبناها؛ فوجب أن تستقيم معها في معناها.

*وأوّل هؤلاء الأقارب الذين ينبغي أن نخصّهم بأقساطٍ زائدة من الرحمة هم الوالدان، لا سيما في مرحلة كِبَرِهِمَا، والله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24].

*أيضا من هؤلاء: الأولاد لا سيما في مرحلة الطُّفُولَةِ؛ فإنّهم نظرا لضعفهم في هذه المرحلة من الْعُمُرِ يحتاجون إلى أقساطٍ زائدة من الرَّحمة والعطف والحنان؛ فهذا النبي ﷺ قَبَّلَ ذات يومٍ الحسن بن عَلِيّ، وكان معه الأقرع بن حابس، فلمّا رأى الأقرع بن حابس -وهو رجل من أهل البادية- النبي ﷺ يُقَبِّلُهُ قال: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبيان؟ وقال: "إنّ لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا، فنظر إليه النبي ﷺ، ثمّ قال: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ**

(1)- رواه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم: 1924، 323/4. قال الترمذي: "هذاحديث حسن صحيح".

يُرْحَمُ»[1]، وفي رواية أخرى قال له: «**وَمَا أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ**»[2]؛ فهذا التّقبيل والمداعبة للأولاد هي من باب الرّحمة بهم.

وحينما كان ابنه إبراهيم يجود بنفسه ذرفت عينا النبي ﷺ بالدّموع، فرآه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقال له: "وأنت يا رسول الله؟!"، فقال له ﷺ: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**» ثمّ أَرْدَفَها بأُخرى، ثم قال: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[3].

*وبعد الرّحمة بالأصول وبالفروع يأتي ذوو الأرحام من الحواشي: الإخوة والأخوات، والأعمام والعمّات، والأخوال والخالات... إلخ، فقد جاء في الحديث: «**إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي قُطِعْتُ، يَا رَبِّ، إِنِّي أُسِيءَ إِلَيَّ، يَا رَبِّ، إِنِّي ظُلِمْتُ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ،، قَالَ: فَيُجِيبُهَا: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟**»[4].

*ومن النّاس الذين ينبغي علينا أن نخصَّهم بشيء زائد من الرّحمة الفقراء، والأرامل، والأيتام، وكبار السّنّ، والمرضى، فهؤلاء ينبغي أن نُشْعِرَهُمْ بأنّ هناك في المجتمع من يرحمهم، وَيَتَفَقَّدُ أحوالهم، ويسأل عنهم؛ فَنُشْعِرَهُمْ بأنّ هذه الدنيا لا زالت

---

(1)- رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: 5997، 7/8.

(2)- رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الحظر والإباحة، باب ذكر إباحة ملاعبة المرء ولده وولد ولده، حديث رقم: 5595، 408/12.قال محققه شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط البخاري".

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي: ﷺ «**إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**»، حديث رقم: 1303، 83/2.

(4)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 8975، 530/14. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "حديث صحيح".

بخير، وبذلك نعيد لهم الأمل في هذه الحياة، فهذا رجل جاء إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه، فقال له ﷺ: «**ارْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ يَلِنْ قَلْبُكَ وَتُدْرِكْ حَاجَتَكَ**»[1]، فيا من تُريد علاجًا لقسوة قلبك هذا هو الدّواء، وهذا هو الشّفاء كما وصفه لك المصطفى ﷺ.

شمول الرَّحمة حتَّى للحيوان الأَعْجَم:

هذه الرَّحمة ينبغي أَلّا يُحْرَمَ منها مخلوق؛ يعني أن تكون عامَّة، فتشمل حتّى الحيوان، فهذا رجل جاء إلى النبي ﷺ، قال له: إنّي إذا أردت أن أذبح الشاة أَرْحَمُهَا، فقال له النبي: ﷺ «**إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ**»[2]، ورحمة الشّاة لا تعني عدم ذبحها؛ فهذا أمرٌ أَحَلَّهُ الله، بل امْتَنَّ به علينا سبحانه وتعالى، ولكن تكون رحمة الشّاة بأن يُحِدَّ أحدُنا شفرته، فَيُرِيحُ بذلك ذبيحته[3].

وقد قَصَّ لنا النبي ﷺ قِصّة امرأة حبست هرّة، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فقال: ﷺ «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ** (بسبب هِرَّة) **رَبَطَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»[4].

---

(1)- رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: 10174، 195/13. وانظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني، حديث رقم: 80، 78/1.

(2)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 15592، 359/24. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده صحيح".

(3)- هذه إشارة إلى حديث: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» الذي رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، حديث رقم: 1955، 1548/3.

(4)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم: 2619، 2110/4.

وهذا رجل كما يروي لنا النبي ﷺ اشتدَّ به العطش، فوجد بئرا، فنزل إليه وشرب، وعند خروجه وجد كلبًا يلهث، ويأكل الثَّرى من شدّة العطش، فقال لابُدّ أنّه قد بلغ بهذا الكلب العطش ما بلغ مِنّي، فنزل وأخرج له الماء في خُفِّه، فَشَكَرَ اللهُ له، فغفر له، فقالوا يا رسول الله: وإنّ لنا في البهائم لأجرا؟ فقال: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»[1]، وفي الحديث الآخر: «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا**»[2].

فإذا كانت الرَّحمة بالكلاب تغفر ذنوب البغايا، فماذا عن رحمة الإنسان لأخيه الإنسان؟ إنها تصنع العجائب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لِما فيه الخير، وأن يُلهم قلوبنا الرّحمة، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث رقم: 2244، 1761/4.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث رقم: 2245، 1761/4.

رمضان شهر الكرم والجود والإنفاق في سبيل الله

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: أُحيّيكم بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السّلام؛ فالسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطّاعات والقُرُبات، كما نسأله جلّ في عُلاه أن يجعلني وإيّاكم من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

نتحدَّث إن شاء الله تبارك وتعالى في هذه العُجالة عن موضوع له صلة بشهر الصّيام؛ هذا الموضوع هو الكرم والجود والإنفاق في سبيل الله، وفي حقيقة الأمر أنّ المسلم يكون جوادا وينفق في سبيل الله حتّى في غير شهر رمضان، إلّا أنّه في شهر رمضان يُكثر من الإنفاق، ومن الصّدقات؛ لأمرين اثنين هما:

الأمر الأول: إنّ الغاية الْمَرْجُوَّة من الصّيام هي التّقوى، وهذا ما أفصح الله تبارك وتعالى عنه في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 183]، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم لنبحث عن أبرز صفات المتّقين، فإنّنا نجد الصِّفة الأبرز لهم هي الإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ، وإن شئتم اقرأوا معي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: 1-3]، واقرأوا معي كذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ... ﴾ [آل عمران: 133]؛ فالإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ هو صفة بارزة لعباد الله المتّقين.

الأمر الثاني: الاقتداء بالنبي ﷺ؛ فالنبي ﷺ كما قال عنه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "كان أجودَ النّاس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة حتى ينسلخ، وكان يعرض عليه القرآن كلّ ليلة، وكان أجود بالخير من الرّيح المرسلة"[1]؛ الرّيح المطلوقة، وهذا كناية على عدم توقف جريان الخير على يديه ﷺ.

دعوة الإسلام إلى الإنفاق في سبيل الله:

الله تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات يُثني على أولئك الذين لا ينقطعون عن الإنفاق في سبيله سرًّا وجهرا، في اللّيل وفي النّهار، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274]، اللهم اجعلنا منهم يا ربّ العالمين.

والإسلام لم يدع طريقًا من الطّرق التي تدفعنا إلى الإنفاق في سبيل لله عزّ وجلّ إلّا سلكها، ولم يدع أمرا من الأمور يُثْنِينَا عن الإنفاق في سبيل الله عز وجل إلّا وحذَّرنا منها، واسمع معي إلى هذا الحديث الذي رواه الإمام الترّمذي في سننه الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَسَخِيٌّ جَاهِلٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَخِيلٍ عَابِدٍ**»[2]؛ بعض النّاس تجده يكثر من العبادة ما شاء الله؛ تقول له قيام الليل، تجده هو الأوّل، تقول له عن صلاة الضُّحى،

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، حديث رقم: 1902، 26/3.

(2)- رواه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في السخاء، حديث رقم: 1961، 342/4.
قال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث، عن يحيى بن سعيد، إنما يُروى عن يحيى بن سعيد، عن عائشة شيء مرسل".

لا يتركها، تقول له عن قراءة القرآن الكريم، يختم كلّ ثلاثة أيّام، لكن تطلب منه صدقة لفقير أو مساهمة في مشروع خيري يقول لك: إلّا هذه؛ هذا إنسان عابد، ولكنّه بخيل، ولم يقل النبي ﷺ: بخيل عالِم، وإنّما قال: بخيل عابِد؛ لأنّ العالِم لا يُمكن أن يكون بخيلا؛ فهو يدرك كُنْهَ هذه الدّنيا، وعارِفٌ بحقيقتها في ميزان الله عزّ وجلّ؛ لذلك لا يمكن للعالِم أن يكون بخيلا؛ فالعابد هو الذي يمكن أن يُلَبِّسَ عليه الشَّيطان.

الإنفاق في سبيل الله سبب من أسباب المغفرة:

الإنفاق في سبيل الله عز وجل هو أحد أسباب مغفرة الله تبارك وتعالى، وَلَرُبَّمَا كان من الذّنوب ذنوبٌ لا تُكَفِّرُهَا إلّا الصّدقات، ولا تجد يوم القيامة إلّا صدقتك لتأخذ بيدك إلى مغفرة الله وجنّاته، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ . [البقرة: 271]، ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: 17-18].

ويذكر لنا النبي ﷺ كما جاء في صحيح ابن حِبَّان قصّة عابد من عُبّاد بني إسرائيل؛ هذا العابد عبد الله عزّ وجلّ ستّين سنة؛ ستون سنة وهو في صومعته منقطع لعبادة الله وحده، وفي فصل من الفصول أمطرت السّماء، واخْضَرَّت الأرض، فنظر مِنْ على صومعته فوجد الأرض قد اخضرّت، وقال: أنزل، فنزل، فإذا به يجد امرأةً، فراح يكلّمها وتكلّمه حتى زَنَا بها، وكان قد أنزل معه رغيفين من الخبز من فوق صومعتة، وبعد ذلك ذهب إلى غدير من الماء ليستحمّ، وهو يستحمّ في هذا الغدير مَرَّ عليه مسكين يسأله صدقة، فَأَوْمَأَ إليه أَنْ خُذْ هذين الرّغيفين، فأخذهما ذلك المسكين، وانصرف، وتوفِّيَ ذلك العابد، وجيء به يوم القيامة، وَوُضِعَتْ عبادة الستِّين سنة في كفَّة، وتلكم الزَّنْية في كفَّة، فرجحت تلكم الزَّنْيَةُ، وأدرك أنّه من أصحاب النار، والعياذ بالله، ثم بعد ذلك جيء

بذلكم الرّغيفين وَوُضِعا في كفَّة الحسنات، فرجحت الحسنات؛ فغفر الله له[1]؛ لذلك الإنسان لا يدري رُبَّمَا مبلغٌ من المال بسيط تنفقه في سبيل الله، وأنت تبتغي وجه الله عزّ وجلّ يكون -والله- سببا في نجاتك من النّار.

الإنفاق في سبيل الله هو التجارة الرّابحة:

رُبَّمَا يظنّ ظَانٌّ أنّ الإنفاق في سبيل الله يُنقص من المال، ولكنّ العكس هو الصّحيح؛ فقد وعدنا الله بِالْإِخْلَافِ على المنفقين، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: 39]، ويقول النبي ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ...** »[2].

ومع هذا الْإِخْلَافِ في الدّنيا فهي ذخرٌ لنا في الآخرة؛ ففي السُنة النّبوية نجد أنّ بيت النُّبُوَّة ذبحوا شاة ذات يوم، وتصدَّقوا بها كلَّها وما أبقوا إلّا الكتِف، فسأل النبي ﷺ عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: «**مَاذَا بَقِيَ مِنَ الشَّاةِ؟**» فقالت له: "يا رسول الله لم يبقَ منها إلّا كتفُها"، قال لها: «**بَقِيَ كُلُّهَا إِلَّا كَتِفَهَا**»[3].

وعلى الْمُتَصدّقِ أن ينظر إلى أولئك الفقراء، والمساكين، والأيتام، والأرامل نظرته إلى التّجارة الرّابحة؛ لو أنّ تاجرا من تُجّار الدّنيا قيل له: إنّ هناك تجارةً، الرّبح فيها مائة في المائة، وحينما نقول: الرّبح مائة في المائة، يعني ذلك أنّ المليون تربح من ورائه مليون، هل تظنّون أنّ تاجرا سيتخلّى عن هذه التجارة؟ تجد الكلّ يُهَرْوِلُ ويسارع، ونحن

---

(1)- قصة العابد: رواها ابن حبان في صحيحه، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر الخبر الدال على أن الحسنة الواحدة قد يرجى بها للمرء محو جنايات سلفت منه، حديث رقم: 378، 102/2.

(2)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، حديث رقم: 2325، 562/4. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

(3)- رواه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم: 2470، 644/6. قال الترمذي: "هذا حديث صحيح".

-والله- أعطانا الله تجارةً، لا تَتَصَوَّرُونَ نسبة الرِّبح فيها كم؟ هذه التّجارة التي أعطانا الله إيّاها هي تجارة في سُبُل الخير، ومع الفقراء والأرامل والأيتام، قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:261]، نحن قلنا: لَمّا المليون تربح من ورائه مليون؛ يعني نسبة الرِّبح مائة بالمائة، وهذه الحبَّة أنبتت سبعمائة حبَّة؛ فتكون نسبة الرِّبح هنا سبعين ألف في المائة، شيء لا يمكن تَصَوُّرُهُ، ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، ولكن بعدها ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ أَفْرِغْ مِنْ كَنْزِكَ وَعِنْدِي لَا حَرَقَ، وَلَا غَرَقَ، وَلَا سَرَقَ أُوفِيكَهُ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ**»[1]، قد يقول قائل: البنك مضمونة في حفظ الأموال، أنا أقول لكم: أتى على الناس زمان كانت البنك غير مضمونة، لو تذكرون بنك آل خليفة في التّسعينات من القرن الماضي، واشتهر هذا البنك بأنّه بنك منظَّم، ويتمتَّع بِخِدْمَاتٍ جيّدة، كثير من التجار أودعوا أموالهم في هذا البنك، وبعد مدّة قالوا لهم: إنّ البنك أفلس، وصاحبه قد هَرَبَ خارج البلد، ولكن عند الله سبحانه «**لَا حَرَقَ، وَلَا غَرَقَ، وَلَا سَرَقَ أُوفِيكَهُ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ**»؛ ورأينا قصّة العابد، كان في ظروف صعبة؛ من أهل النّار، ولكن ذينك الرَّغيفان كانا سببا في نجاته.

ولذلك كان الصّحابة رضوان الله عليهم يسارعون إلى الإنفاق، ويتفاعلون مع القرآن الكريم في هذا المجال، أحيانا الإنسان يطرح هذا السّؤال على نفسه، فيقول: هل نحن مؤمنون أم غير مؤمنين؟ تجارةٌ الرِّبح فيها سبعون ألف في المائة، ونحن معرضون،

---

(1)- رواه البيهقي في شعب الإيمان، كتاب الزكاة، باب التحريض عل صدقة التّطوع، حديث رقم: 3071، 45/5. إلّا أنّه جاء فيه: «**أَوْدِعْ**» بدل أفرغ. قال البيهقي: "هذا مرسل". وذكره ابن المنذر في الترغيب والترهيب، حديث رقم: 1292، 10/2.بلفظ: «**أَفْرِغْ**»، وقال: "رواه الطبراني والبيهقي... ".

وتعترضنا أبواب الخير ونحن متخلّون، أبو الدَّحداح ﷺ لَمّا نزلت هذه الآية من سورة البقرة: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[البقرة: 245]، جاء إلى رسول الله ﷺ، وقال له: "يا رسول الله ناولني يدك"؛ اعطني يدك يا رسول الله، فناوله النبي ﷺ يده، ووضع يده الشّريفة في يد أبي الدحداح ﷺ، وقال له: "يا رسول الله، "الله استقرضنا، وهو غني عنا؟" فقال له النبي ﷺ: «**إنه يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمُ بِذَلِكَ الْجُنَّةَ**»، فقال له: "يا رسول الله إنّ لي حائطين (بستانين) قد جعلتهما في سبيل الله يا رسول الله"، فقال له النبي ﷺ: «**تَصَدَّقْ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا وَامْسِكُ الآخَرَ نَفَقَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ**»، فقال له أبو الدَّحداح: "قد جعلت خيرهما في سبيل الله"، وكان الحائط فيه سِتُّ مائة نخلة، ذهب أبو الدّحداح الى هذا الحائط الذي تصدَّق به، وإذا به فيه زوجته وَعِيَالُهُ، فناداها من بعيد، فقال:

هَـدَاكِ رَبِّي سُـبُلَ الرَّشَـادِ ** إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالسَّدَادِ
بينـي مِـنَ الْحَـائِطِ بِالْـوِدَادِ ** فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَادِ
أَقْرَضْـتُهُ اللَّهَ عَـلَى اعْتِمَـادِي ** بِالطَّـوْعِ لَا مَـنٍّ وَلَا ارْتِـدَادِ
إِلَّا رَجَاءَ الضِّعْفِ فِي الْمَعَادِ ** فَـارْتَحِلِي بِالـنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ
وَالْبِـرُّ لَا شَـكَّ فَخَـيْرُ زَادِ ** قَـدَّمَهُ الْمَـرْءُ إِلَى الْمَعَـادِ

فلمّا سمعت هذه المرأة الصَّالحة امُّ الدَّحداح ما قاله زوجها، ماذا قالت له؟ لم تقل له راك حَوَّجتْنَا، أو ماذا تركت لأولادك من بعدك؟ قالت له: "ربح بيعك" ربحت هذه التجارة التي تُتاجرها مع الله سبحانه، ثم أنشأت تقول:

بَشَّـرَكَ اللَّهُ بِخَـيْرٍ وَفَـرَحْ ** مِثْلُـكَ أَدَّى مَـا عَلَيْـهِ وَنَصَـحْ
قَـدْ مَتَّـعَ اللَّهُ عِيَـالِي وَمَـنَحْ ** بِالْعَجْوَةِ السَّوْدَاءِ وَالزَّهْوِ الْبَلَحْ
وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَلَهُ مَا قَدْ كَدَحْ ** طُولَ اللَّيَالِي وَعَلَيْـهِ مَـا اجْتَرَحْ

ولَمّا سمع النبي ﷺ بصنيع أبي الدَّحداح وأمّ الدَّحداح قال ﷺ: **«كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ وَدَارٍ فَيَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ»**[1] في الجنة، هكذا كان الصّحابة رضوان الله عليهم يتفاعلون مع القرآن الكريم، وينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله عزّ وجلّ.

النبي ﷺ كان يُعلن حالة الطوارئ عند رؤيته لمظاهر الفقر في المجتمع:

يروي لنا جرير بن عبد الله البَجِلّي، فيقول: جاء إلى النبي ﷺ أُناس حفاةً عراةً مشقوقي النِّمَارِ (ثيابهم مُمَزَّقَة)، كان أغلبهم من مُضَر أو كلُّهم من قبيلة مُضَر، فلمّا رأى النبي ﷺ هذا المظهر تَمَعَّرَ وجهه (تغيَّر وجهُه)، ودخل ثم خرج (يعني إنسان قَلِق)، ثم أمر بلالًا بأن يؤذِّن، فأذَّن بلال، وأمره بأن يقيم الصّلاة، فصلّى بالناس ﷺ، ثم خطبهم قائلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 01]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: 18]، ثم قال لهم: **«لِيَتَصَدَّقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ ثِيَابِهِ، وَمِنْ دِرْهَمِهِ، وَمِنْ صَاعِ بُرِّهِ، وَمِنْ صَاعِ شَعِيرِهِ، وَمِنْ صَاعِ تَمْرِهِ** -حتّى قال-: **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»**، فقال عبد الله: "حتّى رأيت رجلًا من الأنصار قادم، وهو يحمل صُرَّة تكاد يداه أن تعجزا عن حملها، بل لقد عجزت، ثم تَتَابَع النّاس، قال: حتّى تَجَمَّعَ كومان؛ كومٌ من طعام، وكومٌ من ثياب، ثم قال: حتّى رأيت النبي ﷺ قد أصبح وجهه وكأنه مُذْهَبَةٌ (تهلَّل وجه النبي ﷺ، وَسُرَّ بهذا المظهر؛ مظهر التّكافل بين أفراد المجتمع) ثم قال بعد ذلك: **«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ**

(1)- سبق تخريجه ص 15.

أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

وفي هذا الحديث يخبرنا النبي ﷺ عن حال ابن آدم مع المال، فيقول: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**»[2]؛ تجد الواحد يملك الملايير الْمُمَلْيَرَة تسأله صدقة لفقير أو مسكين فَيُعْرِضُ عنك، كم ستأكل؟ وكم ستلبس من هذه الملايير؟ الذي أكلته أو لبسته هذا هو مالك، أو الذي أعطيته في سبيل الله، هذا كذلك مالك، وستجده يوم القيامة عند الله عزّ وجلّ، وما سِوى ذلك فأنت مجرّد حارس عليه لورثتك من بعدك.

خير الصّدقة:

وسئل النبي ﷺ عن خير الصَّدقة، فقال: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ**»[3]، هذه هي خير الصّدقة؛ تَتَصَدَّق ومازال عندك مَطْمَعٌ وَأَمَلٌ في الدّنيا، أمّا إذا حضرت الموت انتهى الأمر.

بادروا وأنفقوا وتصدّقوا خاصّة في هذه الأيّام العِجاف؛ هناك من إخوانكم في هذه الأيّام التي عَمَّ فيها الغلاء، وانتشر فيها الفقر؛ أصبح غلاءً أكثر من فاحش؛ لا تستطيع أن تصف الغلاء الذي وصلنا إليه هذه الأيّام، إذا كان الْمُوَظَّفُ يشكو من قهر

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، حديث رقم: 1017، 704/2.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرّقائق، حديث رقم: 2959، 2273/4.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فصل صدقة الشّحيح الصّحيح، حديث رقم: 1419، 110/2.

هذا الغلاء، ويقول ليس عندي ما أصرف، وليس لي ما أشتري به ملابس العيد لأولادي، تأتينا مكالمات هاتفيّة من كثيرٍ من النّاس، يقول لك: والله ما عندي شيء، فإذا كان العامل والموظّف هذه حالُه، فما بالك بإنسان ليس له أيُّ دخل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا لأن نرحمهم؛ حتى تنزل علينا رحمة الله عزّ وجلّ.

وهذا التراحم وهذا الإيثار نجده حتّى في الجاهلية، والناس تختلف؛ يوجد أُناس أنانيّون، لا يحبّون إلّا أنفسهم، وأُناس يبذلون؛ فهذا عُرْوَة بن الْوَرْدِ شاعر جاهلي، رآه احد النّاس شاحب الوجه هزيلا، فهزئ منه، فقال له:

إِنِّي امْـرُؤٌ عَـافِي إِنَائِيَ شِرْكَـةٌ ** وأنـتَ امْـرُؤٌ عَافِـي إِنَاؤُكَ وَاحِـدُ

أَتَهْزَأُ مِنِّي إِنْ سَمِـنْـتَ وَأَنْ ** تَرَى بِوَجْهِي شُحُوْبَ الحَقِّ وَالحقُّ جَاهِدُ[1]

أُفَرِّقُ جِسْمِي فِي جُسُوْمٍ كَثِيْرَةٍ ** وَأَحْسُـو قَـرَاحَ الْمَـاءِ وَالْمَـاءُ بَارِدُ[2]

لعلّي قد أطلت عليكم، اللّهمّ وفِّقنا لِما فيه الخير، اللهم تقبّل منّا يا رب العالمين، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، اللّهمّ اجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم يا ربّ العالمين، اللهم آمين آمين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1)- أنا لا آكل وحدي، وإنما يُشاركني في إنائي أُناسٌ آخرون يأكلون معي؛ ولذلك هزلت، وأنت أناني تأكل لوحدك؛ ولذلك سمنت.

(2)- أي أنا جسمي ليس ملكا لي وحدي، وإنما هو مُفَرَّقٌ بين الناس أُعينهم في النوائب، وأشرب الماء القَراح؛ أي الماء البارد الذي لم يُطبخ فيه أيُّ طعام، وأنت تطبخ فيه الطعام متناسيا من حولك من الجياع.

الدّروس اللّيلية وهي على جزءين:

الجزء الأوّل: دروس في تفسير آيات الصّيام.

الجزء الثّاني: دروس وعظيّة إرشاديّة.

تفسير آيات الصيام

الدرس الأوّل في تفسير آيات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله وأصحابه الطّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا صلاتنا، وصيامنا، وقيامنا، بمزيد من الأجر والمغفرة والثواب؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

إن شاء الله تبارك وتعالى سَنَتَطَرَّقُ من خلال هذه الدّروس الرَّمضانية اللّيلية لتفسير آيات الصّيام التي ورد ذكرها في سورة البقرة، يقول الله تبارك وتعالى -بعد أن أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، بسم الله الرحمن الرحيم-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ

وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾.

*بَيَّنَ الله تبارك وتعالى في هذه الآيات المباركات بعضًا من أحكام الصيام، وقد افتتحها الله جلّ وَعَلَا بهذا النّداء الحبيب؛ وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، هذا النداء الذي خاطب الله تبارك وتعالى فيه عباده المؤمنين بأحبِّ صفة لديهم ولديه سبحانه وتعالى؛ ألَا وهي صفة الإيمان؛ لذلك فإننا نجد الصّحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أتاه رجلٌ وقال له: أوصني، فقال: "إذا سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، فَأَصْغِ لها سمعك؛ فإنه خيرٌ تُؤمر به، أو شرٌّ تُصرف عنه"[1].

*﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾، وكُتِبَ بمعنى فُرِضَ، وهذه الصّيغة تَتَكَرَّرُ في القرآن الكريم، فنجدها مثلا في قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾[البقرة: 216]؛ أي فرض عليكم الجهاد، وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾[البقرة: 178]، وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[الأنعام: 54]؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى أوجب على نفسه الرَّحمة لعباده المؤمنين.

*﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾؛ يا أُمّة محمّد صلى الله عليه وسلم قد فُرِضَ عليكم الصّيام، وَلَرُبَّمَا رأيتم إلى هذا الصّيام أنّه حرمان لكم من الأكل، ومن الشّراب، ومن الشّهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، وَلَرُبَّمَا شَقَّ

---

(1)- رواه سعيد بن منصور في التفسير، حديث رقم: 50، 211/1. قال محقّقه سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد: "سنده ضعيف".

الأمر عليكم، فأنتم لستم بِدْعًا في ذلك، فقد فرضه الله كذلك على الأمم التي سبقتكم ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ .

والمفسرون هنا اختلفوا في كيفية فرضيّة الصّيام على الأمم السّابقة؛ فمن قائل أنّه شهر رمضان كأمّة محمّد ﷺ، ومن قائل أنه كان صياما آخر، وأيّاما أخرى غير شهر رمضان، قولان في ذلك للمفسِّرين.

*﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾؛ هذه الفريضة مقرونة بحكمتها: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ ، وَ"لَعَلَّ" في القرآن الكريم ليست كـ"لَعَلَّ" التي نتكلَّم بها نحن البشر؛ فأنا أقول لك: اذهب إلى ذلك الدُّكَّان لعلّك تجد فيه ما تبحث عنه من بضاعة، فقد تجد تلك البضاعة وقد لا تجدها، ولكنّ الله سبحانه وتعالى حينما يقول في كتابه كريم: ﴿لَعَلَّكُمۡ ﴾ ؛ فإنّها على وجه اليقين، خذوا هذه الآية مثلا ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: 31]؛ فإذا ما تُبْتَ أَيُّها المؤمن، ورجعت إلى الله سبحانه وتعالى بِصِدْقٍ؛ فإنك يقينا ستكون من المفلحين الفائزين، وكذلك هنا إذا ما قمت بهذه الفريضة فَصُمْتَ هذا الشّهر كما أراد الله، وَرَاعَيْتَ حقوقه فكُنْ على يقين أنّك ستكون في النّهاية بإذن الله عز وجل من المتّقين.

وَلْيُسَائِلْ كلُّ واحد منّا نفسه الآن: هل أنا الآن بنفس الرُّوحَانِيَاتِ والإيمانيات التي كنت عليها قبل يومين أو ثلاثة من قبل شهر رمضان؟ كلّا، الآن الإيمان في ازدياد، والرُّوح في ارتقاء في درجات الصّفاء، نحن الآن تَلَقَيْنا ثلاث جُرْعَاتٍ[1] من هذا الشّهر

(1)- كُنّا يومها في اليوم الثّالث من شهر رمضان.

الكريم، وكلّما تلقينا جرعة من هذه الجرعات فإننا سنزداد إيمانا، وسنزداد تقوًى لله تبارك وتعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

والتقوى كما يُعَرِّفُها أحدُ العارفين بالله عزّ وجلّ، فيقول: "التقوى: هي أن تعمل بطاعة الله، على نورٍ من الله، ترجو ثواب، وأن تجتنب معصية الله، على نورٍ من الله مخافة عذاب الله"[1].

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يسأل أُبَيَّ بن كعب ﷺ، فقال له: ما التقوى يا أُبَيّ؟ فقال له: أَمَا سَلَكْتَ طريقا ذا أشواك؟ قال: بلى، قال: فما عَمِلْتَ؟ قال له شَمَّرْتُ واجتهدت (يعني رفعت ثيابي، واجتهدت حتّى لا يصيبني أيُّ شوك أو أذًى)، فقال له أُبَيّ بن كعب: فذلك التقوى[2]؛ فالتقوى اجتهاد؛ أن تَجْتَهِدَ أيّها المسلم في ألَّا تقع في معصيّة الله عزّ وجلّ، وأن تجتهد كذلك في أن تَتَقَرَّبَ إلى الله سبحانه وتعالى بكلّ ما يمكن من طاعات، ومن قُرُبَات.

وَيُرْوَى عن علي ﷺ -وأختم بهذه- قوله: "التقوى: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرِّضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"[3]، فهو بهذا يضع الأسس والمرتكزات التي تقوم عليه التّقوى.

وإن شاء الله ستكون لنا مع هذه الآيات وقفات، وتأمُّلات من خلال هذه الدّروس اللّيلية، وَسَنَتَعَرَّضُ إن شاء الله من خلالها لكثير من أحكام الصِّيام، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا إلّا بالله العلي العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(1)- هذه المقولة للتّابعي طلق بن حبيب. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، 99/1.

(2)- ينظر في أثر عمر وأُبَيّ رضي الله عنهما: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 164/1. وقد قال ابن كثير: "وقد قيل: أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل أبي بن كعب عن التقوى... إلخ".

(3)- أثر علي ﷺ ذكره الجنكي الشنقيطي في كتابه كوثر المعاني دون سند، 402/1.

الدّرس الثاني في تفسير آيات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّا ومنكم الصيام، والقيام، وسائر الطاعات، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا بمنّه وكرمه من عُتقاء هذا الشهر الكريم.

كنّا في الدرس السّابق قد تعرّضنا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ .

*قوله تعالى: ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾؛ أي أنّ هذا الشّهر الكريم هو أيّام معدودة، وإذا ما قَارَنَّاه بأيّام السّنة وبشهورها، فإنّه لا يساوي إلّا واحدً على اثْنَيْ عشر؛ فهو قليلٌ، وقليلٌ جدّا.

*ثم بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ ففي هذه الآية المباركة ذكر لبعض أصحاب الأعذار؛ كالمسافر، والمريض، وإن كنّا سنتعرَّض لحكم هذين: المسافر، والمريض في قابل الأيّام إن شاء الله تبارك وتعالى؛ لأنّ الآيات ستتعرَّض لذكرهما ثانية، ولكن الذي نريد أن نتحدّث فيه في هذه العُجالة إن شاء الله تبارك وتعالى هو: أنّ الصّيام شرعه الله تبارك وتعالى على مرحلتين؛ فمن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين أنّه يَتَدَرَّجُ بهم في تشريعاته، فكان من شاء أن يُفطر ويفتدي، فله ذلك، ومن شاء أن يصوم، فله ذلك إلّا أنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ .

وهذا ما دلَّ عليه ما جاء في الصّحيحين عن سَلَمَةَ بن الأكوع ﷺ قال: "كان لَمّا نزلت ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾، كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى حتّى نزلت الآية التي بعدها فنسختها"[1]، وفي روايةٍ لمسلم: "حتى نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾، فنسختها"[2]، هكذا كان تشريع الصّيام في البداية؛ كان المسلمون مخيَّرين بين أن يصوموا أو أن يفتدوا، ثم بعد ذلك جاءت الآية التي بعدها ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾؛ فكان الصّيام واجبا على كلّ من كان حاضرا غيرَ مسافر، وصحيحا غير مريض، ولا تجزئ الفِدية بعد ذلك.

وهكذا هي سُنّةُ الله تبارك وتعالى في التدرُّج في تشريع الأحكام؛ فقد جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قولها: "إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل، فيها ذكر الجنّة والنّار، حتّى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزّنا أبدا"[3]؛ فتحريم الخمر مثلا مرّ بعدّة مراحل؛ ففي المرحلة الأولى ذَمَّ الله الخمر -مجرّد ذمّ- في كتابه الكريم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: 67]؛ يعني ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾، هذا ذمّ، ﴿وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾؛ عبارة عن مدح، ثم بعد ذلك أُنزلت هذه الآية الكريمة:

---

(1)- سبق تخريجه ص118.

(2)- سبق تخريجه ص118.

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم: 4993، 185/6.

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾ [البقرة: 219]؛ فهذا ذَمٌّ للخمر، ولكنّ الله سبحانه وتعالى لم يصرّح باجتنابها وتحريمها، ثم بعد ذلك بدأ التضييق عليهم في دائرة السُّكر، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: 43]؛ فكان المحرَّم هو إتيان الصّلاة وهم على سُكْرٍ، وهذا تضييق على الخمر، حتى احتاروا في أمرها، أهي حلال أم حرام؟ فكانوا يدعون الله تبارك وتعالى أن ينزل عليهم في الخمر أمرا شافيا[1]، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: 90-91]، حينها أدركوا أنّ الله سبحانه وتعالى قد حرَّم الخمر، عندها قالوا: انتهينا ربنا، انتهينا ربنا، انتهينا ربنا.

وهنا أُريد أن أُشير لِمَا يرِدِّده بعض من يُسَمَّوْن بِالتَّنْوِيرِيِين[2] يقولون: الآية لم تحرِّم الخمر، قالت: فاجتنبوه فقط، ولم تقل: الخمر حرام، والآن نسمع كثيرا من النّاعقين يُرَدِّدون هذا الكلام، ويقولون بأنّ الخمر ليست بحرام استنادا لِمَا قاله هؤلاء، ولكن نقول: ما تقولون في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: 30]؟ هل معنى ذلك أنّ عبادة الأوثان حلال؟ ومعلومٌ أنّ

---

(1)- الذي دعا بذلك هو عمر بن الخطاب ﷺ كما في مسند أحمد، حديث رقم: 378، 442/1. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده صحيح".

(2)- ذكرت لفظ "التَّنْوِيرِيِين" من باب المجاراة لِمَا هو سائد فقط، وإلّا فإنّ تسميتهم بهذا الاسم كتسمية الخمر أو الفاحشة بغير اسميهما.

ذلك أكبر الكبائر؛ فظهر أنّ التعبير بالاجتناب أشدُّ في التّحريم؛ فتكون الخمر ليست محرَّمة فحسب، وإنما هي من كبائر الذّنوب.

أعود فأقول: إنّ تشريع الصّيام مرَّ على مرحلتين؛ المرحلة الأولى كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى.

والمرحلة الثّانية هي مرحلة الإلزام بالصّيام، ثمّ إنّ مرحلة الإلزام هذه كانت قد مرّت على رُتْبَتَيْنِ هما:

الرُّتبة الأولى: كان فيها شيءٌ من الشِّدَّة على المسلمين؛ بحيث أنّ الصّائم إذا جاء عليه وقت الإفطار، ونام قبل أن يتناول أيَّ شيء، فإنّه يحرُم عليه الأكل والشّرب وسائر المفطرات في ليلته تلك حتى مغرب الغد، كان الحكم هكذا، والذي دلَّ على ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن البراء بن عازب ﵁ قال: "كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الواحد منهم صائما فحضر الإفطار، ولم يتناول شيئا حتى نام، فإنّه لا يأكل شيئا في ليلته تلك، ولا في يومه حتّى يمسي، وإنّ قيس بن صِرْمَة الأنصاريّ كان يعمل وأتَى إلى زوجته عند الإفطار، وطلب منها أن تُحْضِرَ له طعاما، فقالت له: ما نجد شيئا، سأذهب وأطلب لك طعاما، فعندما جاءت بالطّعام وجدته قد غلبته عيناه، فنام، فقالت: "له خَيْبَةً لك"، ثمّ بعد ذلك غُشِيَ عليه من اليوم الموالي، فنزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [1].

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول الله جلّ ذكره: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾، حديث رقم: 1915، 28/3.

وَرُوِيَ كذلك عن عمر بن الخطاب وكعب بن مالك رضي الله عنهما أنهما أصابا من زوجتيهما وذهبا إلى النبي ﷺ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية :﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ... ﴾[1].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لما فيه الخير، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، نشهد أن لا اله إلّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، **﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾**.

---

(1)- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 511/1.

الدّرس الثّالث في تفسير آيات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصلاة، والصّيام، والقيام، وسائر القُرُبات والطّاعات، كما نسأله تبارك وتعالى أن يجعلنا إن شاء الله من عُتقاء هذا الشّهر الكريم.

كُنّا في الدّرس الماضي قد تحدّثنا عن مراحل تشريع الصّيام، واليوم إن شاء الله تبارك وتعالى نتحدَّث من خلال هذه الآيات عن حكم الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصّيام، وحكم المريض، والمسافر كما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾.

نحن قلنا من قبل أنّ هذه الآية منسوخة كما جاء عن سلمة بن الأكوع في الصّحيحين: "أنه كان من شاء صام، ومن شاء أفطر، وافتدى، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها"، غيرَ أنّ الإمام البخاري في صحيحه روى عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال: "إنّ هذه الآية ليست منسوخة، وإنما هي في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيفطران ويفديان"[1]، هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجمهور الفقهاء قد ذهبوا إلى ما ذهب إليه ابن عبّاس، وقالوا: بأنّ من

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**﴾، حديث رقم: 4505، 25/6.

لا يستطيع الصّيام نظرا لشيخوخته، فهؤلاء تكون هذه الآية تتحدَّث عنهم ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾؛ فتجب عليهم الفِدية بَدَلَ الصّيام.

غيرَ أنّ الإمام مالك رضي الله تعالى عنه ذهب إلى أنّ هذه الآية منسوخة، ودليل مالك حديث سَلَمَةَ بن الأكوع الذي ذكرناه آنفا من أنه: "كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها"، والآية التي بعدها كما جاء مُصَرَّحا بها في صحيح مسلم: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾، وبالتّالي فإنّ الإمام مالك عليه رحمة الله لا توجد في أصل مذهبه الفِدية على الشّيخ الكبير والمرأة الكبيرة، وإنّما ذهب المالكيّة إلى استحباب الفِدية في حقّهما مراعاةً للخلاف فقط.

ويبدو أنّ ما ذهب إليه الإمام مالك عليه رحمة الله هو الرَّاجح، لأنّه مُؤَيّدٌ بالأثر وبالنّظر؛ أمّا الأثر فحديث سَلَمَةَ بن الأكوع، وأمّا النّظر؛ فإنّنا نقول: إذا أوجبنا على الشيخ الكبير الهرِمِ الفِدية، وهو قد كبُرَ وَطَعَنَ في السِّنّ، فمن أين يأتي بهذه الفِدية إذا كان هو نفسه عالة على غيره؟ وبالتّالي فإنّنا نقول: لا صوم عليه ولا فِدية.

*ثم بعد ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾؛ هنا الحديث عن أهمّ ما فَضَّلَ الله به شهر رمضان؛ أَلَا وهو نزول القرآن فيه، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾.

هذا القرآن هو كلمة الله الأخيرة لِبَنِي البشر، وهو الهداية السّماوية الوحيدة الموجودة الآن من غير تحريف، أمّا باقي الكتُب الأخرى فإنّها قد حُرِّفت؛ ولذلك فالهدى كلُّ الهدى في القرآن الكريم؛ فالذي يقرأ هذا القرآن بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ فإنّه بإذن الله سبحانه وتعالى سيهتدي إلى أقومِ طريق؛ ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ ، ولم يقل: هدى للمؤمنين أو هدى للمسلمين، لا، هو ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ ؛

لجميع الناس؛ حتى أولئك الملحدين، والمشركين، والنّصارى؛ فالذي يقرأ هذا القرآن بتدبُّر وتمعُّن، ويحاول أن يفهم ما جاء فيه؛ فإنّه في النّهاية سيهتدي إلى الحقّ.

وأذكر لكم ما حدث لأحد النّصارى في مصر، وكان دكتورا مختصًّا في "اللّاهوت"، وكان حينما يُناقش الرّسائل العِلميّة للطّلبة، فإنّه يُخرِج من كلِّ رسالة ألفَ خطأ لِمَا أعطاه الله تبارك وتعالى من دِقَّة الملاحظة، ومن نقدٍ بصير، حتى عُرِف بذلك، فسمع به البابا شنودة، انتم تعرفون البابا شنودة، هو متوفّي الآن، كان هو رئيس الكنيسة القبطية في مصر، فَانْتَدَبَهُ، وقال له: أنت عُرِفْت بكثرة النَّقد وكثرة التمحيص، أنا أوكل إليك مهمَّة؛ وهذه المهمَّة هي أن تقرأ القرآن وتخرج لنا ما فيه من أخطاء، وبالفعل فرَّغ نفسه لذلك، وكانوا قد أغروه بالمال.

وبدأ يقرأ القرآن الكريم وَيُسَجِّل ما يَتَوَهَّمُهُ أنّه خطأ أو تناقض، لكنّه بعد ما يقرأ صفحة أو صفحتين أو سورة أو سورتين يجد الجواب عن ذلك الخطأ الذي سجَّله، فيشطبه، وهكذا بقي يقرأ القرآن الكريم حتى وصل إلى سورة الجنّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، فلمّا وصل إلى هذه السّورة الكريمة المباركة قال: أشهد أن لا اله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّدا رسول الله، كان يريد الطّعن في القرآن، ولكن لَمّا كانت قراءته قراءة فاحصة اهتدى إلى الحقّ، وهذه الحادثة ليست ببعيدة عنّا؛ فالبابا شنودة توفي في التسعينات على ما اعتقد أو بعد[1]، فصدق الله حين قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ .

نكمل إن شاء الله تبارك وتعالى في قابل الأيام، كنت أظنّ أنّنا سنتحدث عن المريض، وعن المسافر، ولكن أخذنا الكلام عن هداية القرآن؛ ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

(1)- بل توفّي بتاريخ: 17 مارس 2012م.

وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: 123-126]، سبحانك اللّهمّ وبحمدك نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.

الدّرس الرابع في تفسير آيات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم الله وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّيام، والقيام، وسائر الطاعات والقُرُبات، كما نسأله جلّ في علاه أن يجعلنا وإيّاكم من عُتقاء هذا الشّهر الكريم؛ إنه وليٌّ ذلك والقادر وعليه.

كنّا قد توقّفنا عند قول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ ، ثم يقول الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾؛ أي من كان عند قدوم شهر رمضان حاضرا شاهدا، غيرَ مسافرٍ، ولا مريضٍ فعليه أن يصوم شهر رمضان ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾.

*ثم يقول الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾؛ هنا يتحدَّث الله تبارك وتعالى عن أصحاب الأعذار، وتحديدا عن المريض، والمسافر في شهر رمضان.

وللمرض ثلاثة أحوال:

الحال الأوّل: مرضٌ يخشى الصّائم فيه على نفسه الهلاك إن هو صام، وهنا يجب عليه الفطر قَوْلًا واحدا.

الحال الثاني: مرضٌ لا يرقى لأن يخشى فيه الصّائم على نفسه الهلاك، وإنّما يجد في الصّوم مشقَّة وَعَنَتًا، فهذا يجوز له الفطر، ولا يصوم إلّا جاهلٌ كما قال الإمام القرطبي في تفسيره.

الحال الثالث: مرضٌ يكون الصّوم فيه سببا لزيادته أو لِتَأَخُّرِ الشّفاء منه؛ بمعني أنّه إن صام، فإنّه بدل من أن يُشْفَى في أسبوع مثلا، فإنه يتأخّر هذا الشّفاء إلى أسبوعين أو عشرة أيّام، وقد لخَّص النّاظم هذه الأحوال في قوله:

كَذَا مَرِيضٌ شَقَّ عَنْهُ الصَّوْمُ أَوْاخِرَ الشِّفَا أَوْ زَادَ السُّقْــمُ

لكن السّؤال الذي يطرح نفسه: كيف يعلم المريض أنّه إن صام يتأخّر شفاؤه، أو يزداد مرضه؟

يعلم المريض ذلك بثلاثة أمور هي:

أوّلها: تجربته الشّخصية؛ يكون هو قد جرَّب من قبل وصام، وتأخّر شفاؤه، أو زاد مرضه، هذه واحدة.

ثانيها: أن يخبره شخصٌ آخر مماثل له في حاله، ويقول له: أنا كنت مريضا مثلك فازداد مرضي أو تأخّر شِفائي بسبب الصّوم.

ثالثها: الطّبيب المختصّ الحاذق في طِبّه، الثِّقة في دينه، فيخبره بأنّه إن صام يتأخّر شفاؤه، أو يزداد مرضه، فإذا أخبره الطبيب بذلك فإنه يجوز له الفطر، ولا حرج، هذا بالنسبة للمريض.

*﴿**أَوْ عَلَى سَفَرٍ**﴾، وهذا نصٌّ في أنّ المسافر يُشْرَع لهم الفطر في السّفر.

ومن الأحاديث التي دلّت على ذلك:

1- ما جاء في الصّحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أنّ النبي ﷺ خرج في رمضان إلى مكّة، فلمّا بلغ الكَدِيدَ أفطر، وأفطر الناس"، والكديد كما قال أبو عبد الله

هو مكان بين عُسْفَان والقُدَيْد[1]، لَمّا بلغ النبي ﷺ هذا المكان أفطر، وأفطر معه المسلمون.

2- ما جاء عن أنس ﵁ في صحيح مسلم: "كنّا نسافر مع النبي ﷺ منّا المفطر، ومنّا الصّائم، فما يعيب المفطر على الصّائم، وما يعيب الصّائم منّا على المفطر"[2].

وَدَلَّ على شرعية الفِطر للمسافر كذلك الإجماع؛ فقد أجمعت الأمّة الإسلامية بجميع مذاهبها وطوائفها على شرعيّة الفطر للمسافر في رمضان؛ حتى إنّ شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله قال: الذي ينكر شرعية الفطر للمسافر في رمضان يُسْتَتَاب، فإن تاب فبها، وإن لم يتب حُكِمَ بِرِدَّتِه.

لكن فقهاءنا وضعوا شروطا يجب توفُّرُها حتّى يُشرع للمسافر الفِطر، وقد لَخَّصَ هذه الشّروط صاحب نظم أسهل المسالك في قوله:

وَفِطْرُ مَنْ سَافَرَ قَبْلَ الْفَجْرِ مَسَافَةَ الْقَصْرِ بِقَصْدِ الْفِطْرِ

ثلاث شروط أَجْمَلَهَا في هذا البيت:

الشّرط الأول: وهو أن يَشْرَعَ في السّفر قبل الفجر، وأن يصل إلى المكان الذي تُقْصَرُ فيه الصّلاة قبل الفجر، والمكان الذي تقصُر فيه الصّلاة هو ما يعبِّرون عنه بمغادرة العمران، ووصوله إلى المزارع والبساتين؛ فهناك يُشْرَعُ له الْقَصْرُ، فلا بُدّ أن يكون متواجدا في هذا المكان قبل طلوع الفجر.

والآن نحن حالتنا أنّ العمران قد اتّصل بعضه ببعض، فلا تكاد تجد أنّ هذا العمران ينفصل -رُبّما- حتى تصل إلى مدينة الرُّقَيْبَة، فنقول هنا -والله اعلم-: أنّ المسافة

---

(1)- سبق تخريجه ص133.

(2)- سبق تخريجه ص133.

التي يُقَدِّرُهَا في ذلك هي من ثمانية (8) كلم إلى عشرة (10) كلم؛ فيجب أن يكون في هذا المكان قبل طلوع الفجر.

الشّرط الثاني: أن يُبَيِّتَ الفِطر؛ الآن شرع في السّفر لَابُدَّ أن يُبَيِّتَ الفطر في ذلك المكان؛ فإذا لم يَنْوِ الفطر حتّى طلع الفجر، فلا يُباح له ذلك.

الشّرط الثّالث والأخير: وهو أن يكون هذا السّفر يبلغ مسافة الْقَصْرِ، ومسافة القصر هي أربعة بُرُد، والبريد هو أربعة فَرَاسِخَ؛ فتكون مسافة القصر ستّة عشرة فَرْسَخًا، وهي بمقاييسنا المعاصرة ما يُقارب أو يساوي ثمانٍ وثمانين (88)كلم؛ يعني نستطيع أن نقول: المسافة ما بين مدينة الوادي إلى مدينة تُقُّرتْ تساوي مسافة قصر بإذن الله.

فلا بُدّ من توفُّر هذه الشّروط الثلاثة حتى يُباح الفطر للمسافر.

ونواصل إن شاء الله في قَابِلِ الأيّام حول هذه الآيات المباركات، سبحانك وبحمدك نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ**﴾.

الدّرس الخامس في تفسير آيات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطاعات والقُرُبات، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيّاكم من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

كنّا قد تناولنا في الدّرس الماضي حكم المسافر والمريض، وأنّهما من أصحاب الأعذار الذين يُشرع لهم الفطر في شهر رمضان.

*بعد أن قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، قال: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ فوقت قضاء هذا الذي كان مسافرا أو مريضا وأفطر في شهر رمضان هو عِدَّةٌ من أيّام أُخَر، ومجال هذه العِدّة من الأيّام الأُخَر يكون من بعد رمضان الذي أفطر فيه إلى رمضان الآخر، وكلُّ هذا مجال للقضاء؛ لأنّ قضاء الصّوم ليس واجبا على الفور، وإن كانت تُستحب المسارعة إلى القضاء.

والدّليل على أنّ قضاء رمضان ليس واجبا على الفور، وإنما هو واجب على التّراخي هو: ما جاء عن أُمِّنا عائشة رضي الله تعالى عنها في الصّحيحين: قالت: "يكون عَلَيَّ الصّوم من رمضان فما استطيع أن أَقْضِيَهُ إلّا في شعبان"[1]؛ يعني شعبان الذي

---

(1)- سبق تخريجه ص112.

يسبق رمضان المُوَالِي، وفي رواية لمسلم: "الشُّغْلُ من رسول الله أو الشُّغْلُ برسول الله ﷺ"[1]؛ فدلَّ هذا أنّ القضاء ليس واجبا على الفور، وإنّما هو واجب على التّراخي.

لكن إذا فرَّط ولم يَقْضِ ما عليه ممّا أفطره من رمضان الفائت حتّى جاء رمضان الآخر، فإنه هنا تجب عليه الفِدْيَة مع قضاء تلك الأيّام التي أفطرها، وهذا ما يقوله صاحب نظم "أسهل المسالك":

وَمَنْ تَوَانَى فِي قَضَاءِ رَمَضَانِ مُفَرِّطًا ** حَتَّى أَتَاهُ الثَّانِي
عَلَيْهِ إِيجَابًا لِكُلِّ يَوْمِ ** إِطْعَامُ مُدٍّ مَعْ قَضَاءِ الصَّوْمِ

وهذا مذهب جمهور الفقهاء، فمن فرَّط في قضاء رمضان حتى أتاه رمضان الآخر؛ فإنه يجب عليه مع القضاء أن يطعم مُدًّا من الطّعام عن كل يوم.

لكن الإمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه قال: من أين لكم بهذه الفِدْية؟ وإنّما الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ المهم أنه يصوم في أيام أُخَر؛ سواء قبل رمضان القادم أو بعده، لا يهم ذلك.

ودليل الجمهور: ما جاء عن بعض الصّحابة؛ أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس[2]، ثبت عنهم أنّهم قالوا بوجوب الفِدْية -لمن فرَّط- مع القضاء، وكما قال الطَّحّاوي عن يحيى بن أَكْثَم: "وجدت هذا الأمر عن سِتَّة من الصّحابة، لا اعلم لهم مخالفا"[3]؛ وهذا الأمر طبعا يتعلَّق بالعبادة، والعبادة لا يمكن أن يجتهد فيها الصّحابي، وإنما هي أمرٌ توقيفي عن الله تبارك

(1)- سبق تخريجه ص112.

(2)- آثار أبي هريرة، وابن عمر،، وابن عباس رضي الله عنهم أخرجها الدّارقطني في سننه، كتاب الصيام، باب القبلة، على الترتيب: 2343، 2342، 2347، 3/178-180.

(3)- نقله عن يحي بن أكثم ابن حجر في فتح الباري، 4/190.

وتعالى أو عن رسوله ﷺ؛ فدلّ هذا على أنّ هؤلاء السِّتَّة من الصّحابة الذين من بينهم أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس أنهم قد أخذوا ذلك عن النبي ﷺ.

لكن الآن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هو ضابط التّفريط؟ متى نقول أنّ هذا الشخص قد فرَّط في قضاء رمضان، وأنه يجب عليه مع القضاء الفِدْية؟

ضابط التفريط في ذلك هو: أن لا يبقى عن رمضان الموالي إلّا بقدر الأيّام التي أفطرها صاحب العذر، ويكون خاليا فيها من جميع الأعذار، ثمّ لا يصوم في تلك الأيّام، ولا اعتبار بسائر أيّام السّنة، سواء كان له فيها أعذار أم لا، هذا هو ضابط التّفريط.

أُعطيكم مثالا حتى يتضح المقال؛ إنسان في رمضان هذا كان مسافرا، ودام سفره أربعة أيّام مثلا، وأفطر في هذه الأيّام، قلنا: إنّ القضاء لا يجب على الفور، متى يكون هذا الإنسان قد فرّط؟ يكون مُفَرِّطا حينما يبقى عن رمضان القادم أربعة أيام، ويكون فيها خاليا من جميع الأعذار؛ ليس مسافرا، ولا مريضا، والمرأة تكون ليس عليها دم العادة أو النّفاس؛ ولم يقضِيَا تلك الأيام، أمّا إن كانا في تلك الأيّام لديهما عذرٌ؛ بأن كانا مسافرين، أو مريضين، أو كانت المرأة حائضا أو نفساء؛ فإنه لا تُعتبر هذه المرأة، ولا ذاك الرّجل مُفَرِّطَيْنِ، ولا تجب الفِدْية في حقّيهما، والواجب هو القضاء فقط.

*ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ لا تظنُّوا يا أُمَّةَ محمّد ﷺ أنّ الله سبحانه وتعالى حين فرض عليكم هذا الصّيام؛ الذي هو حرمان للنّفس من الطّعام والشَّراب والشّهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أنّ الله يريد بكم العسر، لا؛ الله سبحانه وتعالى لا يريد بنا إلّا اليسر، وإلّا الرّحمة سبحانه وتعالى.

وَالتّيْسِيرُ هو من أخصّ خصائص هذه الشّريعة الْغَرَّاء؛ حتى إنّ علماءنا وفقهاءنا تَتَبَّعُوا النّصوص التي دلَّت على التّيسير في دين الله عزّ وجلّ، وخرجوا بهذه القاعدة الكلية؛ وهي: "المشقة تجلب التّيسير"، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَا يُرِيدُ

ﭐللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ ﴾ [المائـدة: 06]، ويقـول: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ [النساء: 28]، ويقول كـذلك: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ [الحج: 78]، والنّصوص كثيرة، والنبي ﷺ حينما بعث معاذ بن جبـل وأبا مـوسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن قال لهما: «**يَسِّـرَا وَلاَ تُعَسِّـرَا، وَبَشِّـرَا وَلاَ تُنَفِّـرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**»[1]؛ فدين الله سبحانه وتعالى مبني على التّيسير، وكما قـال صاحب نظم "أسهل المسالك":

وَكُلُّ مَا شَقَّ فَعَنْهُ يُعْــفَى لِعُسْرِهِ وَالدِّينُ يُسْرٌ لُطْفَا

فهذه القاعدة ابْتَنَتْ عليها شريعة الله تبارك وتعالى، والنبي ﷺ كما جاء في سنن النّسائي في هذا الحديث الصّحيح: رأى رجلا يُهَادَى بين النّاس، فسأل عنه النبي ﷺ ما بهذا الرجل؟ فقالوا له: يا رسول الله إنه نذر أن يحجّ لله ماشيا، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ**»، وأمره أن يركب ﷺ[2].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّا ومنكم، وأن يوفّقنا إن شاء الله لِما فيه الخير، وسنواصل إن شاء الله تعالى في قادم الأيّام حول هذه الآيات، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسّير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، حديث رقم: 3038، 65/4.

(2)- رواه النّسائي في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب ما الواجب على من أوجب على نفسه نذرا فعجز عنه، حديث رقم: 5832، 30/7. قال الألباني: "صحيح".

الدّرس السّادس في تفسير آيات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطاعات والقربات، كما نسأله جلّ في علاه أن يجعلني وإيّاكم من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، اللّهمّ آمين آمين يا رب العالمين.

كنّا قد تحدَّثنا في الدّرس السّابق، آخر ما تحدثنا عنه، هو أنّ التّيسير من خصائص الشّريعة المحمَّدية، وذلك من خلال قول الله تبارك وتعالى في آيات الصيام ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، ثم قال الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، لتكملوا العِدّة؛ أي تكملوا عِدّة أيّام هذا الشّهر الكريم، سواء من كان له عذر وأفطر؛ فإنّه يكمل فيما بعد، أو الصّائم الذي يتابع صومه في شهر رمضان.

*﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ بعد إتمام هذا الرُّكْنِ من أكان الإسلام يدعونا الله تبارك وتعالى لذكره، ولتكبيره سبحانه وتعالى؛ وذلك شكرا له على ما أنعم به علينا بأن أَتْمَمْنَا شهر الصّيام، وهذا الأمر بذكر الله تعالى ليس في الصّيام فحسب، وإنما نجده كذلك عند إتمام كلِّ شعيرة من شعائر الإسلام الكبرى؛ ففي الحجّ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200]، وبعد الفراغ من صلاة الجمعة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

﴿تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، وكذلك هذه الأذكار التي سنّها لنا النبي ﷺ عقِب كلِّ صلاة؛ فهي كذلك من شكر الله تبارك وتعالى على ما أنعم علينا أن قُمْنا بتلك العبادة.

*ثم يقول الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾، هذه الآية جعلها الله تبارك وتعالى تَتَخَلَّل آيات الصّيام مع أنّها لم تتعرض لأيِّ حكم من أحكامه؛ وذلك لِمَا فيها من دلالة على أنّ الصّائم مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ، والنبي ﷺ يقول في الحديث: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ دَعْوَةً عِنْدَ فِطْرِهِ مَا تُرَدُّ**»[1].

وفي سبب نزول هذه الآية كما جاء في تسفير ابن كثير: أن أعرابيا سأل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أَرَبُّنا بعيد فَنُنَادِيهِ؟ أم قريب فَنُنَاجِيهِ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾[2]؛ الله سبحانه وتعالى قريب منّا ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾

وهذه الآية تتحدث عن الدُّعاء؛ دعاء المسلم لله سبحانه وتعالى، وما سُئِلَ النبي ﷺ سؤالا إلّا وقال له الله عزّ وجلّ: ﴿قُلۡ﴾؛ ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾ [البقرة: 222]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219]، إلّا عندما سأله النّاس عن الله سبحانه وتعالى، فلم يقل له: ﴿قُلۡ﴾، وإنما قال له مباشرة: ﴿**فَإِنِّي**

---

(1)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، حديث رقم: 1753، 636/2. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده حسن".

(2)- رواه ابن أبي حاتم في التفسير، حديث رقم: 1667، 314/1.

قَرِيبٌ﴾؛ وهذا إن دلَّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّه رُبَّمَا احتاج الإنسان في جميع علاقاته إلى وسائط إلّا في علاقته مع الله عزّ وجلّ، فإنّه لا يحتاج إلى أيّ واسطة من الوسائط؛ فَتَعَامُلُكَ مع الله سبحانه وتعالى مباشرة، ليس بينك وبينه أيُّ وسيط.

والله سبحانه وتعالى يقول كذلك في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]؛ أي أذلّاء، فدلّت هذه الآية على أنّ الدّعاء هو العبادة، كما جاء في الحديث: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[1].

ما معنى الدعاء؟ ماذا يعني أن ترفع يديك إلى الله عز وجل وتدعوه؟

يعني ذلك أنّ هناك عبدا فقيرا، وهناك ربٌّ غنيّ، يعني أنّ هناك عبدا ضعيفا، وانّ هناك ربًّا قويًّا، يعني أنّ هناك عبدا مذنبا، وأنّ هناك ربًّا غفورا يغفر الذّنوب جميعا؛ هذا هو معنى الدّعاء؛ أنت الضّعيف تدعو الله سبحانه وتعالى أن يُمِدَّك بِقُوَّته، أنت الفقير تدعو الله سبحانه وتعالى أن يُمِدَّك من خزائنه، أنت المذنب تدعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لك ذنبك، أنت العاصي تدعو الله وتسأله أن يهديك إلى صراطه المستقيم.

لذلك أيُّها الإخوة الأكارم فإنّ النبي ﷺ يقول: «**سَلُو اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ**»[2]، ويقول الله تبارك وتعالى أيضا في

---

(1)- رواه ابن أبو داود في سننه، أبواب فضائل الأعمال، باب الدعاء، حديث رقم: 1479، 603/2. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده صحيح".

(2)- رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: 9535، 358/12. قال البيهقي: "تفرَّد به حمّاد بن واقد, وليس بالقوي".

الحديث القدسي: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ**»[1]، رُبَّمَا تقْصِد إنسانا تسأله شيئا مَرَّة، فيعطيك، الثانية فيعطيك، الثّالثة، قد يعطيك، الرّابعة، يقول لك: سألتنا كثيرا وأعطيناك، لكن الله سبحانه وتعالى يغضب حينما لا تسأله.

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً ** وَسَلِ الذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ

اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ** وَتَرَى بُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقد كان من دأب الأنبياء والرّسل الدّعاء وَرَفْعُ أَكُفَّ الضَّراعة إلى الله سبحانه وتعالى؛ فهذا نبي الله نوح عليه السلام حينما ضايقه قومه، وآذوه ووصفوه بأبشع النّعوت، رفع يديه إلى السّماء؛ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، ماذا كانت النتيجة؟ مباشرة: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: **10-14**].

وهذا سيّدنا زكرياء حينما رأى السيّدة مريم عليها السلام تأتيها فاكهة الصّيف في الشّتاء، وفاكهة الشّتاء في الصّيف، احتار في أمره زكرياء ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37]، ماذا فعل زكريا؟ ﴿**هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ**﴾[آل عمران: 38]؛ حينها عَلِمَ زكريّاء بأنّ لله عزّ وجلّ وللسّماء قوانينٌ أُخرى تختلف عن قوانين الأرض، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، مباشرة: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾

---

(1)- رواه البخاري في الأدب المفرد، باب من لم يسأل الله يغضب عليه، حديث رقم: 658، ص345. قال الألباني: "حسن".

[آل عمران: 39-40]، أحيانا أنت -رُبّما- تريد أن تدعو الله، فتقول في نفسك: هذا أمرٌ مستحيل؛ أنا أدعو الله عزّ وجلّ بشيء مستحيل، وكلّ المعطيات تقول: لا يمكن أن يحصل ذلك الأمر، لكنّ الله سبحانه وتعالى عنده معطيات أخرى؛ السماء لها قوانين أخرى، رُبّما يكون الإنسان مريضا مرضا مزمنا، وقوانين الطِّب تقول أنّ شفاءه مستحيل، يكون فقيرا فقرا مدقعا، وكلُّ ما عنده من مؤهِّلات تقول يستحيل أن يكون من الأغنياء، يكون مهموما بهمٍّ تنوء به الجبال، وكلّ المعطيات تقول لا يمكن أن ينكشف همُّه، لكن لا تيأس من أن ترفع يديك إلى السّماء؛ إلى الله عز وجل وتدعوه.

يَا صَاحِبَ الْهَمِّ إِنَّ الْهَمَّ مُنْفَرِجُ ** أَبْشِرْ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْفَارِجَ اللهُ
الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ ** لَا تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الْكَافِيَ اللهُ
اللهُ يُحدِثُ بَعْدَ الْعُسْرِ مَيسرَةً ** لا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللهُ
إِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ** إِنَّ الذِي يَكْشِفُ الْبَلْوَى هُوَ اللهُ
وَاللهِ مَا لَكَ غَيْرُ اللهِ مِنْ أَحَدٍ ** فَحَسْبُكَ اللهُ فِي كُلٍّ لَكَ اللهُ

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لما فيه الخير، وأن يجعلنا إن شاء الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك، ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.

الدّرس السّابع والأخير في تفسير آيات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطّاعات والقُرُبات، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

نتحدَّث اليوم إن شاء الله عمّا تَبَقّى من آيات الصّيام؛ فبعد أن تحدّثنا في الدّرس السّابق عن قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾، اليوم إن شاء الله نتحدَّث عن الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾، هذه الآية كما ذكرنا في الدّرس الثاني من تفسير آيات الصّيام: أنّه كان أحدهم إذا غَرُبت الشّمس، ونام أو صلّى العِشاء، ولم يأكل شيئا، فإنه يحرُم عليه الطّعام والشّراب وعاشرة النّساء إلى مغرب اليوم الموالي، وكان بعض الصّحابة رضوان الله عليهم قد اختانوا أنفسهم مع نسائهم ليلة الصّيام، وشقَّ عليهم هذا الأمر، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة تخفيفا عليهم ورحمة بهم.

*﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾، والرّفث هو الجماع، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾؛ أي هنّ لحافٌ أو سكنٌ لكم، وأنتم لحافٌ أو سكنٌ لهنّ، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾، وهذا نصّ في إباحة ما كان محرّما من مجامعة نسائهم ليلة الصّيام، ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

هذه الآية لَمّا نزلت كان عَدِيّ بن حاتم رضي الله عنه قد أتى بخيطين؛ أحدهما اسود، والآخر أبيض، ووضعهما تحت وِساده، وأخذ ينظر إلى هذين الخيطين، متى يتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ وهو يأكل ويشرب إلى أن شَعْشَعَ النّهار، وتبيَّن له هذا أبيض، وهذا أسود، عندها أمسك عن الطّعام، فأخبر عَدِيّ بن حاتم رضي الله عنه النبي ﷺ بهذا الأمر، فقال له: «**إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ إِذًا**»[1]؛ إذا كان وسادك يتسع للّيل والنّهار؛ فإن هذا الوساد عريض، وعريض جدًّا؛ فهو بوسع الأرض التي تتسع للّيل والنّهار، ثم بيَّن له النبي ﷺ الأمر، فقال له: «**إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادُ اللَّيْلِ**»[2].

وفي هذه الآية -كما قال علماؤنا- دليل على استحباب تأخير السّحور، والذي دلّ على استحباب تأخيره كذلك هو ما جاء عن أبي عطية قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: "فينا اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ؛ أحدهما يؤخر السّحور ويعجِّل الفطور، والآخر يؤخِّر الفطور ويعجِّل السّحور"، فقالت لهم: "أيُّهما الذي

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾، حديث رقم: 4509، 26/6.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، وأن له الأكل وغيره حتى يطلع الفجر، وبيان صفة الفجر الذي تتعلق به الأحكام من الدخول في الصوم، ودخول وقت صلاة الصبح وغير ذلك، حديث رقم: 1090، 766/2.

يعجل الفطور ويؤخر السّحور؟"، قال لها: "عبد الله بن مسعود"، فقالت له: "هكذا كان رسول الله ﷺ"[1]؛ هذه سنّة النبي ﷺ، وهذا من التّيسير والتّخفيف؛ حتى تَقِلّ مدّة الْحِرْمَانِ من الطّعام والشّراب؛ فهو يعجّل الفطور، ويؤخّر السّحور.

والسّحور في حدّ ذاته مستحب، وهو سنّة من سنن النبي ﷺ، والنبي ﷺ يقول في الحديث المتفق عليه: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»[2]، وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**»[3]؛ ففي السّحور خير كبير؛ فالصّائم يَتَزَوَّدُ فيه بالطّعام والشّراب ليتقوّى على الصّيام، وفي الوقت نفسِه فيه زاد روحي؛ وذلك بقراءة القرآن والذّكر والاستغفار والدّعاء عند السّحر.

وأكلة السّحور هي التي تُمَيِّزُ صيامنا نحن المسلمين عن صيام اليهود والنصارى؛ ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم يقول النبي ﷺ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**»[4].

*﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾؛ يعني يجب أن نُتِمَّ الصّيام إلى أن تغرب الشّمس، وليس كما قد يَتَوَهَّمُ البعض أنّ المقصود من ذلك هو الظّلام الدّامس، وقد شاهدت بعض الفيديوهات على "اليوتيوب" وفي "الفيسبوك" تدعو إلى ذلك، وهذا في الحقيقة هو دَيْدَنُ الشّيعة؛ فلا يفطرون إلّا مع قُرْبِ العِشاء.

---

(1)- رواه النسائي في سننه، كتاب الصيام، حديث رقم: 2158، 143/4. قال الألباني: "صحيح".

(2)- سبق تخريجه ص120.

(3)- رواه ابن حبّان في صحيحه، كتاب الصّوم، باب السّحور، حديث رقم: 3467، 245/8-246. قال محققه شعب الأرنؤوط: "حديث صحيح".

(4)- سبق تخريجه ص120.

والذي يدلنا على أنّ المقصود بـ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ هو غروب الشّمس، هو ما جاء في الحديث المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»[1].

وتعجيل الإفطار هو سُنّة من سنن المصطفى ﷺ؛ فقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، ومالك في الموطأ: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»[2]، وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داوود في سننه: «**لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَانُوا يُؤَخِّرُونَ**»[3]، فهو سنّة، وفيه كذلك مخالفة لليهود والنصارى الذين أُمِرْنَا بمخالفتهم

ولكن هنا أُريد أن أُلاحظ ملاحظة: هناك بعض النّاس بدعوى سُنِّيَّةِ تعجيل الإفطار، وَسُنِّيَّةِ تأخير السّحور، رُبَّما أكلوا في النّهار نتيجة المبالغة في التّعجيل، وأنا أقول لهؤلاء: لِيَحْذَرُوا؛ لأنّ صيامهم الآن على خطر؛ لأنّ الذي يأكل في النّهار، هذا مفطر لا شكّ في ذلك؛ ولذلك أنصح نفسي وإخواني بالتزام الرُّزْنَامَة التي وضعتها الوزارة الوَصِيَّة؛ فهذه الرُّزْنَامَة قد وضعتها لجنة مُخْتَصَّة من الخبراء في هذا الميدان بضوابط علمية وشرعية، وما علينا إلّا أن نلتزم بها؛ لأنّنا نحن كأفراد أنا -مثلا- لا املك أدوات الاجتهاد حتى أجتهد في هل غَرُبَتْ الشّمس أم لا؟ خاصّة عند السُّحُب، فَرُبَّمَا اجتهدت وأخطأت، فاجتهادي لنفسي هو غير مأمون العواقب؛ ولذلك نعتمد على هذه الرُّزْنَامَة، وأقول: حتى ولو -لا قَدَّرَ الله- كان هناك خطأ في هذه الرُّزْنَامَة؛ ارتياب بسيط، فأنت قد بَرِئَتْ ذمّتُك أمام الله بإسنادك لصِيامك لأهل الاختصاص في هذا المجال.

---

(1)- سبق تخريجه ص119.

(2)- سبق تخريجه ص119.

(3)- سبق تخريجه ص119.

*ثم يقـول الله تبـارك وتعـالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ وهـذه كما قـال الضَّحَّاك: "إنهم كانوا عندما يكونون معتكفين في المسجد يخرجون ويذهبون إلى أهلهم وَرُبَّمَا جامع أحدُهم أهلَه، ثم بعد ذلك يرجع إلى المسجد، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية"[1]؛ فهذا يبطل الاعتكاف وهو تَعَدٍّ على حدود الله كما بيَّن الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وهكذا أيُّها الإخوة الأكارم ابتدأ الله تبارك وتعالى آيات الصيام بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، وختمها كذلك بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ ليدلَّنا ذلك أنّ الحكمة والغاية المرجوَّة من هذا الصّيام، ومن تشريع هذه الأحكام من طرف الله تبارك وتعالى هو تقوى الله عزّ وجلّ.

وبهذا أيُّها الإخوة الأكارم نكون قد أكملنا الحديث عن آيات الصّيام.

نسأل الله تبارك وتعالى لنا ولكم التّوفيق، كما نسأله أن يتقبَّل منّا ومنكم صالح الأعمال، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك ونتوب إليك، **﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾**.

---

(1)- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 519/1.

دروس وعظيّة إرشاديّة

❁ يا باغي الخير أقبل

❁ التوبة والاستغفار

❁ الحمد لله كلمة كل شاكر

❁ خلق الحياء

❁ أهمية الذكر في حياة المسلم

❁ الدرس الختامي، (توصيات من وحي رمضان)

يا باغي الخير أقبل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبِين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

إخوة الإيمان: نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل منّا صلاتنا، وصيامنا، وقيامنا بمزيد من الأجر والمغفرة والثّواب، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

رمضان شهر المسارعة إلى الخيرات:

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام التّرمذي في سننه: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**»(1)؛ فهذا الشّهر الكريم هو موسمٌ للخيرات، هو شهرٌ لِأَنْ يَتَسَابَقَ فيه النّاس على الخير «**يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**».

ويقول الله تبارك وتعالى في مدح طائفة من أنبيائه ورسله وأصفيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، ويقول الله تبارك وتعالى عن طائفة أُخرى من هؤلاء الأصفياء: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 73]، فإذا رأيت قلبًا منشرحا إلى فعل الخير فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى

(1)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، حديث رقم: 682، 57/3. قال الألباني: "صحيح".

يحبُّه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يوحي بفعل الخير إلّا لمن يحبّ ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾.

ويقول النبي ﷺ في هذا الحديث: «**إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لَلشَّرِّ، مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ**»[1]، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا بِمَنّه وكرمه مفاتيحَ للخير، مغاليقَ للشّرّ.

صفات المسارعين لفعل الخير في القرآن الكريم:

بَيَّنَ الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم صفات الذين يسارعون إلى الخير، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: 55-61].

أوّل صِفة لهم هي الخوف والإشفاق من عذاب الله؛ تجد الواحد منهم على الرّغم ممّا يقوم به من الطّاعات، وما يُسارع إليه من فعل الخيرات إلّا أنّه مُشْفِقٌ من عذاب الله سبحانه وتعالى، ومن صفاتهم كذلك الإيمان بآيات الله، وتوحيد الله وعدم الإشراك به، ثمّ إنّهم يأتون ما تَيَسَّر لهم من طاعاتٍ، وعباداتٍ، وفعلٍ للخيرات، وقلوبهم وجِلة مخافة أن لا يُقبل منهم ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها أنّها سألت النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾، فقالت: يا رسول الله أَهُوَ الذي يسرق ويزني؟ فقال لها: «**لَا، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ**

---

(1)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب ثواب معلّم الناس الخير، حديث رقم: 238، 161/1. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف".

مِنْهُ»[1]، هؤلاء هم الذين يسارعون في فعل الخير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ .

ويقول النبي ﷺ في الحديث -الذي يرويه عنه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه-: **«إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى، فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»**. ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 268][2].

دعوة النبي ﷺ أصحابه للمسارعة إلى فعل الخير:

هذا الشّهر المبارك الذي ينادي فيه -كما قلت في بداية حديثي- مُنَادٍ من قبل الله سبحانه وتعالى في كلّ ليلة من ليالي رمضان: **«يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ»**، فأين أنت يا من تريد فعل الخيرات؟ أين أنت يا من تريد أن تَتَزَوَّد في هذا الشّهر الكريم؟ الفريضة في رمضان كما ورد عن النبي ﷺ بسبعين فريضة، والنّافلة تعادل أجر الفريضة في غيره من الشّهور[3].

(1)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب الترقي على العمل، حديث رقم: 4198، 288/5. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف".

(2)- رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الأدعية، باب ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن المرء إذا كان في حالة ليس له سؤال الرب جل وعلا الحلول من تلك الحالة، لأن هذا كلام محال، حديث رقم: 997، 278/3. ورواه الترمذي في سننه بلفظ قريب من هذا، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم: 2988، 219/5. قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص، لا نعرفه مرفوعا إلّا من حديث أبي الأحوص".

(3)- سبق تخريجه ص19.

وهذا النبي ﷺ دعا أصحابه ذات يوم إلى فعل الخير، فقال لهم: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»؛ (كل مسلم يخرج صدقة)، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن لم يجد؟ فقال له النبي ﷺ: «**يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**»، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ**»، قال: أرأيت إن لم يفعل يا رسول الله؟ قال: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**»[1]؛ فإذا لم يفعل الخير أو لم يَسْتَطِعْهُ، فعلى الأقلّ يمسك عن فعل الشّرّ؛ فإمساكه عن الشّرّ في حدِّ ذاته هو فعل للخير، وهو صدقة كما جاء في هذا الحديث عن النبي ﷺ.

وهذا رجل جاء إلى النبي ﷺ، وقال له: يا رسول الله عَلِّمْنِي ما عَلَّمَكَ الله؛ هذا يريد أن يتفقَّه في الدّين، فَدَفَعَ به النبي ﷺ إلى رجل من أصحابه، وأخذ هذا الرّجل يعلِّمه سورة الزّلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: 1-3]،حتى إذا بلغ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7-8]، فقال هذا الرَّجل: "حَسْبِي"؛ يعني هذا يكفيني، فَأُخْبِرَ النبي ﷺ بِخَبَرِه، فقال ﷺ: «**دَعُوهُ فَإِنَّهُ قَدْ فَقِهَ**»[2].

وهذا الخير صُنُوفٌ وأنواعٌ؛ صدقات، صلاة، صيام، عيادة مرضى، شهود الجنائز، كلمة طيّبة، معاملة حسنة... إلخ، والْكَيِّسُ من يبادر إلى ذلك، وهو لا يزال عنده

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم: 1008، 699/2.

(2)- أورده القرطبي في تفسيره، قال: "وروى معمر عن زيد ابن أسلم"، وذكره. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 153/20. ومثله ما رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 20593، 200/34. ونصُّه: عن صعصعة بن معاوية عَمِّ الفرزدق: أنه أتى النبي ﷺ، فقرأ عليه: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾، **قال:** "حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها". قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده صحيح".

القدرة على فعل ذلك، وهو ما يزال عنده أمل في الدّنيا، هنا تكون المبادرة إلى الخير دليل على أنّ هذا الإنسان يؤثر ما عند الله سبحانه وتعالى على حطام الدّنيا الفانية.

سُئِلَ النبي ﷺ: أيُّ الصدقة أفضل أو خير؟ فقال ﷺ: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الغِنَى، وَتَخْشَى الفَقْرَ، وَلَيْسَ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ كَذَا**»[1]؛ عندها يكون أوان فعل الخير قد انتهى.

وفي صحيح مسلم: أنّ النبي ﷺ كان ذات يوم مع أصحابه، فسألهم: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» فقال أبو بكر: "أنا يا رسول الله"، ثم سأل النبي ﷺ سؤالا آخر: «**مَنْ مِنْكُمُ اتَّبَعَ جَنَازَةً الْيَوْمَ؟**»، فقال أبو بكر: "أنا يا رسول الله"، ثم سأل النبي ﷺ سؤالا آخر: «**مَنْ مِنْكُمْ تَصَدَّقَ عَلَى مِسْكِينٍ الْيَوْمَ؟**»، فقال أبو بكر: "أنا يا رسول الله"، ثم سأل النبي ﷺ سؤالا آخر: «**مَنْ مِنْكُمْ عَادَ مَرِيضًا الْيَوْمَ**»، فقال أبو بكر: "أنا يا رسول الله"، فقال النبي ﷺ : «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي رَجُلٍ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةَ**»[2]؛ وهكذا حال كلّ مسلم لا يترك بابا من أبواب الخير إلّا وطرقه، فهو دائمًا يُسابق إلى فعل الخير بشتى صنوفه وأنواعه.

وفي صحيح البخاري: أنّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** (يعني صنفين من أصناف المال)، **نُودِيَ فِي أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ** (يعني هذا خير كثير)، **فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ** (إلى الجنة) **مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: "بِأَبِي

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فصل صدقة الشّحيح الصّحيح، حديث رقم: 1419، 110/2.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم: 1028، 1857/4.

أنت وأمّي يا رسول الله، هل أحدٌ يُدعى من هذه الأبواب كلّها؟"؛ هل من الممكن أن يُدعى أحدٌ من باب الصّلاة، ويُدعى من باب الصدقة، ويُدعى من باب الجهاد، ويُدعى من باب الصيام؟ فقال: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[1].

في المسارعة إلى الخير منجاة من الفتن:

والمسلم -لا سيما ونحن في هذا الشهر المبارك- يبادر إلى فعل الخير، وهذا ما دعانا إليه النبي ﷺ في هذا الحديث: «**بَادِرُوا إِلَى الْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُمْسِي الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، وَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[2]؛ فالذي يبادر إلى الخير في وقت الرّخاء، فإنّه يُثَبِّتُه الله سبحانه وتعالى في زمن الفِتن.

وفي الحديث الآخر الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، فَهَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالُ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**»[3]؛ هذه تعتبر مُعِيقَاتٌ تعيق الإنسان من أن يبادر إلى فعل الخير؛ الفقر الْمُنْسِي الذي قد يُنسي صاحبه أمر دينه، والغِنى الْمُطْغِي الذي يجعله ينسى صاحب النّعمة، وهو الله سبحانه وتعالى، والمرض الْمُفْسِدُ للبدن الذي يجعله لا يقوى على أيّ عملٍ من أعمال الخير والبِرّ، والهرم الْمُفْنِد الذي يجعله خَرِفًا، والموت الْمُجْهِزُ الذي يأتي بغتة، وظهور الدجّال الذي هو من أكبر الفتن التي قد تَتَعَرَّضُ لها البشريّة، وقِيام السّاعة الذي قد يأتي على الإنسان، وهو لا يزال على قيد الحياة؛ لذلك فَالْبِدارَ الْبِدَارَ قبل أن يَفْجَأَنَا أيُّ معيقٍ من هذه المعيقات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريّان للصائمين، حديث رقم: 1897، 25/3.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث رقم: 118، 110/1.

(3)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، حديث رقم: 2306، 552/4. قال الترمذي: "حسن غريب".

التوبة والاستغفار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطّاعات والقُرُبات، كما نسأله جلّ في عُلاه أن يجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

دعوة القرآن الكريم إلى المسارعة إلى المغفرة والتوبة:

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]؛ يدعونا الله تبارك وتعالى في هذه الآية إلى المسارعة إلى مغفرة منه سبحانه وتعالى؛ وذلك بسلوك أسبابها، وفي آية أخرى يدعونا إلى المسابقة، فيقول تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: 21].

ومن الأسباب التي تؤدِّي بنا إلى مغفرته سبحانه وتعالى التّوبة إلى الله، لا سيما ونحن في هذه الأيام المباركات من هذا الشّهر الكريم؛ حيث أبواب الجنة مفتوحة، وأبواب النِّيران مغلقة، ورحمات الله تبارك وتعالى تَتَنَزّل على عباده المؤمنين، وها هو الله يأمرنا في كتابه الكريم بأن ن نتوب إليه، فيقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: 31]، ويقول في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا (لا غِشّ فيها، توبة واضحة ناصعة) عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ ﴾ [التحريم: 08]؛ فالتوبة من الأمور التي تجب المسارعة إليها؛ لأنّ الأجل إذا جاء لا ينتظر أحدا.

رحمة الله ومغفرته أعظم من كلّ الذنوب:

ومهما كانت ذنوبك عظيمة وكثيرة، ومهما اقترفت من آثام ومن جرائم، فإنّ رحمة الله تبارك وتعالى أعظم، ومغفرته أوسع وأكبر، فما عليك أيُّها المؤمن إلّا أن تقف مع نفسك وقفة محاسبة ومراجعة، وَتُسَائِلَهَا: إلى متى وأنا امشي في الطّريق الخطأ؟ إلى متى وأنا مُصِرٌّ على هذه الذّنوب والمعاصي؟ إلى متى وأنا في طريق الْعُهْرِ والمجون؟ إلى متى وأنا في وحل الخمور والمخدِّرات والمهلوسات؟ إلى متى وأنا بعيد عن الله عزّ وجلّ؟ فَيُسَائِل نفسه ويراجعها، والله تبارك الله تبارك وتعالى يخاطب أولئك الذين -رُبَّمَا- من كثرة ذنوبهم سيطر عليهم اليأس والقنوط من رحمة الله ومغفرته، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53].

ولا يتوقَّف الأمر عند المغفرة فحسب، وإنّما إذا علم الله تبارك وتعالى منك الصِّدق في الرّجوع إليه، فإنّه سبحانه وتعالى يُبَدِّل سيئاتك حسنات، يقول تعالى في سورة الفرقان -بعد أن عَدَّدَ جملة من الذّنوب المهلكات؛ من شرك بالله، وقتلٍ للنّفس، والزّنا-: ﴿ ...وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان: 68-70]، الله أكبر، فما أرحمه وأكرمه من إله!

من وسائل الثّبات على التوبة:

أُوْلَى وسائل الثّبات على التّوبة هو هُجْرَانُ المجالس التي فيها معصية الله، واعتزال رُفقاء السُّوء، وَلُزُومُ إخوانك من المؤمنين الذين يعينونك على طاعة الله إذا ذكرت، وَيُذَكِّرُونَكَ بالله إذا نسيت، وتقرّب إلى الله دائما بالأعمال الصّالحة، فهي من أعظم وسائل الثّبات، واعتصم كذلك بالاستغفار؛ النبي ﷺ يقول في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ** (إذا كان للاستغفار صِيغًا عِدّة، فإنّ هذا سيّدها) **اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»، يقول النبي ﷺ: «**وَمَنْ قَالَهَا فِي النَّهَارِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَقَلْبُهُ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[1]؛ حَبَّة في الصُّباح، وأُخرى في المساء تكون من أهل الجنّة بإذن الله تعالى.

في لزوم الاستغفار خيرا الدُّنيا والآخرة:

إذا كان في الاستغفار خير الآخرة كما رأين، فإنّ فيه كذلك خير الدّنيا؛ يقول النبي ﷺ في هذا الحديث الذي رواه أبو داوود في سننه: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[2].

والنبي ﷺ، وهو إمامنا وقدوتنا، وهو المعصوم ﷺ كان من المكثرين من الاستغفار، يروي لنا عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما في سنن أبي داوود، فيقول:

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، حديث رقم: 6306، 67/8.

(2)- رواه أبو داود في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار، حديث رقم: 1518، 628/2. قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده ضعيف".

إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرَّة: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»[1]، فأين نحن من هذا الاستغفار؟

وأختم بهذه المقولة للحسن التي ينقلها الإمام القرطبي في تفسيره: جاء رجل إلى الحسن يشكو الجُدُوبَةَ؛ يعني أرضه جَدْبَاء؛ ليست خِصْبَة، فقال له: "استغفر الله"، جاء رجل آخر يشكو له عدم وجود الولد، فقال له: "استغفر الله"، جاء رجل آخر يشكو الفقر، قال له: "استغفر الله"، جاءه آخر يشكو جفاف بستانه، فقال له: "استغفر الله"، فتعجَّب الناس، وقالوا له: "كلّما جاءك احدٌ يشكو أمرا من الأمور قلت له: "استغفر الله"، قال: "ما أتيت بذلك من عندي، وَاقْرَأُوا معي إن شئتم قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 10-13][2]؛ الخير كلُّ الخير في الاستغفار، وفي الرجوع الدّائم والمستمر إلى الله تبارك وتعالى، جعلني الله وإيّاكم من التّائبين، والمستغفرين، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.

---

(1)- رواه أبو داود في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار، حديث رقم: 1516، 627/2.
قال محققا السنن شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "إسناده صحيح".

(2)- هذا الأثر عن الحسن ذكره القرطبي في تفسيره، 302/18.

الحمد لله كلمة كل شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطّاعات والقُرُبات، كما نسأله جلّ في عُلاه أن يجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، نتحدَّث اليوم إن شاء الله تبارك وتعالى في هذه العُجالة عن خلق من أخلاق عباد الله المؤمنين، أَلَا وهو خُلُقُ الحَمْد.

معنى الحمد وأنّه أعمُّ من الشُّكر:

لو رجعنا إلى قواميس اللُّغة العربية نجد أنّ الحمد يأتي بمعنى الثّناء بالخير؛ فكونك تحمد الله سبحانه وتعالى هذا يعني أنَّك تُثْنِي على الله سبحانه وتعالى بالخير؛ لانّ الثّناء قد يكون بالخير، وقد يكون بالشّرّ؛ فتقول: أَثْنَى عليه خيرا، ونقول كذلك: أَثْنَى عليه شَرّا.

والحمد أَعَمُّ من الشّكر؛ بمعنى أنّك إذا حمدت الله سبحانه وتعالى، فإنّك تكون قد مَدَحْتَهُ، وقد شكرته في آنٍ واحد؛ فالحمد يَتَضَمَّنُ الشُّكر، وفيه المدح زيادة؛ لذلك جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال: "الحمد لله كلمة كلِّ شاكر"[1].

سريان الحمد على ألسنة الأنبياء والمرسلين والصَّالحين:

حمد الله، والثّناء عليه بالخير كثير السّريان على ألسنة الأنبياء والمرسلين والصّالحين من عباد الله المؤمنين؛ فهذا آدم عليه السلام حين خلقه الله سبحانه وتعالى، ونفخ

(1)- هذا الأثر عن ابن عباس ذكره القرطبي في تفسيره، 134/1. ولم أجد من روى ذلك مُسندا.

فيه من روحه عَطِسَ، فلمّا عطس قال: "الحمد لله"[1]، فكانت أوَّل كلمة نطق بها سيّدنا آدم عليه السلام هي أن حمد الله تبارك وتعالى، وأثنى عليه خيرا، وهذا نوحٌ عليه السّلام يقول له الله تبارك وتعالى على لسانه بعد أن نَجّاهُ من القوم الظالمين: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: 28]، وهذا سيّدنا إبراهيم عليه السّلام أبو الأنبياء قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: 39]، وقال الله تبارك على لسان سيدنا داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15]، ويقول الله تبارك وتعالى آمِرًا نبيه محمّدا: ﷺ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: **111**].

وأهل الجنّة حينما يدخلون الجنّة يقولون: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 34]، ويقول الله تبارك وتعالى حكايةً عنهم: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10]، جعلني الله وإيّاكم من أهل الجنّة.

الله يفخر بحمد عبده له:

والله تبارك وتعالى على ما أعطانا وَأَوْلَانا من هذه النِّعم الظّاهرة والباطنة التي نعلمها، والتي -والله- لا نعلمها، على الرَّغم من هذه النّعم التي أَغْرَقَنا الله تبارك وتعالى فيها، إلّا أنّه سبحانه وتعالى يفخر بحمد عبده له، وفي حديث قِسْمَة الصّلاة الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه ومالك في موطأه يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربّه: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:**

---

(1)- هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، حديث رقم: 3368، 453/5. قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (أُنظروا إلى هذا الحوار الذي يدور بينك وبين الله عزّ وجلّ وأنت في الصلاة، ونحن والله غافلون عن ذلك)، **يُقُولُ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي** (الله اكبر!)، **وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **يَقُولُ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، **فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**[1].

الحمد لله من الباقيات الصّالحات:

يقول الحسن: "ما من نعمة (مهما عظمت هذه النِّعمة) إلّا والحمد لله أفضلُ منها"[2]، واسمعوا معي إلى هذا الحديث الذي يرويه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول"، يقول فيه النبي ﷺ: «**لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بِحَذَافِيرِهَا كَانَتْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ للهِ، لَكَانَتِ الْحَمْدُ للهِ أَفْضَلَ مِنْهَا**»[3]؛ مهما عظُمَتْ هذه النِّعَمُ، ومهما كانت هذه العطايا؛ فأنت حينما تحمد الله سبحانه وتعالى عليها، فإنّ الحمد يكون أفضل من ذلك، لماذا؟

لأنّ كلمة "الحمد لله" من الباقيات الصّالحات، والدّنيا فانية، ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46]، وفي الحديث الذي يرويه الإمام البيهقي في شعب الإيمان، قال النبي ﷺ لأصحابه: «**خُذُوا عَنِّي جُنَّتَكُمْ**» (والجُنَّة هي

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث رقم: 395، 296/1.

(2)- رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، 202/10.

(3)- رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أنس بن مالك رضي الله عنه من دون سند، 267/2.

الوقاية)، فقال الصّحابة رضوان الله عليهم: أَوَمِنْ عَدُوٍّ حضر يا رسول اللهِ؟ قال: «**لَا، جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهَا يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْجِيَاتٍ وَمُقَدَّمَاتٍ وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**»[1].

وما قصّة ذلك الرّجل الصّالح -التي ذكرناها في درسٍ سَابق- التي رواها عن النبي ﷺ ابن ماجه في سننه: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ. فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، فقَالَا: يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَمْ نَدْرِ كَيْفَ نَكْتُبُهَا** (ليس عندهم أجرها في سِجِلِّ الحسنات)، **فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: إِنَّهُ قد قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ! قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَهَا عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا**[2]، ولم أجد حديثا يُضَاهِي هذا الحديث إلّا الحديث القدسي الذي يقول الله تبارك وتعالى فيه: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[3].

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ -أَوْ تَمْلَآنِ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»[4]؛ يعني شيء عظيم أنّك تحمد الله سبحانه وتعالى.

---

(1)- رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث رقم: 1985، 275/1.

(2)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الأدب، باب فضل الحامدين، حديث رقم: 3801، 712/4. قال محقّقو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف".

(3)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك، حديث رقم: 5927، 164/7.

(4)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فصل الوضوء، حديث رقم: 223، 203/1.

الحمد لله يكون على كل حال:

والحمد يجري على ألسنة عباد الله المؤمنين حتّى وهم مصابون بالمكاره، واسمعوا معي إلى هذا الحديث الذي يرويه ابن حِبّان في صحيحه، والبيهقي في شعب الإيمان: «**حِينَمَا يَمُوتُ وَلَدُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ لِمَلَائِكَتِهِ: هَلْ قَبَضْتُمْ رُوحَ وَلَدِ عَبْدِي؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَعَمْ يَا رَبّ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ: وَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّهُ قَدْ حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ** (يعني أثنى على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله، وقال: إنّا لله، وإنّا إليه راجعون)، فيَقُولُ الله عزّ وجلّ: «**أَبْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**»[1].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإيّاكم من الحامدين الشّاكرين لله سبحانه وتعالى، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا اله إلّا أنت نستغفرك، ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.

(1)- رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الجنائز، حديث رقم: 2948، 210/7. قال محققه شعيب الأرنؤوط: "إسناده ضعيف".

خُلُق الحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطاعات والقُرُبات، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيّاكم من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

لكلِّ دين خُلُق وخلق الإسلام الحياء:

نتحدَّث اليوم إن شاء الله تبارك وتعالى في هذه العُجالة عن خلقٍ تَمَيَّز به الإسلام؛ هذا الخلق هو خلق الحياء، والنبي ﷺ كما يقول في الحديث: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ**»[1]؛ فهذا الدِّين فيه جميع مكارم الأخلاق إلّا أنّه أكثر ما تَمَيَّز به هو هذا الخلق الكريم؛ أَلَا وهو خلق الحياء، كما تميَّزت المسيحية على عهد سيّدنا عيسى عليه السلام بخلق السَّماحة، وتميَّزت اليهوديّة كذلك على عهد موسى عليه السلام بخلق الْحَزْمِ والصَّرامة؛ فتميَّز هذا الدين بالحياء كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

وخير من تخلَّق بهذا الخُلق الكريم هو نبيُّنا محمّد ﷺ؛ حيث يُخْبِرُ عنه أبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، فيقول: "كان رسول الله ﷺ أَشَدَّ حياءً من العذراء في خِدْرِها، وكان إذا

(1)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب الحياء، حديث رقم: 4182، 278/5. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف جدا".

كره شيئا عرفناه في وجهه"[1]؛ فالنبي ﷺ من شِدَّة حيائه كان لا يُفْصِح عن شيء يكرهه، وإنّما كانوا يرون ذلك في وجهه ﷺ.

الحياء قرين الإيمان:

وهذا الخلق الكريم؛ له ارتباط وثيق بالإيمان؛ فهو قرينه، وَشُعْبةٌ من شُعبه؛ فقد روى مسلم في صحيحه أنّ النبي ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»[2]، ويخبرنا النبي ﷺ كذلك في الحديث الآخر: «**الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرَنَاءُ، إِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ**»[3]؛ يستحيل أن تجد مؤمنا لا يتخلّق بهذا الخلق الكريم، ويستحيل أن تجد متخلِّقا بهذا الخلق الكريم، وهو ليس بمؤمن؛ فهما متلازمان لا يفترقان.

تردّي عديم الحياء من سيّءٍ إلى أسوأ:

والذي فقد حياءه يسقط من سيّءٍ إلى أسوأ، ومن رذيلة إلى ما هو أرذل منها، واسمع معي إلى هذا الحديث النبوي الشّريف الذي يُصَوِّرُ لنا قِمَّة السُّقوط والتَّرَدِّي لذلكم الذي فَقَدَ حياءه، يقول النبي ﷺ في هذا الحديث الذي رواه الإمام ابن ماجة في سننه: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا، نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا، نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ،**

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب من لم يواجه الناس بالعقاب، حديث رقم: 6102، 26/8.

(2)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم: 35، 63/1.

(3)- رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم: 58، 73/1. إلّا أنّه جاء في المستدرك: «**قُرِنَا جَمِيعًا**» بدل: قُرناء. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجّا بروّاته ولم يخرّجاه بهذا اللفظ".

فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا، نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الْإِسْلَامِ»[1]؛ فكلّ مرحلة من هذه المراحل تُسَلِّمُهُ إلى ما هو أسوأ، وفي نهاية المطاف يفقد إيمانه وإسلامه والعياذ بالله.

الحياء عنصر الجمال في حياتنا:

الحياء هو عنصر الجَمال، والزِّينة، والنُّبل في حياتنا كلّها؛ سواء فيما نتكلّم به أو ما نأتيه من أعمالٍ وسلوكات؛ لذلك نجد النبي ﷺ يقول: «**مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»**[2]، ويقول في الحديث الآخر: «**الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»**[3].

ومن الحياء أن يعمل الإنسان جاهدا على ألّا يؤْثَرَ عنه سوء في سلوكاته، وفي مواقفه وتصرّفاته، فهذا النبي ﷺ حينما كان معتكفا في المسجد جاءته زوجه صفيّة رضي الله تعالى عنها، فَمَرَّ به رجلان، وحينما رَأَيَا النبي ﷺ مع زوجه أسرعا في المشي، فناداهم النبي ﷺ قائلا: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»**[4]؛ يعني إنها زوجتي صفيّة على الرّغم أنّ النبي ﷺ لا يَظُنُّ به أصحابه إلّا خيرا، إلّا أنّه وضَّح الأمر لهذين الصحابيين.

---

(1)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الفتن، باب الآيات، حديث رقم: 4054، 177/5. قال محققو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف جدّا".

(2)- رواه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش، حديث رقم: 1974، 349/4. قال الترمذي: "هذا حديث حسن عريب".

(3)- رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرّقائق، باب ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم الحياء عند تزيين الشيطان له ارتكاب ما زجر عنه، حديث رقم: 608، 372/2-373. قال محقق شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن".

(4)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم: 3281، 124/4.

شمول خلق الحياء لجميع حواسّنا ومداركنا:

اسمع معي إلى هذا الأثر الذي هناك من يرفعه إلى النبي ﷺ، وهناك من يقول أنّه مأثور عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، هذا الأثر يقول: **اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**، قالوا: إنّا لنستحي والحمد لله، فقال لهم: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى** (الفِكر، العينان، الأذنان؛ أن تحفظهما من الإثم)، **وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى** (فلا تدخل إلى جوفك ما حرَّم الله)، **وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ**»[1]

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفِّقنا لما فيه الخير، وأن يجعلنا من المتخلِّقين بهذا الخلق الكريم الذي تميَّز به هذا الدين، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا اله إلّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.

---

(1)- رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الرقائق، حديث رقم: 7915، 359/4. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". ورواه أحمد في المسند، حديث رقم: 3671، 187/6. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد... وقال العقيلي: في حديثه وهم ويرفع الموقوف، وقال الذهبي في "الميزان" 306/2: رفع حديثين هما من قول عبد الله، قلنا: هما هذا والذي بعده، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبان بن إسحاق، روى له الترمذي، وهو ثقة"

أَهَمِيَّة الذِّكر في حياة المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيّدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيِّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطاعات والقُرُبات، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيّاكم من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

حياة القلوب ونقاؤها في ذكر الله:

نتحدَّث اليوم إن شاء الله تبارك وتعالى عن موضوع نحسبه من الأَهَمِيَّة بمكان؛ هذا الموضوع يتعلَّق بالله سبحانه وتعالى وبذكره، والله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: 41-42].

وفي الذِّكر حياة القلوب، وشفاؤها من جميع الأمراض والأدواء؛ ولذلك نجد النبي ﷺ يقول في الحديث الذي رواه الإمام البخاري: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»[1]؛ إنسان حي وإنسان ميّت؛ الذي يذكر الله تبارك وتعالى، هذا إنسان قلبه حي، والغافل عن ذكر الله تبارك وتعالى، هذا إنسان ميّت؛ ولذلك نجد الإمام ابن القيّم عليه رحمة الله يقول: "الذّكر بالنسبة للقلوب كالماء بالنسبة للسّمك؛ فالسّمكة متى فارقت الماء ماتت، وكذلك القلب متى فارق ذكر الله عز وجل

---

(1)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث رقم: 6407، 86/8.

فإنّه يموت"؛ ولذلك كان الذّكر أفضل الأعمال وأعظمها، يقول النبي ﷺ في الحديث: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا أَعْدَاءَكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«ذِكْرُ اللهِ»**[1].

وذكر الله سبحانه وتعالى هو المُطهِّر والمنظِّف لِمَا يصيب القلب من أدران المعاصي؛ يقول ﷺ في الحديث: **«إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةً (مُنَظِّف)، وَصِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»**، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله يا رسول الله؟ قال: **«وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ»**[2].

وممّا يؤثر عن بعض السّلف:

وَإِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ ** فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

أنواع الذِّكر:

والذّكر هو أحد ذكرين:

النّوع الأوّل: أن يكون منطلقه من القلب، فيظهر على اللّسان؛ كأن يرى المؤمن من باهر عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته، أو من عظيم نِعَمِ الله سبحانه وتعالى عليه، فيتأثّر بتلك المواقف فلا يملك إلّا أن يَلْهَجَ لسانُه ذاكرا، شاكرا، حامدا لله سبحانه وتعالى، هذا نوع من أنواع الذكر، كان منطلقُه من القلب، ثم بعد ذلك ظهر أثره على اللّسان، ويقُصُّ لنا النبي ﷺ قصّة رجل؛ هذا الرجل رُبَّمَا لِمَا رأى من عظيم نِعَمِ الله

---

(1)- رواه أحمد في مسنده، حديث رقم: 21702، 33/36-34. قال محققو المسند شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده صحيح".

(2)- رواه البيهقي في الدعوات الكبير، باب ما جاء في فضل الدعاء والذكر، حديث رقم: 19، 80/1.

سبحانه وتعالى عليه، فما ملك نفسه إلّا أن قال: «**يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ**»، فلمّا سمع الملكان هذه المقالة عضلت بهما، ولم يدريا كيف يكتبان أجرها، فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربّ إنّ عبدك هذا قد قال مقالة لم ندرِ كيف نكتبها، فقال الله عز وجل: «**وَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟**» وهو أعلم بما قال عبده، فقالا: «**إِنَّهُ قد قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ! فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَهَا عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا**»[1]، ولم أجد حديثا يُضاهي هذا الحديث إلّا قول الله عز وجل في الحديث القدسي «**إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[2]، هذا نوع من أنواع الذكر؛ منطلقه من القلب، ويظهر أثره على اللّسان.

النّوع الثاني: أن يكون منطلقه من اللّسان، ويكون له تأثيرٌ على القلب؛ فعندما يذكر المؤمن الله تبارك وتعالى، أو يحمده، أو يكبّره، أو يسبّحه، ويتأمّل في تلك المعاني، فَيَوْجَلُ القلب، ويستحضر عظمة الله عزّ وجلّ.

حساسيّة قلب النبي ﷺ للمواقف التي فيها ذكرٌ وثناءٌ على الله سبحانه وتعالى:

هذا النبي العابد الذي هو خير من عبد الله، وخير من ذكر الله، وخير من شكر الله عزّ وجلّ كان يريد للبيئة التي كان يعيش فيها أن تكون بيئةً عابدةً ذاكرةً شاكرةَ لله سبحانه وتعالى، اسمع إليه وهو يقول في هذا الحديث: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مُخْلِصًا بِهَا**

---

(1)- رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الأدب، باب فضل الحامدين، حديث رقم: **3801**، **712/4**. قال محقّقو السنن شعيب الأرنؤوط ومن معه: "إسناده ضعيف".

(2)- سبق تخريجه ص258.

رُوحُهُ، مُصَدِّقًا بِهَا لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ إِلَّا فُتِقَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتْقًا حَتَّى يَنْظُرَ الرَّبُّ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَحَقٌّ لِعَبْدٍ إِذَا نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ»[1].

وقد تأثّر الصّحابة رضي الله عنهم بعبادة النبي ﷺ، وذكره، وشكره لله؛ حتى إنّه أصبح ذكر الله عزّ وجلّ، والثّناء عليه، وحمده شغلهم الشّاغل حتّى وهم في أحلامهم، واسمع معي إلى هذا الحديث الذي يرويه لنا ابن عبّاس، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال له: "يا رسول الله لقد رأيتُني وأنا في المنام أُصلّي خلف شجرة، فلمّا سجدتُ سجدتْ الشجرة بسجودي، فسمعتها تقول: «**اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ**» عليه الصلاة والسّلام، قال ابن عباس: "فرأيت النبي ﷺ يقرأ القرآن فسجد، فقال بمثل قول تلك الشجرة"[2]؛ فالنبي ﷺ استثارت فيه هذه الرّؤيا التي فيها هذا الدّعاء عاطفته الإيمانيّة؛ حتّى إنّه تَلَقَّفَ هذا الدّعاء، وجعله في سجود تلاوته ﷺ.

وهذا أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه -وأختم بهذه-، قال: "لَأَدْخُلَنّ المسجد وَلَأُصَلِّيَنَّ، ولَأَحْمَدَنَّ الله بِمَحَامِدَ لم يحمده بها أحد، فدخل المسجد، وصلّى ركعتين، ثم توجّه ليثني على الله سبحانه وتعالى، وإذا به يسمع صوتًا من السّماء يقول: «**اللّهم لكَ الحمدُ كلُّه، ولكَ المُلْكُ كلُّه، وبيدِكَ الخَيْرُ كلُّهُ، وإليكَ يَرْجعُ الأَمرُ كلُّه، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، لَكَ الْحَمْدُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اغْفِرْ لِي مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي، وَارْزُقْنِي أَعْمَالاً زاكيةً تَرْضَى بِهَا عَنِّي، وَتُبْ عَلَيَّ**»، فأخبر أُبَيُّ بن كعب النبي ﷺ بما

---

(1)- رواه ابن خزيمة في التوحيد، 905/2، والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم: 28، ص150. صحّحه الألباني في تحقيقه لـ"كلمة الإخلاص" لابن رجب الحنبلي، ص61.

(2)- رواه الترمذي في سننه، أبواب السفر، باب ما يقول في سجود القرآن، حديث رقم: 579، 472/2. قال الترمذي: "هذا حديث غريب".

حصل له، فقال له: «**ذَاكَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ**»[1]، انظروا حينما يتعلَّق قلب المؤمن بالله عزّ وجلّ، ويريد أن يثني عليه بما هو أهلُه يبعث الله له ملَكا ليُعلِّمه كيف يحمد الله، ويُثني عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا اله إلّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾.

(1)- ذكره المنذري من رواية أنس عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنهما في "الترغيب والترهيب"، وقال: "رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الذكر، ولم يُسمّ تابعيه". الترغيب والترهيب، 441/2. وقد ضعّفه الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب"، 478/1.

الدّرس الختامي (توصيات من وحي رمضان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه الطَّيّبين الطّاهرين، والتّابعين أجمعين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الأكارم: السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّا ومنكم الصّلاة، والصّيام، والقيام، وسائر الطّاعات والقُرُبات، كما نسأله جلّ في عُلاه أن يجعلنا من عُتقاء هذا الشّهر الكريم، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

كنّا بالأمس القريب نستعدُّ لاستقبال شهر رمضان، وها هو الآن يعزم على توديعنا؛ فنسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّله منّا، وأن نكون فيه من الفائزين، ومن الذين أُعْتِقُوا فيه من النِّيران.

جاء عن بعض السّلف: "بئس القومُ؛ قومٌ لا يعبدون الله إلّا في رمضان، كن ربّانيا، ولا تكن رمضانيا"، ما هي إلّا ساعات ويحزم رمضان حقائبه وينفضّ، وهو عبارة عن سوقٌ ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، ونسأل الله تبارك وتعالى أن نكون من الرّابحين، وقبل أن نودِّع رمضان أَوَدُّ في هذه الدّروس اللّيلية أن أتقدَّم في هذا الدّرس الختامي ببعض التوصيات، فرمضان كان جامعةً علميَّة؛ كانت هناك محاضرات علمية، ودروس وعظية طيلة هذا الشّهر الكريم، وكان مدرسة تربويّة، ودورة روحية تَزَكَّى فيها المسلم بسائر الطاعات، وبسائر القُرُبات، وعلى رأس هذه العبادات عبادة الصّوم، فلا يمكن أن نودِّعَ هذا الشّهر الكريم دون أن يوصي بعضنا بعضا ببعض التوصيات:

التوصية الأولى: إيّاكم أن تَتَخَلَّوْا عن بيت الله تبارك وتعالى بعد رمضان، وخاصّة عن هذه الصلوات الخمس التي تُقام في بيوت الله عزّ وجلّ؛ فهذا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان يقول: "من سرَّه أن يلقى الله غدا مسلما، فليحافظ على هؤلاء

الصّلوات حين يُنادى بهن؛ فإن الله قد شرع لنبيّكم ﷺ سنن الهدى، وإنهنّ من سنن الهدى، وإنّكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلّف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم... ولقد رَأَيْتَنَا وما يتخلّف عنها (أي صلاة الجماعة) إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رَأَيْتَنَا يؤتى بالرّجل يُهَادَى بين الرّجلين (من شدّة المرض)؛ حتى يُقام في الصّفّ"[1]، فلنحافظ على هؤلاء الصّلوات التي يقول الله تبارك وتعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: 103].

التوصية الثانية: إيّاك أن تهجر كتاب الله سبحانه وتعالى بعد رمضان، صحيح أنّ المسلم يُضاعف من قراءته للقرآن الكريم في شهر رمضان، ولكن هذا لا يعني أن يهجر كتاب الله عزّ وجلّ بعد رمضان؛ لأنّ هذا القرآن هو دستورنا في الحياة، والهدى كلُّ الهدى في هذا الكتاب الكريم، ناهيك عن الأجر العظيم الذي نجنيه من وراء تلاوته، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[2]، ويقول ﷺ - وهو يوصي الصّحابي الجليل أبا ذَرّ رضي الله عنه-: «**عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**»[3]؛ فهو الهادي في الأرض، والذُّخر في السّماء لِمَا في تلاوته من الأجر، وهو الشّفيع لقارئه يوم القيامة، وفي الحديث: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا لِأَصحابه يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، حديث رقم: 654، 453/1.

(2)- سبق تخريجه ص12.

(3)- سبق تخريجه ص12.

(4)- سبق تخريجه ص12.

التوصية الثالثة: إنّ مدرسة الصّيام في ديننا لم ولن تُغْلَقْ، فهي مفتوحة سائر العام، سواء كان في رمضان أو في غير رمضان، وقد سَنّ لنا النبي ﷺ الصّيام في غير رمضان؛ منها السّتة أيام من شوال التي تعادل مع صيام رمضان صوم الدّهر كلِّه، وصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيّام من كلّ شهر، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء إلى غير ذلك من هذه الصيامات التي سنّها لنا النبي ﷺ؛ فتعاهدوا هذه العبادة العظيمة من حين إلى آخر.

التوصية الرابعة والأخيرة: إيّاكم أن تتركوا هذه المجالس؛ مجالس الذّكر، والعلم، والموعظة، فابحثوا عنها وَتَتَبَّعُوهَا، سواء في هذا المسجد أو في غيره من المساجد؛ فإنّ -والله- فيها بركة كثيرة وخيرا عظيما، فهذا عبد الله بن المبارك قيل له: إلى متى وأنت تطلب العلم؟ فقال: "لعلّ الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد"؛ فكذلك نحن ينبغي علينا أن لا نتوقف عن حضور هذه المجالس العِلمية، والوعظية؛ فلعلّ الكلمة التي تنفعنا لم نسمعها بعد؛ فقد يسمع الإنسان كلمة في محاضرة أو في درس فَتُغَيِّرُ مجرى حياته، فيتحوّل من سيّء إلى حسن أو حتّى من حسن إلى ما هو أحسن في دينه ودنياه.

يقول النبي ﷺ في فضل هذه المجالس في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ** (رقم واحد)، **وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ** (رقم اثنين)، **وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ** (رقم ثلاثة)، **وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** (رقم أربعة)»[1]؛ تَصَوَّرْ معي وأنت حاضرٌ في مجلس عِلْمٍ والله يذكرك الله في الملأ الأعلى، شيءٌ عظيم، لو أنّ الإنسان يذكره ملِك من ملوك الدّنيا أو رئيس سيفخر بذلك اَيَّمَا فخر، ولكن أنت يذكرك الله عز وجل ربّ العالمين.

(1)- سبق تخريجه ص53.

وأختم بهذا الحديث الذي يرويه مسلم كذلك في صحيحه؛ هذا الحديث الذي ينقل لنا نقلا مباشرا لحوارٍ يدور بين الله عز وجل وملائكته في مجلس ذكر، يقول النبي ﷺ في هذا الحديث: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ** (هالعباد وش ايديروا؟)، **يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ؛ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»[1]؛ فضلٌ عظيم من ربٍّ كريم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما فيه الخير، وأن يجعلنا إن شاء الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وبارك الله في أسماعكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(1)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل مجالس الذكر، حديث رقم: 2689، 2069/4.

الفهرس:

الكتاب:

هذه سلسلة من الخطب والمحاضرات والدّروس الرّمضانية، كان المؤلّف قد ألقاها في عديدٍ من المساجد بولاية الوادي من وطننا الحبيب الجزائر في رمضانات مختلفة، وكانت كلّها مسجّلة صوتيا، فارْتأى تفريغها، وجعلها في كتاب عسى الله أن ينفع بها، وقد شجّعه على ذلك بعضٌ من إخوانه الذين كانوا قد استمعوا إلى كثيرٍ منها، وقد قام بتفريغها الأستاذان الفاضلان: محمّد بن البشير بن علي، وعبد الباسط بن عبد الرّحمن ضريف.

وقد قام بتقسيم هذا الكتاب كما يأتي:

القسم الأوّل: جعله للخُطب، وعددها خمس، وهي تمسّ تقريبا جلّ ما في رمضان من مناسبات.

القسم الثاني: جعله للمحاضرات المسائيّة التي كان يُلقيها بعد صلاة العصر، وهي على جزءين؛ الأوّل منهما يتعلّق بفقه الصّيام، والاعتكاف من خلال نظم "أسهل المسالك على مذهب الإمام مالك" لمحمّد البشّار، ومحاضرة أخرى حول زكاة الفِطر، ويتعلّق الجزء الثّاني بمحاضرات وعظيّة إرشاديّة ذات نفحاتٍ رمضانيّة.

القسم الثّالث: جعله للدّروس اللّيلية التي كان يُلقيها بعد أذان العِشاء إلى الإقامة، وهي على جزءين؛ الأوّل منهما يتعلّق بتفسيرِ آيات الصّيام من سورة البقرة، بينما الجزء الثّاني يتعلّق بدروسٍ وعظيّة إرشاديّة.

الكاتب:

- إبراهيم بن البشير قعري، من مواليد سنة **1971**م بالوادي – دولة الجزائر.
- حاصل على شهادة البكالوريا في العلوم الإسلامية سنة **1990**م.
- حاصل على شهادة الليسانس في الفقه وأصوله من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة **1994**م.
- حاصل على شهادة الماستر في الفقه المقارن وأصوله من جامعة الوادي سنة **2019**م، وكان الأول على دفعته.
- شغل منصب الإمامة والخطابة بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية الوادي ما بين سنتي **1995**م و**2013** م، ولا يزال يمارسهما على سبيل التّطوّع إلى يوم الناس هذا.
- يشغل حاليا منصب مفتش التوجيه الديني والتعليم القرآني بالمديرية والولاية نفسيهما.
- مهتم بالأبحاث الفقهية المذهبية والمقارنة.
- له كتابان مطبوعان:

الكتاب الأول: عنوانه: "حدود النظر إلى المخطوبة - دراسة فقهية مقاصدية"، وأصل هذا الكتاب مذكرته للماستر بإشراف: أ. د. عبد القادر بن خليفة مهاوات، وهو مطبوع من طرف مخبر الدّراسات الفقهيّة والقضائيّة بمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي.

الكتاب الثاني: عنوانه: "أحكام التّختّم في الفقه الإسلامي" طباعة الأصالة للنّشر -الجزائر سنة ٢٠٢٢م.

شركة الأصالة للنشر / الجزائر

العنوان: حي الراسوطة الغربية، قطعة رقم2، برج الكيفان، الجزائر

الفاكس: 023750822، الهاتف: 0675039457 / 0669004744

البريد الإلكتروني: assala.edition@assala-dz.net

الموقع الإلكتروني: assala-dz.net

ISBN 978-9931-256-04-5

9 789931 256045